مات ستيف جوبز
كاهن التكنولوجيا

حامد عويس
قيمة الجسد

د.عبدالحميد الأنصاري
أخشى سرقة الثورات

توماس ترانسترومر
جغرافيا الشعر البعيدة



المرأة
نصف الثورة الحلو

القراءة
طعم الحب

كتاب الدوحة

مجاناً كل شهر مع العدد



الكتابات الخالدة في الإبداع والفكر العربيين

وزارة الثقافة والفنون والتراث

الدوحة - قطر

رئيس الهيئة الاستشارية

د. حمد بن عبد العزيز الكواري

وزير الثقافة والفنون والتراث

رئيس التحرير

د.علي أحمد الكبيسي

مدير التحرير

عزت القمحاوي

الإشراف الفني

سلمان المالك

سكرتير التحرير

نبيل خالد الأغا

الهيئة الاستشارية

أ. مبارك بن ناصر آل خليفة

أ.د. محمد عبد الرحيم كافود

أ.د. محمد غانم الرميحي

د. علي فخرو

أ.د. رضوان السيد

أ. خالد الخميسي

جميع المشاركات ترسل باسم رئيس التحرير ويفضل أن ترسل عبر البريد الالكتروني للمجلة أو على قرص مدمج في حدود 1000 كلمة على العنوان الآتي:

تليفون : 44022281 (974+)

تليفون – فاكس : 44022690 (974+)

ص.ب.: 22404 - الدوحة – قطر

البريد الإلكتروني:

editor@dohamagazine.com

aldoha__magazine@yahoo.com

مكتب القاهرة:

34 ش طلعت حرب، الدور الخامس،

شقة 25 ميدان التحرير

تليفاكس: 5783770

البريد الإلكتروني:

samykamaleldeen@yahoo.com

ملتقى دارين الثقافي الأول

شــاركت مجلة الدوحة في ملتقى دارين الثقافي الأول الذي نظمه نادي المنطقة الشـرقية الأدبي بالدمام / المملكة العربية السعودية يومي 3 و 4 أكتوبر 2011 وتناول موضوع المجلات الثقافية في دول الخليج وتنمية المعرفة، وشــارك فيه أربعة و عشـرون باحثاً وباحثة إضافة إلى رؤســاء تحرير المجلات الثقافية في دول مجلس التعاون الخليجي.

لقد كانت مبادرة طيبة من نادي المنطقة الشـرقية الأدبي لإتاحة الفرصة لهذا اللقــاء الثقافي المثمر حيث تعارف رؤســاء التحرير و اســتمعوا إلى الباحثين و تناقشوا مع المشاركين حول كل ما يهم المجلات الثقافية في دول مجلس التعاون وما يواجهها من تحديات، وتعددت قضايا المناقشة عبر جلسات ست ناقش الملتقى فيهــا عدداً من المحــاور منها تعزيز المجلات الثقافية لحركتي الشــعر والســرد، وامتداد التراث في المجلات الثقافية، ومواكبة المجلات الثقافية للنظريات النقدية الحديثة، وحضور أدب الآخر في المجلات الثقافية عبر الترجمة، وتجليات المكان في المجــلات الثقافية، والمجــلات الثقافية بوصفها حاضنة للمعــارك النقدية، والمســاجلات الثقافية، ومستقبل المجلات الثقافية والتحديات في عصر الإنترنت والإنفوميديــا وطرحت وجهات نظر أفاد منها رؤســاء التحرير ورؤســاء الأندية الثقافية كذلك.

الحديث - وكذا البحث - حين يتناول المجلات الثقافية في الخليج العربي يأخذ جوانب متعددة تتعلق ببدايات النشأة والتطور التاريخي أو المحتوى ومدى تنوعه عبر مســيرة تلك المجلات مع رصد القضايا الكبــرى التي طرحتها والموضوعات التي ناقشتها أو الوضع الراهن لهذه المجلات والتحديات التي يفرضها عصر التقدم التكنولوجي ومواقع التواصل الاجتماعي.

ولعــل البداية الصحيحة لبحــث كل تلك القضايا وما يترتــب عليها هي تحديد المقصود من مصطلح «المجلات الثقافية» فهو مصطلح واسع الدلالة يضم أصنافا منوعة من المجلات يصعب حصرها بالمعنى الواسع للثقافة ولا بد من تخصيص وتصنيف يحددان المصطلح ويقيدانه.

وليس المقصود من هذا الملتقى ولا غيره أن تســير المجلات الثقافية الخليجية على درب واحد أو تأخذ نهجاً واحداً فهذا كله خلاف الأصل إذ إن لكل مجلة طابعها الخاص وسياســتها التحريرية المميزة وهي تتنافس مع غيرها تنافســا شــريفا لجذب أكبر عدد من القراء ونيل رضاهم، ولكن هدف هذا الملتقى وغيره هو تبادل الآراء والخبــرات من أجل تطويــر المجلات والرقي بها إلى مســتوى يغني ثقافة قرائها فيشدهم إليها ويعزز تواصلهم معها.

وجرى نقاش طويل متشــعب حول مستقبل هذه المجلات الثقافية ومدى قدرتها على الاســتمرار في ظل انتشــار المنتديات والمجلات الثقافيــة الإلكترونية، وأكد المشاركون أهمية تحديث محتوى هذه المجلات لتكون أكثر تأثيراً وجذباً لقرائها.

وعلى هامش الملتقى عقد رؤســاء التحريــر اجتماعا تبادلوا فيه وجهات النظر حول أهمية التواصل عبر الملتقيات وندواتها الثقافية ومناقشة السبل التي تمكن هذه المجلات من تفعيل دورها وتحقيق أهدافها المنشودة.

لقد كان لقاء مثمراً أجمع المشاركون على نجاحه واتفقوا على أهمية استمراره ودورية انعقاده.

رئيس التحرير

الدوحة

ثقافية شهرية



السنة الرابعة - العدد التاسع والأربعون

ذو الحجة 1432 - نوفمبر 2011

تصدر عن

وزارة الثقافة والفنون والتراث

الدوحة - قطر

صدر العدد الأول في نوفمبر ١٩٦٩، وفي يناير ١٩٧٦ أخذت توجهها العربي واستمرت في الصدور حتي يناير عام ١٩٨٦ لتستأنف الصدور مجدداً في نوفمبر ٢٠٠٧ . توالى على رئاسة تحريرالدوحة إبراهيم أبو ناب ، د. محمد إبراهيم الشوش و رجاء النقاش.

الاشتراكات السنوية

داخل دولة قطر

الأفراد	120 ريالاً
الدوائر الرسمية	240 ريالاً

خارج دولة قطر

دول الخليج العربي	300 ريال
باقي الدول العربية	300 ريال
دول الاتحاد الأوروبي	75 يورو
أمـــريـــكـــا	١٠٠ دولار
كــنــدا واســتــرالــيــا	١٥٠دولاراً

رئيس قسم التوزيع والاشتراكات

عبد الله محمد عبدالله المرزوقي

تليفون : 44022338 (974+)
فاكس : 44022343 (974+)

البريد الإلكتروني:

al-marzouqi501@hotmail.com
doha.distribution@yahoo.com

ترسل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالريال القطري باسم وزارة الثقافة والفنون والتراث على عنوان المجلة.

الموزعون

وكيل التوزيع في دولة قطر:

دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - الدوحة - ت: 44557810 فاكس: 44557819

وكلاء التوزيع في الخارج:

المملكة العربية السعودية - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع - الرياض- ت: 4871414 - فاكس: 4871460/ مملكة البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف - المنامة - ت: 17480800 - فاكس: 17480818/دولة الإمارات العربية المتحدة - المؤسسة العربية للصحافة والإعلام - أبو ظبي - ت: 4477999 - فاكس: 4475668/ سلطنة عُمان - مؤسسة عُمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان - مسقط - ت: 24600196 - فاكس: 24699672/ دولة الكويت - شركةالمجموعة التسويقية للدعاية والإعلان - الكويت - ت: 1838281 - فاكس: 24839487/ الجمهورية اللبنانية - مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع - بيروت - ت: 653259 - فاكس: 653260/ الجمهورية اليمنية - محلات القائد التجارية - صنعاء - ت: 240883 - فاكس: 240883 / جمهورية مصر العربية - مؤسسة الأهرام - القاهرة - ت: 25796997 - فاكس 27703196/الجماهيرية الليبية - دار الفكر الجديد لاستيراد ونشر وتوزيع المطبوعات - طرابلس - ت: 925639257 - فاكس: 213332610 / جمهورية السودان - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - الخرطوم - ت: 466357 - فاكس: 466951 / المملكة المغربية - الشركة العربية الإفريقية للتوزيع والنشر والصحافة، سبريس - الدار البيضاء - ت: 2249200 - فاكس:2249214/ الجمهورية العربية السورية - مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع - دمشق - ت: 2127797 -فاكس:2128664

الأسعار

دولة قطر	10 ريالات
مملكة البحرين	دينار واحد
الإمارات العربية المتحدة	10 دراهم
سلطنة عمان	800 بيسة
دولة الكويت	دينار واحد
المملكة العربية السعودية	10 ريالات
جمهورية مصر العربية	جنيهان
الجماهيرية العربية الليبية	3 دنانير
الجمهورية التونسية	2 دينار
الجمهورية الجزائرية	80 ديناراً
المملكة المغربية	15 درهماً
الجمهورية العربية السورية	80 ليرة

الجمهورية اللبنانية	3000 ليرة
الجمهورية العراقية	3000 دينار
المملكة الأردنية الهاشمية	1.5 دينار
الجمهورية اليمنية	150 ريالاً
جمهورية السودان	1.5 جنيه
موريتانيا	100 أوقية
فلسطين	1 دينار أردني
الصومال	1500 شلن
بريطانيا	4 جنيهات
دول الاتحاد الأوروبي	4 يورو
الولايات المتحدة الأميركية	4 دولارات
كندا واستراليا	5 دولارات

الغلاف الأول:



لوحة الغلاف
Edward Hopper
1882 - 1967

مجاناً مع العدد:

شروط النهضة
مالك بن نبي

متابعات 4

موريتانيا: **متاهات الثورة**

الجزائر **شتات الكتّاب**

صنعاء : **جيفارا مرشداً للإخوان في كوبا!**

السودان: **المعرض الدولي للكتاب**

ميديا 10

ائتلاف فلول القذافي

ياما تحت اللحايا.. خفايا

الجميلات الثائرات

اتفاقية لتبادل المخلوعين

رحلة 58

آرل: مدينة الماء والريح(خالد النجار)



نصوص 115

محمود قرني

ممدوح عبد الستار

لطيفة باقا

ندى مهري

حوار 52

د.عبد الحميد الأنصاري

مقالات

أيام عرب جديدة ودامية (أمجد ناصر) 42
بين الكرامة والكونية (د. محمد الرميحي) 44
القيم أو السّلطة (الطاهر بنجلون) 56
ثقافة الاندهاش! (د. مرزوق بشير) 100
فك المربوط (أمير تاج السر) 111
الصورة المتوالدة (عبد السلام بنعبد العالي) 114
سماااااع هووووس من فضلكم (صالح ناز كاظم) 138
تربة الكاتبة (منهل السراج) 160

ندوة

48
إيطاليا جهة الوصول
حلم الهجرة الذي يتحول إلى عار بين الضفتين

أدب

102
توماس ترانسترومر.. جغرافيا الشعر البعيدة
بوعلام صنصال: في انتظار الثورة الجزائرية
فضيحة البوكر الإنجليزية

صيد اللؤلؤ

143
الأرقام العربية (د. محمد عبد المطلب)

تشكيل

135
حامد عويس قيمة الجسد وغريزة البقاء

سينما

139
كثير من المهرجانات قليل من الأفلام
مهرجان الإسكندرية: دورة الفلول والثوار
بغداد: خوف النجوم
أبوظبي: ثورة السينمائيين.. حتى إشعار آخر
بيروت: أفلام الربيع بدون دعوة!
الحرب في مرآة الجنيّات
نسوة الشاشة

62

القراءة طعم الحب





خوان جويتيسولو

زمن ابن خلدون

20

موسيقى

148
عبد النبي الجيراري جرح الأغنية المغربية
عمرو دياب.. ألبوم الكسل

دوحة العشاق

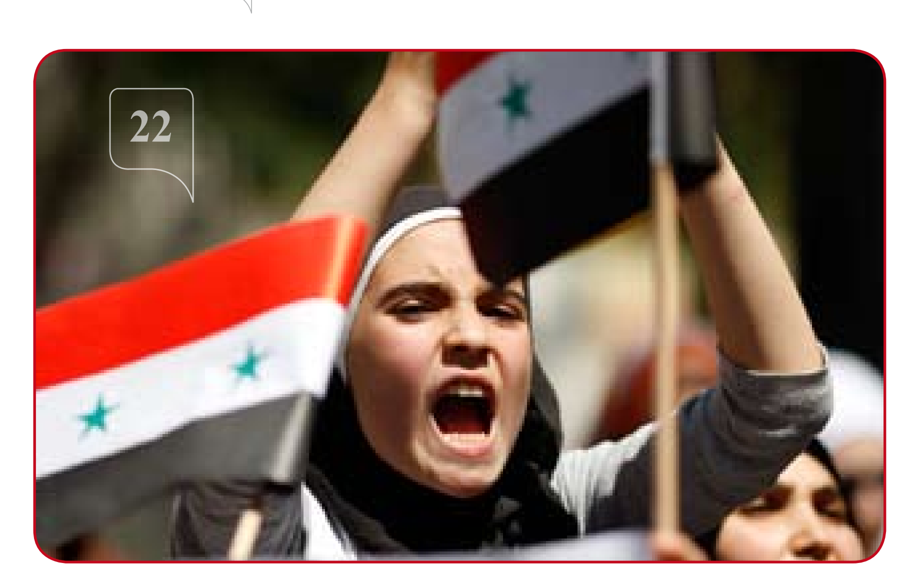
151
تبلغنا العيون بما أردنا (نزار عابدين)

علوم

152
نصيحة في كبسولة
«8.7» مليون كائن على الأرض
نامو تبدعوا
أطعمة من أجل المزاج الرائق

صفحات مطوية

158
خمسون عاماً على مجلة «الكاتب» (شعبان يوسف)



22

قضية العدد

المرأة نصف الثورة الحلو



متاهات الثورة الموريتانية

موريتانيا - عبدالله ولد محمدو

عجيب أمر الشباب الموريتاني، يعيش ربيع الثورات العربية، حنق فقه الثورة، وتعرف أركانها، فأحرم من المواقيت، ووقف بالميادين، وطاف وسعى، لكن لسان حاله اليوم يقول إن نسكه منتقض.

فما السر في هذا الخلل الذي سرى إلى نسكه الثوري رغم استيفائه أركانه؟

لم تلبث حماسة ثورة 25 فبراير الموريتانية أن خمدت جنوتها، بعد أن أشعلت لهيبها دعوات شباب، تداعت آلاف منه إلى صفحات «الفيس بوك» مطالبة بالتغيير الشامل والإصلاح ومكافحة الفساد، وإن لم تتحمس غالبيتها لدعوة البعض إلى تغيير النظام، لأسباب كثيرة، منها تشجيع الرئيس الموريتاني المعلن للتحرك الشبابي الداعي للإصلاح ودعمه الصريح لحزب العصر الذي حمل لواءه شباب الثورة المؤلف من تشكيلات سياسية مختلفة وأطياف اجتماعية عديدة، وكان لهذا التفاهم مع الرئيس أثر عاصف بثورة الشباب ووحدة تماسكه في ظل محيط سياسي رافض لحراكه، فالمعارضة خيب آمالها اتجاه عرّافي الثورة الشبابية المبكر إلى القصر، وتناغم شعاراتها مع برنامج الرئيس السياسي الداعي إلى «مكافحة الفساد»، والموالاة السياسية أغاظها اندفاع الرئيس في تأييد حركة شبابية، توجست خيفة من ولوجها المتكرر إلى القصر، فليس مستبعداً في نظرها أن يعرض هذا القصر عن أنصاره الكبار الحكماء متجهاً صوب شباب غير مندفع، متناسياً فضل من رفعوه إلى كرسي القصر بمددهم المادي والمعنوي، فقد سرت الغيرة إلى نفوسهم من ضرة غضة حتى تمنى شيوخ من حزب السلطة الرسمي أن يعودوا شباناً مرداً.

ومن الطريف أن الشباب الموريتاني اتجهت أغلب تنظيماته السياسية «الثورية» لمغازلة القصر في الوقت الذي تشيخ فيه الطبقة السياسية المعارضة، فتبدو أغلب وجوهها - من زعيم المعارضة وغيره من قادة ورموز أحزابها - في خريف العمر الذابل بعصر ربيع الثورات الزاهر.

استوفى الأركان ولزمه دم لم يقضه

استوفى الشباب الموريتاني الأركان الأربعة، متمتعاً بشعارات عدة لربيع الثورة العربية، عساها تقربه زلفى إلى القصر، قبلةِ الثورات: فقد أحرم بنية التغيير من ميقات مواقع التواصل الاجتماعي باعتباره وسيلة للتنظير والتخطيط للتحركات، فهو ركن الثورة الأول الذي انعقدت عبر صفحاته نية الإصرار الجازم وعزيمة الثورة، ولعل سر أهمية هذا الركن في جدته وخفائه على كثير من مهرة رقباء السلطة التقليديين. وله بكل بلد ميقات زماني محدد، اختار له الشباب الموريتاني الخامس والعشرين من فبراير أسوة بالثورات العربية 25 يناير بمصر، و17 فبراير بليبيا.

ووقف بالميدان، وهو مكان يتنادى إليه الثائرون، يسمى «ميداناً» وإن لم

ماركات القذافي

ليس غريباً أن تصبح عبارات ربيع الثورات العربية مصدر إلهام لشتى المبدعين في مختلف المجالات، أو أن يتندر الناس بخطابات بعض شخصيات هذه الثورات الغريبة كالقذافي الذي شغل الناس بعبارته «زنقة زنقة»، لكن الطريف أن تتحول هذه العبارة من شعار قذافي للتحريض على تعقب الثوار إلى زي ملبوس، وهو ما شهده موسم عيد الفطر السابق في موريتانيا، حيث راج في الأسواق الموريتانية نوع من الملاحف «الزي النسائي التقليدي للمرأة الموريتانية» عرف بملاحف زنقة زنقة.

ويمتاز الثوب النسائي «الملحفة» بسرعة التجدد والتغير في الأسماء والألوان والأشكال الزخرفية لها، رغم ثبات شكلها التصميمي، وغالباً ما تحمل أسماء أحداث وطنية أو دولية، تشغل الرأي العام، دون أن يعني هذا الاختيار إعجاباً بالحدث، بل هو نوع من الاستغلال التجاري لشهرة الحدث أو الخطاب.

يكن في الأصل معروف بهذا الاسم، اختار له الشباب الموريتاني ساحة بوسط العاصمة، هدمت عمارات كانت تنتصب بها، ليحل محلها بناء من نوع جديد، يحاول التأسيس لصروح سياسية جديدة، ولاختيار هذه الساحة مغزى سياسي، فقد بيعت عماراتها العمومية لخصوصيين، فكان التجمع بها احتجاجاً على خصخصتها لرجال أعمال، تنازلت لهم الدولة عن أغلى قطعة أرضية في وسط العاصمة.

ثم كان الطواف بالميدان لعدة أشواط مستمرة لغاية ولوج ساحة القصر، وقد ظل حراك شباب ثورة الفيس بوك الموريتاني منذ انطلاقه متواصلاً رغم التباعد النسبي بين أيامه الاحتجاجية من يوم الجمعة 2/25 إلى الإثنين 4/25، والثلاثاء 5/24، وقد استمد هذا الشباب أسماء أيامه من شعارات الثورات العربية التي سبقته، كتسمية احتجاجات الثلاثاء بيوم الغضب.

وأخيراً السعي الحثيث بين الميدان والقصر، لتحقيق التغيير المنشود، ولعل مما قلل من فاعلية سعي الشباب الموريتاني الثوري كون المحرم المتمتع بشعارات الثورة الطامح إلى القصر يلزمه دم، وليس حب إراقة الدماء من طبيعة الموريتانيين، ولا التضحية بغير الخراف من سنتهم.

لقد حرك الشباب الموريتاني سفنه وفق ضوابط فقه الثورات العربية، لكن الموج رماه إلى اليم خالي الوفاض إلا من حيرة تشده مرة إلى تنكر أيامه الخوالي التي أقام فيها اعتصامات وحرك مظاهرات - وإن كانت خافتة - بميادين العاصمة، وتجذبه مره إلى عرض هذا الإرث الثوري المتعثر بالمزاد العلني بسوق قصر رئاسي، أعرض عنه ونأى بعد تفككه، عائداً إلى حبه الأول، متمسكاً بحزب الكبار، فكيف يشق هذا الشباب طريقه، وهو عاجز متردد بين موقفين، موقف بقصر رئاسي لم يستجب لمطامحه، وموقف بميدان ثوري لم يقو على الثبات فيه ؟



خمسينيه اتحاد كتاب المغرب

المغرب - عبدالحق ميفراني

احتفى مؤخراً اتحاد كتاب المغرب بالنكرى الخمسينية لتأسيسه (1961- 2011)، حيث شمل برنامجه الثقافي بهذه المناسبة لقاءات ثقافية وفنية، إلى جانب حفل موسيقي، وذلك في أفق تنظيم المكتب التنفيذي للمؤتمر الوطني الثامن عشر لاتحاد كتاب المغرب.

كما تمت صياغة بنود اتفاقية التعاون والشراكة بين اتحاد كتاب المغرب وبيت الحكمة العراقي في أفق توطيد العلاقات الثقافية.

مضى على تأسيس اتحاد كتاب المغرب ما يربو على 50 سنة. وإلى اليوم، لازال الرهان مستمراً في أن يكون الاتحاد «صوتاً للنقد المسؤول والخلاق»، ويواصل تطوير أدائه الثقافي في اتجاه حضور وإشعاع أعمق.

لكن، يبدو أن مؤسسة الاتحاد «ترهلت» وأمست تستدعي التفكير في آليات عملها واستراتيجياتها الثقافية، خصوصاً أننا أمام إطار ثقافي يجر وراءه تاريخاً حافلاً من الانخراط الفعلي في ترسيخ مفهوم الثقافة الوطنية.

أي اتحاد كتاب المغرب يريده الكتاب المغاربة اليوم في خضم هذا الحراك الداخلي الدائر حالياً؟، حيث ارتفعت أصوات تنادي بضرورة عقد ندوة وطنية لمناقشة راهن اتحاد كتاب المغرب ومستقبله، وهو ما يزكي تلك الإرادة القوية في أن تجمع الكتاب والمثقفين يجب أن يقدم نموذجاً حياً للمغرب اليوم في قدرته على تدبير اختلافاته الجوهرية بالنقد المباشر وحتى بالنقد الذاتي.

لقد أمسى اتحاد كتاب المغرب مطالباً بإعادة التفكير في آليات التدبير الثقافي بالمغرب. والانخراط بشكل عميق في أسئلة المغرب الثقافي بكتاباته وبمختلف طرائق التعبير، والانخراط أيضاً في إشكاليات القراءة والكتاب، والأهم التفكير في سياسات المغرب الثقافية. والأهم في راهنه اليوم، أن يوازي فعله وحضوره الثقافي مع ما يشهده العالم العربي من حراك ثوري ضد الاستبداد.

من جانب آخر، أصدر المكتب التنفيذي لاتحاد كتاب المغرب بياناً استنكارياً يحتج فيه على «إقصائه كصوت ثقافي وتغييبه من تشكيلة المجلس الوطني لحقوق الإنسان».حيث يعتبر إقصاءه وتغييبه من تشكيلته المعلن عنها: تراجعاً عن روح ومنطوق الدستور الجديد الذي أدمج المسألة الثقافية في المنظومة الحقوقية الوطنية، واستهدافاً للاتحاد كمنظمة ثقافية وطنية عريقة، انبرت منذ تأسيسها للاصطفاف دائماً إلى جانب قضايا الإنسان وحريته وحقوقه.

شتات الكتّاب

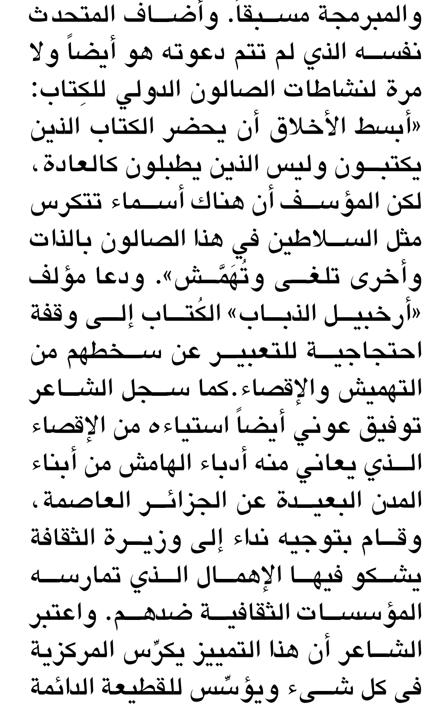
الجزائر - نوّارة لحرش

خلّف صالون الجزائر الدولي للكتاب (23 سبتمبر – 1 أكتوبر) في طبعته السادسة عشر زوبعة واستياء في الوسط الأدبي المحلي، حيث اكتشف أدباء الداخل أنهم خارج الأجندة المُعَدّة للنشاطات والفعاليات المُصاحبة للصالون. وكان الروائي الحبيب السائح أول من أصدر بياناً يندد فيه بإقصاء روايته الأخيرة «زهوة». مستنكراً بلهجة حادة هذا الفعل التهميشي الذي لا تتوانى الجهات الوصية من ممارسته على بعض المبدعين. وطالب السائح الهيئة المشرفة التي تتحكم في المال العمومي، بالاشتغال بشفافية.

ولم يكن صاحب «زمن النمرود» وحده في ريبرتوار الكُتاب الذين نددوا بالإقصاء المُمارَس ضدهم. فالشاعرة والروائية ربيعة جلطي سجلت استنكارها هي أيضاً من الإقصاء الذي تتعرض له في كل طبعة من طبعات الصالون وكتبت على صفحتها الشخصية في الفيسبوك: «للعام الرابع يُقصى اسمي من برنامج المعرض الدولي للكتاب على الرغم من كتبي الجديدة ومنها «بحار ليست تنام»، «حجر حائر» و«الذروة». وقد استقطب تصريح جلطي تضامناً كبيراً من خلال التعليقات التي تجاوزت 90 تعليقاً ومن اللايكات التي تجاوزت 120. وأكدت جلطي في سياق تصريحها وبكثير من المرارة أن العائلة الأدبية والثقافية في الجزائر تشكو الشتات ومرض الكراهية الخبيث الذي ينتج عنه الإقصاء والتهميش.

من جهته، أعلن الروائي بشير مفتي استياءه من هذه الإقصاءات المتتالية والمبرمجة مسبقاً. وأضاف المتحدث نفسه الذي لم تتم دعوته هو أيضاً ولا مرة لنشاطات الصالون الدولي للكِتاب: «أبسط الأخلاق أن يحضر الكتاب الذين يكتبون وليس الذين يطبلون كالعادة، لكن المؤسف أن هناك أسماء تتكرس مثل السلاطين في هذا الصالون بالذات وأخرى تلغى وتُهَمَّش». ودعا مؤلف «أرخبيل النباب» الكُتاب إلى وقفة احتجاجية للتعبير عن سخطهم من التهميش والإقصاء.كما سجل الشاعر توفيق عوني أيضاً استياءه من الإقصاء الذي يعاني منه أدباء الهامش من أبناء المدن البعيدة عن الجزائر العاصمة، وقام بتوجيه نداء إلى وزيرة الثقافة يشكو فيها الإهمال الذي تمارسه المؤسسات الثقافية ضدهم. واعتبر الشاعر أن هذا التمييز يكرِّس المركزية في كل شيء ويؤسِّس للقطيعة الدائمة بين كتّاب الجزائر.

من جهته، الشاعر عاشور فني أصدر بياناً ندد فيه بالأساليب المشينة التي تعتمدها إدارة الصالون في التعامل مع الكُتاب، مع العلم أنه كان مدعواً لتنشيط أمسية شعرية إلا أنه تراجع في آخر لحظة، وأعلن مقاطعته للصالون. وهو القرار نفسه الذي بادر إليه الروائي عبد العزيز غرمول الذي كان اسمه مدرجاً لتنشيط أمسية الشاعرين اللبنانيين شوقي بزيع وإسكندر حبش.





ربيعة جلطي



بشير مفتي



توفيق عوني





عاشور فني



جيفارا في ساحات اليمن

جيفارا
مرشداً للإخوان في كوبا!

صنعاء- جمال جبران

ساهمت ثورة الشباب اليمنية في هدم بعض المسلمات السياسية، من بينها كسر حالة احتكار الصورة التي كانت مقتصرة، طيلة عقود، على صورة واحدة.

طوال ثلاثة وثلاثين عاماً، لم تكن تظهر غير صورة الرئيس علي عبد الله صالح، متسيدة المشهد برمته على حساب غيرها من صور شخصيات يمنية بارزة راحلة صنعت شيئاً عظيماً لبلدها. الرئيس صالح لم يكن يحب أن يرى صورة غير صورته حيثما ذهب. وكان هناك ما يشبه تعميماً رسمياً غير معلن يُجبر أصحاب المحلات التجارية والمكاتب الحكومية على السواء على رفع صورته، ومن يخالف هذا فليس له أن يلوم غير نفسه.

وجاءت ثورة الشباب لتكسر هذا التقليد (الرسمي) وتخرج إلى الواجهة صور شخصيات يمنية سياسية راحلة أنجزت في حياتها الشيء الكثير لبلدها فاستحقت أن تبقى في ذاكرة اليمنيين، وعلى وجه الخصوص تلك الشخصيات التي عُرفت بنزاهتها أثناء تسلّمها لمناصب رسمية مثال الرئيس الراحل إبراهيم الحمدي (1943 – 11 أكتوبر 1977) الذي حكم اليمن لمدة لم تتجاوز الأعوام الأربعة لكن عمله وسيرته ما يزالان حديث الشارع اليمني حتى اليوم، بفضل ما أنجزه خلال فترته الرئاسية. خصوصاً سعيه لبناء مجتمع مدني حديث يبتعد عن الشرط القبلي وأعرافه. وظهرت نتائج هذا المشروع سريعاً وكان بإمكانه المضي بعيداً فيه غير أنه قضى في حادث اغتيال ما تزال تفاصيله غامضة. وإلى جانب صورة الحمدي ظهرت صور أخرى لشخصيات يمنية راح أغلبها أيضاً ضحية حوادث اغتيال غامضة طوال فترة حكم الرئيس صالح.

لكن اللافت من بين كل ذلك الكمّ من الصور، التي أعيد لها الاعتبار في ساحات التغيير، ظهور صورة الثائر الأرجنتيني إرنستو تشي جيفارا على جنبات كثيرة من تلك الساحات وبشكل جعل صورته تحتل المرتبة الأولى من حيث كثافة حضورها هناك، وعلى وجه الخصوص في محيط جامعة صنعاء، حيث لا يمكن أن تسير متجولاً لبضعة أمتار من غير أن يواجه بصرك صورة لجيفارا بهيئات وأشكال مختلفة تتراوح بين صور فوتوغرافية ولوحات تشكيلية تفنن شباب الثورة في عرضها وتقديمها. ومن الطريف أن تجد شاباً ينتمي لجماعة حزب الإصلاح الدينية وهو يرفع في واجهة خيمته التي يقيم فيها في الساحة صورة لجيفارا، وعندما تسأله يجيبك على الفور أنه ليس للثورة دين أو جنسية كما أن لديه لحية مثلنا، قبل أن يضيف مازحاً: «يمكننا اعتبار الرفيق جيفارا رئيساً لجماعة الإخوان المسلمين فرع كوبا!».

قصيدة نثر.. إلى إشعار آخر

دمشق - سناء عون

مقهى «قصيدة نثر» الذي حاول منذ انطلاقته تحريك الجو الراكد في مدينة اللاذقية، علّ أوغاريت التي صدرت الأبجدية الأولى إلى العالم، تستعيد بريقها الثقافي، قرر تعليق أنشطته إلى إشعار آخر، فسورية تنزف اليوم.

هذا المقهى القابع في أحد أزقة الشيخ ضاهر، والذي افتتح نهاية 2007م تحول في بضعة أسابيع إلى قبلة للمبدعين.

العبارات المنتقاة بعناية، والموضوعة ببراويز أنيقة على الجدران هي أول المؤكدين على أننا أمام مؤسسة ثقافية اكتست حلّة مقهى. تلك العبارات التي يستبدلها المسؤولان بريء خليل ورامي غدير كل أسبوعين، هي ضيافة على شرف الماغوط، أنسي الحاج، أدونيس، محمود درويش، زياد الرحباني، أمجد ناصر، لوركا، سركون.. شعر، نثر، سرد وكلمات، هي ضيافة تجعلك مضطراً لشرب البيرة دافئة والقهوة باردة، دونما امتعاض.

المقهى يأخذك إلى أجوائه، بابتسامة، وتأمل طويل. ذلك المقهى الذي ولد مثل غلطة، لم تكن ولادته إلا مزحة كما يؤكد بريء خليل: «مشروع قصيدة نثر كان مزحة بيني وبين صديقي رامي، وربما كان من المفترض أن يكون المشروع مؤسسة ثقافية صغيرة لكن لصعوبة العمل في سورية تحول شكل المشروع لمقهى قصيدة نثر، حاولنا أن نعمل بنفس نبض مؤسسة ثقافية غير ربحية».

الداخل إلى المقهى، حتى وإن لم يسمع به من قبل، سيكتشف على الفور خصوصية المكان من خلال صور شعراء قصيدة النثر والتفعيلة، وكبار الكتاب في العالم، الملصقة على الجدران.



مقهى ثقافي.. مقهى متهم

كما يضم مكتبة مؤثثة بنحو ألفي كتاب، تعتبر وجبة دسمة لرواد المكان ممن يعشقون النهل من هذه الفردوس.

هنا العاشق سيترك الكتاب وحيداً على الطاولة، تنفيذاً لتعليمة ورقة صغيرة علقت بجوار المكتبة «الرجاء إبقاء الكتاب وحيداً على الطاولة... نحن نعيده لمغارته السحرية».

أنشطة المقهى بدأت بإحياء عدد من الأمسيات الشعرية لشعراء من مختلف الأجيال منهم: مرام المصري، منذر المصري، لقمان ديركي، محمد مظلوم، سامر إسماعيل، ندى منزلجي، حسام جيفي، إيلي عبدو... كما أحيا عدداً من الأمسيات القصصية لكتاب من جيل الشباب. ولم تغفل عن إقامة حفلات توقيع الكتب، كان آخرها توقيع رواية «إلى الأبد ويوم» للشاعر عادل محمود.

كما استضاف المقهى جزءاً من أنشطة مهرجان «في رحاب المتوسط» بالتعاون مع المركز الثقافي الفرنسي، الذي تضمن معرضاً للتصوير الضوئي لمصورين فرنسيين وسوريين.

أما الضيف الكبير المقيم دائماً في المقهى، فهو محمود درويش، حيث أقيم في الذكرى السنوية الأولى لرحيله حفل بعنوان «لقدمات فقط» استمر ليومين تضمن: غناء بعض القصائد للشاعر بصوت رشا بلال وإلقاء قصائد أخرى.

أقام المقهى أيضاً عدداً من المعارض، كان للأطفال نصيبهم الواسع فيها.

قصيدة نثر هو مقهى يعطيك كل شيء تحتاجه من أفكار ومعنى، ويولد نوعاً من ديناميكية النقاش، والانسيابية في التعامل والطرح.. أدت إلى ولادة حقيقية لمؤسسة ثقافية أهلية غير ربحية هدفها الأول إشاعة القراءة، ورعاية التجارب الجديدة، وخلق جيل من الشعراء الجدد، وأخيراً جعل الحياة أجمل، والناس أكثر فرحاً.

أقام المقهى مؤخراً مجموعة من ورشات العمل، منها ورشة ترجمة استمرت شهراً، أشرف عليها المترجم السوري ثائر ديب، وورشة لكتابة السيناريو بإشراف السيناريست والروائي السوريّ خالد خليفة. كما أقام المقهى دورات لغوية مجانية لتعليم الإنكليزية والفرنسية.

وتعرض لكثير من المضايقات والاتهامات باليسارية وبفتح تجمع ثقافي غير مرخص أو تجمع ماركسيين بحسب تعبير عناصر الأمن تثير الضحك والكثير من السخرية.. التهمة الحقيقية هي مشروع أهلي هدفه الأول نشر الثقافة.

معرض الخرطوم الدولي للكتاب

إقبال ضعيف رغم الخصم

الخرطوم - طاهر محمد علي

منذ ولادته بمناسبة «الخرطوم عاصمة للثقافة العربية 2005» شكَّل معرض الخرطوم الدولي للكتاب أهم إنجازات وزارة الثقافة السودانية، وعلى أمل أن تشهد الدورة السابعة هذا العام قوة شرائية أكبر على غرار العام الماضي، حيث بلغت قيمة المبيعات حوالي مليون ومئتي ألف دولار، اتخذت الوزارة قرارات تلزم الناشرين بخصم نسبة (25 %) من سعر الكتاب، وتعفي الناشرين من الجمارك. لكنه وعلى غير عادته لم يجد الإقبال المتوقع في نظر بعض المراقبين.

دورة هذا العام رفعت شعار (الثقافة هي الفائدة والرائدة لهذا المجتمع). وقد احتفت بدولة قطر، التي شاركت بعرض حوالي (90) عنواناً من مطبوعات وزارة الثقافة والفنون والتراث، والإنتاج الفكري القطري لمنشورات الدوحة عاصمة الثقافة القطرية للعام 2010م. فعاليات المعرض تضمنت ندوات فكرية وثقافية وأمسيات شعرية وعروضاً فنية من التراث والغناء القطري والسوداني. البرنامج عرف مشاركة واسعة من دور النشر العربية بلغت 150 داراً للنشر وبمشاركة 15 دولة.

افتتح المعرض بحفل رحَّب فيه سعادة وزير الثقافة السوداني السموءل بالوفد القطري الذي ترأسه السيد عبد الله ناصر الأنصاري ممثل وزارة الثقافة والفنون والتراث ومدير إدارة المكتبات العامة ومدير معرض الدوحة الدولي للكتاب، وسفير قطر بالسودان علي بن حسن الحمادي، واعتبر الوزير أن مشاركة قطر كضيف شرف مؤشر على نجاح المعرض، يمثل حرص البلدين على العلاقات الثقافية والإبداعية. كما أعلن الوزير تكَفُّل دولة قطر بطباعة (13) ديواناً لكبار الشعراء السودانيين.

من جانبها عبَّرت مستشارة الرئيس السوداني رجاء حسن خليفة عن سعادتها بأن تكون قطر ضيف شرف معرض الخرطوم، مؤكدة على أن دولة قطر دعمت الثقافة العربية بكثير من المبادرات والمعارف بطباعة المجلدات، والأطروحات العلمية وتوفيرها مجاناً للجامعات والمؤسسات الثقافية السودانية.

عرفت فعاليات المعرض أنشطة موازية، حيث تضمن برنامج دولة قطر ندوتين: الأولى قدمت فيها الدكتورة كلثم جبر الكواري ورقة حول المشهد الثقافي القطري، أشارت فيها إلى انعكاس النمو الاقتصادي على تطور المنتوج الإبداعي القطري، وكذلك دور الوافدين ومساهماتهم من خلال المؤسسات الحكومية والأهلية، إضافة إلى البعثات الخارجية للطلاب، فضلاً عن المؤسسات الثقافية وعملها في التنمية الثقافية. كما نبهت الدكتورة كلثم جبر الكواري إلى أن المنتوج الأدبي القطري لم يجد نصيبه من الاهتمام والنقد، وأن الساحة القطرية لم تكن بمعزل عن محيطها الثقافي العربي، بل هي الآن تنطلق من النطاق المحلي إلى العالمي مع الاحتفاظ بخصوصيتها.

أما الندوة الثانية، فقد قدمت فيها الدكتورة هدى النعيمي ورقة بعنوان «الصحافة الثقافية في قطر: النشأة والتطور»، تطرقت إلى الدور الذي لعبه اختيار الدوحة عاصمة للثقافة العربية 2010 في إثراء المنتوج الثقافي القطري، كما تضمنت الورقة سرداً موجزاً لمسيرة المطبوعات الثقافية القطرية منذ سبعينيات القرن الماضي إلى الآن، أكدت فيه الدكتورة هدى النعيمي على دور قطر في نشر وتوزيع الكتاب العربي، وإسهام المطبوعات التي تصدرها في تثقيف المتلقي العربي وتزويده بالمعلومات والمعارف من خلال مجلتي «العروبة»، و«الدوحة» التي تقدم كتاباً هدية مع أعدادها الصادرة شهرياً.

وفي ندوة أخرى قدم الوفد العراقي محاضرة بعنوان «الفن المسرحي العراقي بعد عام 2003م»، وفي الشأن السوداني تم تقديم ندوة حول «الهوية والمواطنة في ضوء المعطيات الثقافية».

كما كان لجمهور المعرض موعد مع أمسية فنية تغنت بالتراث والغناء القطري والسوداني أقيمت على مسرح الفنون الشعبية بأم درمان، بمشاركة المطرب القطري علي شاهين والفنان سعد حمد، ومن السودان عمر إحساس. واختتمت الأمسية بتقديم وزير الثقافة هدايا تذكارية لسفير قطر في الخرطوم ولأفراد الوفد القطري المشارك.





تشريعات إعلامية جديدة بموريتانيا

أبصر النور قانون جديد في موريتانيا، يمثل نقلة نوعية في تاريخها الإعلامي، فقد كشف مؤخراً وزير الاتصال والعلاقات مع البرلمان حمدي ولد محجوب بقصر المؤتمرات عن قانون يقضي بتحرير القطاع السمعي البصري، وإلغاء الاحتكار والمصادرة الإعلامية، وتحويل وسائل الإعلام التابعة للدولة



إلى مؤسسات خدمة عمومية، وفتح الآفاق أمام التعددية والتنوع، وإفساح المجال أمام إذاعات وتليفزيونات حرة. والمعروف أن الفضاء السمعي البصري في موريتانيا ظل طويلاً محتكراً لجهة واحدة هي الحكومة، توجه عبره رسالتها الرسمية بصوتها الأحادي، ومن آثار هذا الاحتكار إعراض أغلب المواطنين عن استقبال بث القنوات الرسمية بسبب أحاديثها الرتيبة، وعجزها الإعلامي في خضم منافسة فضائية قوية، ولطالما احتجت المعارضة على هذا الاستئثار الرسمي بالإعلام المرئي والمسموع.

ويجمع أهل الاختصاص على عظم التحديات التي يطرحها هذا القانون في بلد يحتاج الإعلام الحر فيه إلى مستوى من المسؤولية الواعية للحفاظ على الانسجام المجتمعي في بلد مشحون بالتنوع العرقي والثقافي.

احتفالات مصر الثورة بنصر أكتوبر

في مصر انشغل الساخرون ومواقع النكتة السياسية بالتعليقات الباسمة احتفاء بنصر أكتوبر على صفحات الفيسبوك:

كتب سامح سمير: بمناسبة احتفالات أكتوبر, المشير طنطاوي يوفد مندوباً لوضع إكليل من الزهور على قبر الرئيس جمال عبد الناصر وآخر على قبر الرئيس أنور السادات, وإرسال عيش وحلاوة إلى مقر الرئيس حسني مبارك.

الرئيس مبارك يوفد العقيد أحمد عبد الرازق مأمور سجن طرة لحضور احتفالات أكتوبر نيابة عن سيادته.

وكتب موقع الأدب الساخر:

تهنئة واجبة: إلى كوهين وحيدرا وماما راشيل وبابا - شمعون، وإلى العم ديفيد والخال حاييم وطنط ناتال، وإلى الجد ليشع والجدة بول، إلى جميع الطواقي الصغيرة والذقون الملطخة بالدماء، كل سنة وأنتم متعكنن عليكو بمناسبة 6 أكتوبر وموعدنا قرب جداً بإذن الله.

حماده أبوزيد: الحمد لله الذي أحياني حتى أرى ذكرى أكتوبر العظيم بدون طلعة جوية.. المجد للشهداء.. المجد لجماهير مصر العظام الذين خاضوا ملحمة العبور.

بلا حدود

الجزائر- نوّارة لحرش

الشعراء والكتاب يريدون فتح الحدود بين الجزائر والمغرب، هنا ما برز مؤخراً على موقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك. حيث أطلق الشاعر الجزائري بوزيد حرز الله والشاعر المغربي عبد الرحيم الخصار بياناً على صفحتيهما يستنكر استمرار غلق الحدود البرية بين هذين البلدين العربيين المتجاورين اللذين تجمعهما محبة عظيمة، وقد تم غلق الحدود منذ عام 1994 بسبب بعض الخلافات السياسية بين قيادة البلدين. البيان جاء مقتضباً لكنه دالاً على كل ما يحتويه التاريخ المشترك من الجوار والعلاقات القوية التي لم يقو الغلق على إضعافها أو قتلها والمساس بها يوماً، لأن هذا التاريخ الجميل بين البلدين والشعبين أكبر وأقوى وأدوم من أي غلق ومن أي حدود إسمنتية أو حديدية. البيان لاقى الكثير من الدعم والاستجابة ليس فقط من أدباء الجزائر والمغرب، ولكن من عدد كبير من المبدعين والكتاب من مختلف البلدان العربية، وجاء في نصه: «نحن أدباء ومثقفي الوطن العربي مغرباً ومشرقاً نستنكر استمرار غلق الحدود بين البلدين الشقيقين: المغرب والجزائر، ونخاطب الذين دبروا في الليل هذا الاعتداء السافر على الجغرافيا ونسجوا تلك المكيدة الطويلة محاولين تمزيق أواصر الأخوة والتاريخ المشترك، ونقول لهم: دعوا نهر المحبة والحياة يتدفق حراً عميقاً في جسد هذين البلدين، ولا يحق لكم ولأي جهة أن تغلق الحدود على شعبين هما في الأصل شعب واحد».

وقد وقّع البيان عدد كبير من المبدعين من الجزائر والمغرب ومختلف البلدان العربية.

خفة دم اليمنيين



«لن تستقيم ثورة في اليمن مع وجود نبتة القات»، عبارة ظهرت على السطح مع الأيام الأولى لاندلاع ثورة الشباب اليمنية ووجدت لها صدى على صفحات نقاش كثير من الشباب العربي على «الفيسبوك». وقد تكون تلك العبارة مصيبة انطلاقاً من كون طبيعة إدمان كثير من الشباب اليمني على تناول تلك النبتة يتطلب ظروفاً معينة، كالجلوس في مكان مريح وهادئ جيد التدفئة، وذلك وقت التناول بعد ظهيرة كل يوم وقد يمتد حتى وقت متأخر من الليل. هذا إضافة لحالة العبوس والتجهم التي تنتاب متناول القات. وهي ظروف لا تساعد الشخص على القيام بأي حراك أو مجهود إضافي غير البقاء في التأمل والتخطيط لمشاريع كبيرة ستنتهب لحال سبيلها مع حلول اليوم. لكن مع صحة كل هذا إلا أن عجلة ثورة الشباب تحركت في اليمن وتقدمت لتصل اليوم تخوم شهرها الثامن.

وقد حدث أن قام مجموعة من شباب الثورة بإنشاء صفحة على «الفيسبوك» هدفها إظهار أن نبتة القات الخضراء لا يمكن أن تكون بأي حال من الأحوال عائقاً أمام قيام ثورة، كما هدفت الصفحة التي حملت اسم «خفة دم اليمنيين» إيضاح أن شباب اليمن بدورهم وعلى الرغم من وجود القات بينهم إلا أنهم يتميزون أيضاً بخفة الدم واستلهام روح النكتة في مواجهة ما يحدث اليوم من عنف وقتل لرفاقهم الثوّار في الساحات من قبل عناصر نظام الرئيس علي عبد الله صالح.

وتعمل الصفحة على جمع أحدث الطرائف المتداولة بداخل الساحات عن الأوضاع في البلد أو المواقف المثيرة للسخرية التي يقع فيها رجال النظام.

المطلوب.. غلق قناة «نسمة»

محاولة إحراق قناة «نسمة» الفضائية المثيرة للجدل في تونس لم يكن مظهر الغضب الوحيد ضد القناة التي أججت مؤخراً سخط بعض المتتبعين، بعدما أقدمت على عرض الفيلم الكرتوني الإيراني «بيرسبوليس»، مدبلجاً بالعامية التونسية، والذي تجسد واحدة من مشاهده الذات الإلهية.

يروي سيناريو الفيلم السيرة الذاتية للمخرجة الإيرانية مرجان سترابي التي تشهد قيام الثورة الإسلامية في إيران ثم حرب العراق، قبل أن تنتقل إلى المهجر في أوروبا وتعيش ثورتها الثانية مع اكتشاف لذة التحرر، مع العلم أن الفيلم ذاته نال جائزة خاصة من لجنة تحكيم مهرجان «كان» (2007) وجائزة السيزار (2008). ولم يهضم بعض التونسيين إقدام القناة على عرض «بيرسبوليس» (بلاد فارس) وأنشأوا مجموعة على الفيسبوك، انضم إليها أكثر من 1000 متصفح للإنترنت في ظرف يومين، تطالب بغلقها فوراً ومحاسبة القائمين عليها بتهمة الإساءة للإسلام في بلاد المسلمين.



وسبق لقناة «نسمة» التي انطلق بثها سنة 2009 أن أثارت حولها كثير من ردود الفعل المتضاربة فيما بينها في تونس وفي المغرب الكبير إجمالاً، بسبب ميلها إلى الانفتاح وإلى تقديم برامج «توك شو» على الطريقة الغربية. مما دفع ببعض التنظيمات المحافظة إلى اتهامها بتغريب المجتمع التونسي ومحاولة اقتلاعه من جذوره الأصيلة.

القارئ الشعبي ناقداً



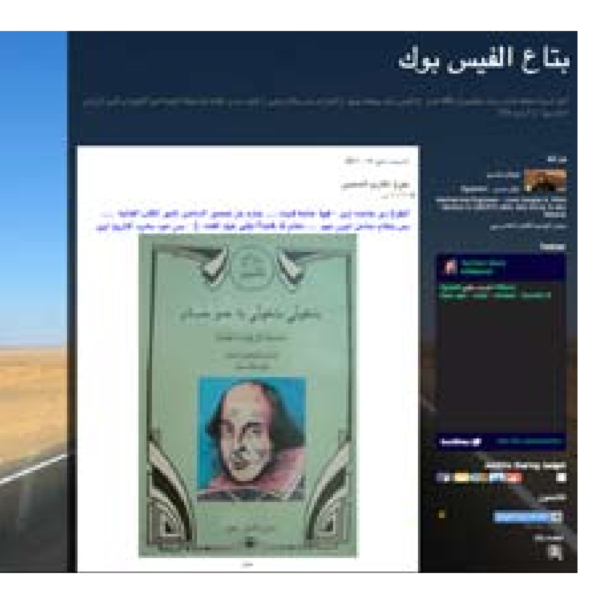
القاهرة - سامية بكري

«ثم لطمتْ كاليوبي، ربّة الشعر، وقالتْ: يا شماتة أبلة ظاظا فينا»، هكذا يصدّر صاحب مدوّنة القارئ الشعبي المجهول مدوّنته الساخرة التي تقوم على الربط بين مضمون الأعمال الأدبية العالمية وأحداث الواقع، واستيحاء عناوين جديدة لهذه الاعمال تتسم بالطرافة وخفة الظل، ويقوم القارئ الشعبي بعرض أغلفة هذه الأعمال بعناوينها الجديدة التي وضعها مُذَيَّلة بالعناوين الأصلية لها، فمثلاً على غلاف مسرحية شكسبير «يوليوس قيصر» كتب: «محاولات شكسبير للوقيعة بين الشعب والجيش»، وفي ذيل الغلاف كتب بخط صغير يوليوس قيصر، وعلى غلاف رواية يوسا «حفلة التيس» كتب: «مالحقش يروح جدة»، وعلى غلاف رواية «سيد الخواتم» ل ج.ر.ر.تولكين كتب: «تفضيل الجان على كثير من بني الإنسان»، وبعنوان «يارجالة إحنا ممكن نفرط في أي حاجة إلا الحرية» جاء غلاف مسرحية شكسبير «هنري الخامس».

أما «امبريالي عفن يندس بين جموع الشعب العمالية» فهو العنوان البديل لـ «عناقيد الغضب» لجون شتاينبك، وتحت عنوان «اللي اختشوا ماتوا» جاء غلاف رواية ساراماجو «العمى».

غلاف «تاريخ الجمال» لأمبرتو ايكو عنوانه يقول: «البت بيضا بيضا بيضا البت بيضا وأنا أعمل إيه» وهي أغنية شعبية مصرية شهيرة.

ومن كلاسيكيات الأدب الشهيرة التي طالتها سخرية القارئ الشعبي رواية «المقامر» لديستيوفسكي والتي صارت: «العب العب العب العب»، و«كيف تؤلف اشتعالة» هو العنوان الذي اختاره لأجاثا كريستي في روايتها «قطار الشرق السريع»، ولم يسلم دانتي صاحب «الحياة الجديدة» من تسميتها «ابن المتشحتفة».



صاحب المدونة لا يُعرّف بنفسه، ولا يدع مجال للتعليق على صفحته التي نالت إعجاب الزوار بربطها بين المضمون الفعلي للعمل الأدبي، وبين العنوان الساخر الذي يستوحيه من الواقع العربي.

كوميديا سوداء سورية

عن حيرة بعض المواطنين البسطاء في سورية حول الأحداث الجارية كتبت الروائية ابتسام تريسي على صفحتها بالفيسبوك تقول:

جارتي عجوز بسيطة جداً لا تعرف ماذا يحدث بالبلد، أحياناً تقول لي: الله محيي الجيش والله لولاه كانت هلكتنا العصابات المسلحة. وأحياناً تقول لي «يعني لك بنتي معقول بشار الأسد ما عنده تليفزيون.؟ أنا بعرف أنو بسيط وأكابر وبحبه، بس والله مالو حق يشتري تليفزيون ويشوف أشو عم يعرضوا على الجزيرة، بلكي بيقلن لا بقى يقتلوا الخلق، والله حرام» حين أشرح لها أنّه يعرف.. تستغفر الله وتقول «استغفري الله يا بنتي... حرام تظلميه، يعني الرجّال أشو بدو يعمل الله يعينو عم يفكر بهموم الخلق كلن وين بيروح بحالو؟» وبعد أن تصمت قليلاً، تسألني : يعني لك بنتي إذا بعتهم على الجولان ما أحسن؟ ثمّ تعود لتقول لي «والله عيب عليهم يقولوا عنه كلام بذيء، الله يرحم جيلنا ما كنا نسترجي نرفع وجهنا قدام الآغا».

عندما قطعوا الكهرباء والماء وخطوط الهاتف قالت لي: «ولك يخرب ديارن إذا واحد مريض وبدو دكتور كيف بدو يتصل فيه؟».

قلت لها: يا خالتي، أنت بتحبي زمن الآغا، وبيعرفوا إنك بتحترميه، وما كنت تسترجي ترفعي راسك قدّامه، لهيك رجعوك لزمن الآغا.. طلعي جيبي مَيْ من العين واشتري لمبة كاز، وانسي أمر التليفون..

طلّعت فيّي وقالت بلهجة ساخرة : مَيْ من العين؟ من امتى، العين ناشفة ! جيب كاز؟ ليش ضل كاز بالدنيا؟



ائتلاف فلول القذافي

تحت عنوان «ائتلاف ثوار 20 أغسطس وما بعدها» كتب صاحب مدونة «أمواج» عبدالدائم أكواص طبيب وشاعر ليبي مقيم في لندن يصف بعض فلول النظام الليبي السابق الذين يسعون للانقضاض على السلطة مرة أخرى ويقول:

بيان رقم1: نبارك نحن - أعضاء إئتلاف 20 أغسطس (وما بعدها) - لكل الليبيين تحرير طرابلس وسقوط نظام القذافي، ونعلن دعمنا اللامحدود لثورة 17 فبراير، حيث نعتبر ائتلافنا رافداً ومكملاً لها، ونظراً لانشغال ثوارنا الأبطال في الجبهات، فإننا نعلن استعدادنا اللامشروط لملء كل المناصب الشاغرة في المرحلة الإنتقالية (وما بعدها)، سواء أكانت هذه المناصب وزارات أو إدارات عامة أو مجالس محلية أو عسكرية أو حتى مدراء مدارس، وذلك لما تقتضيه هذه المرحلة الحساسة من استغلال أفراد ذوي خبرة طويلة في هذه المجالات، فأعضاء الائتلاف متمرسون ولهم خبرة طويلة خلال فترة حكم النظام السابق (وماقبله).

ونؤكد على حقيقة أن هذا الائتلاف يضم نخبة من أبناء الوطن المخلصين يتوزعون على الجهات التالية: أعضاء جمعية المغرَّر بيهم، اتحاد المجبورين، والحركة الوطنية الجهوية القبلية العسكرية المتمدنة، الحركة الوطنية للمتسلقين والعاملين عليها، رابطة الإعلاميين والصحافيين التائبين (المطبلين سابقاً)، مجلس شورى الخبراء (الواصلين سابقاً)، لجان المحلقين حديثاً (كاسكوات سابقاً).

كما نؤكد دعمنا ومبايعتنا للمجلس الوطني الانتقالي (وما بعده) كحكومة شرعية لليبيا.

وإلى الأمام..والكفاح الانتقالي مستمر.



اليوتيوب مشغول بصاحبة نوبل اليمنية

بمجرد إعلان فوز الثائرة اليمنية توكل كرمان بجائزة نوبل للسلام انتشرت على موقع اليوتيوب فيديوهات عديدة لها في أحاديث ومداخلات تليفزيونية، كما زاد الإقبال على فيديوهاتها أثناء التظاهر والاعتصام في ساحات التغيير باليمن، وكان من أبرز تعليقات المشاهدين لفيديوهاتها بعد الفوز:

-«ألف مبروك للأستاذه توكل كرمان»

«قل موتوا بغيظكم» صدق الله العظيم.

«وعلى عين كل حاقد وكل فاسد، أيامكم راحت, وما بقائكم وتشبثكم بالسلطة إلى الآن إلأ لأنكم تريدوا حرق ما تبقى في هذه البلاد، لولا أمثالك من الحاقدين المحاربين لها ما كانت حصلت على نوبل، «احرق في نفسك من الغيظ»، «لله درك يـ توكل, بنت تسوى 1000 رجال»، سعودي في أميركا: «مبروووووووووك لتوكل كرمان».

مخاوف تونسية



على صفحات الثورة التونسية انتشرت التحذيرات المصورة الساخرة من تولي فلول النظام السابق لمقاليد الأمور ودخول البرلمان ونشرت صورة لـ«بن علي» تحاكي خطابه الأخير يقول فيها: «أنا عندي برشة فلوس.. ايه نعم برشة فلوس.. بش نشريكم الكل.. نشري البطال.. ونشري السياسي.. نشري الطالب والخدام واللي يساسي.. ايه نعم برشة فلوس.. بكل حزم.. بكل حزم».

وكتب التونسي سامي سنوسي على صفحته متخوفاً من التيار الإسلامي: «بنو خونج وبنو التجوع ينهبون بتونس إلى جزائر 1991.

إما معنا أو مع..نا! وليس هنالك طريق آخر ثالث.أينكم يا ثوار ما قبل 14 جانفي؟، أينكم يا أحزاب الديمقراطية الاجتماعية الحقيقية؟، دائماً الخراج للدكتاتورية القادمة تحت أي يافطة كانت».



ياما تحت اللحايا.. خفايا

«أحمد مطر تفوق علينا» هكذا كتب المدوِّن والكاتب الكويتي عبد اللطيف خالدي في هذا المقال على مدونته والذي صنفه تحت قسم «ياما تحت اللحايا خفايا» عن أحوال الثورات العربية بعد شهور من قيامها:
وسط هذا الزخم من الثورات العربية وما يُصاحبها من سقوط أقنعة الكثير من - بياعين الحجي - التي يُطبلون لها صباحاً ومساء، أبحث عن تطور يُصاحب سقوط أنظمتها الغبية التي كانت السبب الرئيسي - كما يقولون - لتراجع مستوى الحريات لديها وتدني فكر المواطن خلال فترة حكم قراقوشها الظالم..، كلام جميل جداً جداً و - يفرح أوي -!، لكن أين المواطن المزعوم تطوّره بعد سقوط النظام القمعي؟، عُذراً فالرؤية معدومة ولا أرى من حديثكم الأنيق إلا سراباً من نار وسط أرض مليئة بالعُطاشى!.
جميع الأراضي العربية التي تمت بها الثورات تسقط على وجهها - بعرقلة - سلفية بحتة، فمصر على سبيل المثال



تُهدم من جديد وتعودُ بها خيالات من الحكم السابق، فلا يوجد فرق بين مبارك - أملط -.. ومبارك صاحب لحيه كثة و-مسواك-!، فلو حاولنا النظر عن كثب بالشأن المصري لرأينا حقاً أن نظام مُبارك يعود بأوجه سلفية إرهابية.. كما تعود جماعة - حسب الله - مع مزاميرها بصوت عالي وشكل واضح جداً !.
ويواصل معلقاً على ثورة سورية: الأخطر من كل ذلك أن يُنصَّب شخص ببشاعة - العرعور - كأب روحي لهذه الحركة..، فهل تتأملون واقع سورية القادم في ظل حكم سلفي عرعوري لها؟،
ويختتم مقاله قائلاً: أحمد مطر تفوق علينا بعد أن اعتقدنا بأننا دحضنا كل أشعاره وخواطره وحروفه التي تُهاجم واقعنا العربي المُخزي،
أحمد مطر مرة أخرى:
بعد ألفي سنة تنهض فوق الكتب،

الجميلات الثائرات



«يا أميركا هانت وبانت» كلها كام يوم كان شعار ظرفاء الفيسبوك في مساندة جميلات الثورة الأميركية كما سمّوا الاحتجاجات الأميركية الأخيرة يقول عبدالرحمن فارس أحد أعضاء الصفحة: ظرفاء الفيسبوك والثورة الأميركية، «أنا أدعم الثورة الأميركية ضد النظام الرأسمالي..المتعفن كما أعلن تضامني الكامل مع كل الثوار الأميركان ومع الثائرات منهن بشكل خاص!!».

«ياكبد أمك يا شابة
فين بقى المدعين للحرية لمصر يطلعوا يتضامنوا مع البُنية دي؟
آه لو كنت في أميركا مكنتش خليت حد يمسكك كده
تسقط الغطرسة الأميركية.. المجد للثائرات
أنا عايز أناضل مع مناضلات أميركا»

أصداء وفاة العبقري جوبز:

جاجا تأكل التفاح.. والعرب ينتظرون هدية آي باد

يرددون أن 3 تفاحات غيّرت العالم: تفاحة آدم وتفاحة اسحاق نيوتن، مكتشف قانون الجاذبية، وتفاحة «آبل» التي أسسها ستيف جوبز، ونحن صنعنا مصل التفاحتين. كانت هذه أكثر المقولات انتشاراً على مواقع التواصل الاجتماعي تعليقاً على وفاة مؤسس «آبل» ستيف جوبز.

وكانت أخبار وفاة جوبز قد غمرت الإنترنت من فيسبوك إلى تويتر، من نيويورك إلى أستراليا، حتى أن العديد أطلق مصطلح «آيساد» حزناً عليه.

العديد من الشركات قدمت التعازي وحتى غوغل وضعت رابطاً على المحرك يشير إلى صفحة وفاة جوبز على موقع «آبل»، وتواصلاً مع الحدث المؤسف قام مارك زوكربيرج منشئ الفيسبوك بنعي خاص على حسابه الشخصي بالفيسبوك، وكان نصه التالي: «ستيف، شكراً لكونك صديقاً ومثلاً أعلى، وشكراً لأنك بيّنت أن ما تصنعه يمكن أن يغيّر العالم.. سأفتقدك».

كماعبّرت المغنية العالمية ليدي جاجا عن بالغ حزنها، وكتبت على صفحتها الشخصية على تويتر تقول: «شعرت بحزن وألم شديدين عندما علمت بوفاة رائد وعبقري التكنولوجيا ستيف جوبز، الذي استفاد العالم كله من خبراته واختراعاته ذات البصمة الواضحة، فاليوم قمت بتصفح الإنترنت من إحدى اختراعاته التي أمتعنا بها، سأقوم بأكل التفاح اليوم بأكمله»، أما مستخدمو المواقع الاجتماعية العرب فقد غير كثير منهم صور البروفايل لصورة جوبز، كما نشروا العديد من الصور والمعلومات عن سيرته ومقولاته الشهيرة مثل:

- الابتكار والإبداع هو ما يميز بين القائد والتابع.

- وقتك محدود، فلا تضيعه وأنت تعيش حياة شخص أخر، لا تدع ضجيج آراء الآخرين يحجب صوتك الداخلي. والأهم من ذلك، لتكن لديك الشجاعة لملاحقة ما يمليهما قلبك وحسك، لأنهما بطريقة أو بأخرى يعرفان بالضبط ما تريد أن تكون، كل شيء آخر ثانوي.

ونشر كاريكاتير يوضح حزن أجهزة الموبايل والكمبيوتر عليه وصورة لنصب تنكاري له على شكل موبايل كبير.

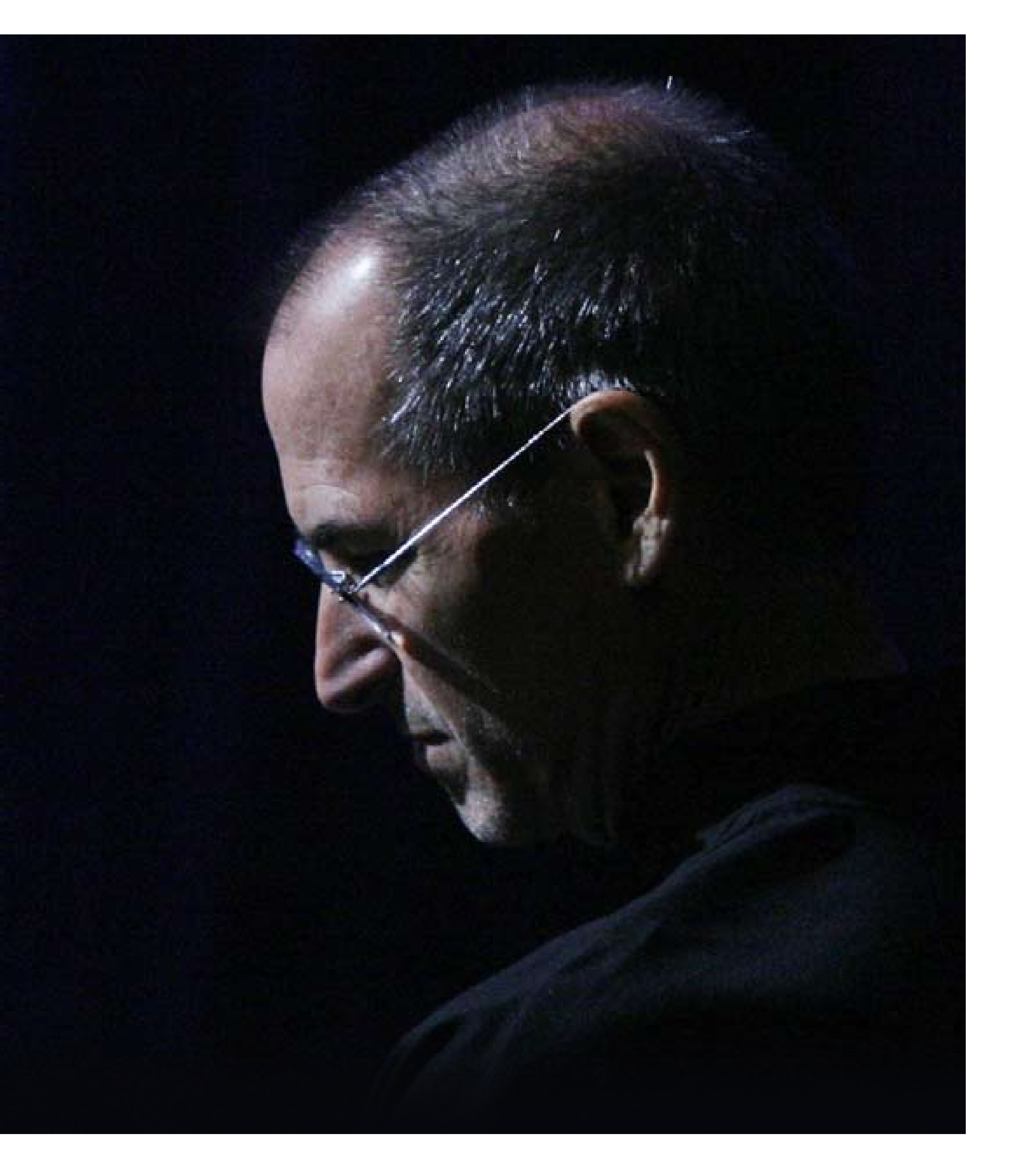
أما الطريف فهو انتشار مجموعة من الرسائل بين مستخدمي المواقع الاجتماعية خصوصاً فيسبوك وتويتر مفادها أن آبل توزع آيفون وآيباد مجاناً تخليداً لذكرى جوبز، الإشاعة التي انتشرت كالصاعقة بين مستخدمي الإنترنت. بل وأكثر من ذلك بعض الهاكرز استغلوا الفرصة للقيام بإنشاء تطبيقات خبيثة على الفيسبوك وإشهارها في الصفحات وبعض الحسابات المسروقة، مما أدى إلى ازدياد عدد ضحايا هذا الإعلان الوهمي. فيما البعض الآخر عمد إلى إنشاء صفحات على الفيسبوك تطلب من المستخدم القيام بإعجاب (لايك) لمجموعة من الصفحات لكي يكتشف من بعد أن الأمر لا أساس له من الصحة وأنه فقط كان عامل على زيادة عدد معجبي تلك الصفحات.

اتفاقية لتبادل المخلوعين

على صفحة سورية الحرية نشرت صورة كاركاتيرية ساخرة للرئيسين السوري بشار الأسد واليمني علي عبد الله صالح وصاحبها هذا التعليق:

«تلقى الرئيس بشار حافظ الأسد عصر اليوم مكالمة من فخامة الرئيس المخلوع اليمني علي عبد الله صالح..وقد هنأ كل منهما الآخر باسم جمعة اليوم..هنا وقد تم بحث مبادرة المتّة مقابل القات، واقترح السيد الرئيس تنفيذها على وجه السرعة..في حين صفن نظيره اليمني بعد أن خزّن الكثير الكثير من «الأفكار» ونطق..فاتنا الغطار.. فات فينا الغطار!

وما زال بشار يشرح للرئيس اليمني تعريف القطار وأنواعه وفلسفة السكك الخلاقة حتى هذه اللحظة..وتلوح في الافق بوادر مدسكة حديدية بين دمشق وصنعاء لتبادل الرؤساء المخلوعين..والذي منه».



ستيف جوبز

كاهن وادي السيليكون

مات ستيف جوبز ولن يتجلى مرة أخرى على المؤمنين بمنتجاته، لكن عبادة التفاحة مستمرة، وقد خرج الجيل الجديد من آي فون في موعده وكأن إطلاقه جاء نوعاً من رحمة ونور على روحه من كهنة المعبد حيث الإهداء «إلى جوبز» بينما تدفقت جموع المؤمنين بتفاحة جوبز على أبواب المتاجر. مستخدم من اليابان قال إنه وقف مع صديقه ثلاثة أيام ليتمكن من الحصول على الجهاز لحظة إطلاقه.

تفاحة آبل التي ابتدعها جوبز هي الثالثة في التاريخ التي تغير العالم بعد التفاحة التي قضمها أبونا آدم فأخرجتنا من الجنة وتفاحة نيوتن التي سقطت على رأسه فألهمته قانون الجاذبية.

كان مدير آبل، يصر على تقديم انتصاراته بنفسه، في مشهد يخلط بين كاريزما القائد العسكري والديني.

في كل مرة يتجلى فيها جوبز على خراف الله التكنولوجية، لعرض منتجه الأحدث، يخرج أحد مساعديه مثل مؤمن جديد يعرض رحلته من الشك إلى الإيمان بآبل، شارحاً كيف تسعى مايكروسوفت لتقليدها، لكنها للأسف تبقى مايكروسوفت في النهاية، مثيرة للشفقة مثل سمين مترهل يصر على تقليد ألفيس بريسلي!

وبعد أن تلتهب أكف المؤمنين بالتصفيق، ينسحب المساعد، ويتجلى ستيف النحيف كراهب بلحيته البيضاء، وتي شيرته الأسود فوق بنطلون الجينز، خلفه شاشة ضخمة في خلفية مظلمة لفضاء واسع، الشاشة تضيئها علامات إصدارات مختلفة من نظام التشغيل، كأيقونات لا يبدو منها سوى الهالات الذهبية تلمع فوق الرأس في ظلام المذبح.

آبل سبق أن قدمت عند اقتحامها لسوق الكمبيوتر الشخصي عام ١٩٨٤ الإعلان الأنجح في تاريخ الدعاية الأميركية، والذي يعرض مستخدمي الكمبيوتر حليقي الرؤوس في صورة عبيد للأخ الأكبر الشيطان IBM، في اللحظة التي تقتحم الفتاة الحيية آبل المكان وتهشم بمطرقتها رأس الأخ الأكبر وتحرر العبيد!

وقد أسست آبل بذلك لتقليد في العداء بين شركات الكمبيوتر، وأخذ مبشرو مايكروسوفت ينهون مواعظهم بذلك الشعار الظافر والشامت، خذ هذه يا آبل!

في فيلم قراصنة وادي السيليكون تتعايش الديانتان، حيث يقدم الفيلم قصة المؤسسين الكبيرين، ستيف جوبز وبيل غيتس عندما كانا صبيين غادرا المهد بقليل من السنوات، وقليل من المؤمنين، وكثير من الشظف، وتمكنا من تأسيس شركتيهما في قبوين أو كهفين.

والعلامة الفارقة في الاثنين التي تميزهما عن البشر العاديين، ويصران على إبرازها في الحوارات والسير المنشورة، هي أنهما غير جامعيين (ألا يساوي هنا أمية الأنبياء في الأزمنة الغابرة؟).

في الفيلم نرى لحظة الإلهام التي أضاءت طريق هجرة جوبز من الجامعة، أثناء مظاهرات الطلاب في عام1971، حيث يحاول الاختباء من العنف داخل الحرم الجامعي مع صديقه ستيف وازنيك، شريكه فيما بعد.

دخل ستيف الجامعة لمدة فصل دراسي واحد، واكتشف أنه لم يخلق لهذه الحياة، فترك الجامعة وواصل تعليمه الحر، وبهذا تضاف الأمية الجامعية إلى العصامية لتصنعا معاً أسطورة كاهن وادي السيليكون.



مات نتيجة خلل لم يمكن إصلاحه

الرؤيويّ المتمرد

| جهاد صُعيليك - دبي

ها هو ستيف جوبس المفكر المبدع لكثير من المنتجات التي غيَّرت وجه علاقتنا بالحاسوب، يمضي نتيجة «خلل لم يمكن إصلاحه»، كما كتب على شاهد قبره.. لكنه سيبقى ملهماً ليس فقط للعاملين في مجال التقنية، بل وفي تطبيقات إدارية وفنية شتى، لأن هذا الرجل جعل عنوان أعماله الإبداع، فأبدع في الإدارة والقيادة، وفي التسويق والمبيعات وفي التواصل مع الجمهور، وأبدع في التصميم الصناعي وبناء المنتجات، تماماً مثلما أبدع في البرمجة وتطوير التقنيات!

أدرك هنا أننا استمرأنا في العالم الثالث تغييب توصيف الإبداع إلا عن الأعمال الأدبية والفنية، متناسين أن الإبداع الحسي في العلوم والتقنية أبلغ أثراً وأكثر فائدة، خاصة إذا اقترن بالتيسير على الناس وتطوير قدراتهم. كم من أديب ينعم الآن بما وفرته له فكرة الآي باد العبقرية من مساحة وآفاق.. أيجوز هنا أن يكون هذا الأديب مبدعاً؛ وصاحب الآي باد ليس كذلك؟

الواقع أن ستيف جوبس تعامل بشكل غير مباشر مع هذه الإشكالية، إذ كان هو نفسه فناناً صمم الكثير من المنتجات التي قدمها، وأضاف إلى ذلك قدراته التقنية ومعارفه الواسعة، فابتكر ما نعرف اليوم من منتجات عديدة بدءاً من الأبل 1 ووصولاً إلى الآي باد.

وإذا أردنا أن نلخص تجربة ستيف جوبس مع التقنية ومنتجاتها في عبارة واحدة، نقول: إنه جعل سهولة الاستخدام تأتي قبل التفوق التقني! وهو أمر مهم لم يساعد على انتشار المنتجات التي صممها فحسب، بل أسهم كثيراً في محاربة أمية الحاسوب، وتطوير التعليم من خلال إدخال هذا الحاسوب نفسه إلى الغرف الصفية، وخاصة في البلدان التي استكملت ذلك من خلال منظومة من البرمجيات المنتجة والمفيدة للأغراض التربوية المختلفة أسرياً ومدرسياً.

لعل أجمل وصف سمعته لستيف جوبس أنه «رؤيويّ متمرد»... وتلك حقيقة مهمة تتضح إذا تذكرنا أن ستيف لم يكن مجرد قائد إداري لشركة رابحة، بل كان كبير مديري المنتجات فيها والمسؤول الرئيسي عن تطوير أعمالها، ثم هو فوق ذلك أصبح أنموذجاً لتأسيس شركة من لا شيء تنتقل إلى العالمية بفضل أفكاره في أقل من سنة، وهو ما فعله مع شركة (نكست) مثلاً التي خصصها لتطوير أجهزة حوسبية متقدمة مخصصة للإنتاج السينمائي والتليفزيوني قبل أن يبيعها إلى أبل نفسها بعد ذلك.

واللافت هنا أن الرجل كان معنياً بشكل أو بآخر، بتطويع التقنية لمستويات مختلفة من الإبداع الفني الذي نعرف، كأن الفنان في نفس الرجل اجتنب التقني وتمازجت أفكارهما في فكرة واحدة عبقرية.. أجهزته في أبل هي التي فتحت الباب على مصراعيه لكل ما نعرف اليوم من الإخراج الصحفي للمجلات والمطبوعات على اختلافها، ورقمنة الموسيقى والأفلام وما سواها، أما بيكسار فهي التي أدخلت الرسوم المتحركة إلى دور السينما من بوابة الكمبيوتر، ولكم هنا أن تتذكروا أفلاماً من مثل توي ستوري، وكارس, والبحث عن نيمو، وغيرها. وقد أصبحت بيكسار هذه جزءاً من عالم ديزني منذ نهاية 2006.

وقد أتيحت لي الفرصة ربيع ذلك العام أن أعايش جزءاً من هذه الرؤيوية المتمردة خلال زيارة لمقر شركة بيكسار ؛ للالتقاء بالفريق العامل على فيلم كارس، ولعبة الفيديو المكملة له، فما إن وصلنا إلى مبنى الشركة في وادي السيليكون حتى بدأنا نلحظ شيئاً مختلفاً.. فالمبنى الضخم (300م عرضاً في مثلها طولاً) كان يحوي ملعباً للتنس، ومسبحاً، وصالة للتمارين الرياضية وغير ذلك من إضافات اعتاد الناس عليها في الوادي. بيد أن أكثر ما استوقفنا أن المبنى على ضخامته لم يكن يحتوي إلا على دورة واحدة للمياه.. وكان لافتاً طابور الواقفين أمامها.. كما كان لافتاً أن مرافقنا يؤشر إلى ذلك الخيار متفاخراً باعتباره من أفكار ستيف جوبس نفسه!

لماذا؟ وجهة نظره كانت أنه كلما جعلت الموظفين من أقسام مختلفة يتواصلون معاً تمكنوا من ابتكار أفكار جديدة وإبداع أعمال غير مسبوقة. لم تكفنا حقيقة أن التفكير بإنتاج فيلم كارس (وشخصياته من السيارات الناطقة) نفسه بدأ في ذلك الطابور، فأردف مرافقنا ضارباً لنا مثلاً عملياً!

قال: إن إحدى الأفكار التي تلاقي الاستحسان في الفيلم تتمثل في أن المشاهد الخلفية تظهر فيها الجبال في الأفق تشبه السيارات، هي من بنات أفكار محاسبة تحادثت مع زميل لها من قسم الرسوم المتحركة أثناء ذلك الطابور، وسرعان ما اقترحت عليه فكرة مختلفة لخلفيات مشاهد الفيلم.. أن تبدو الجبال للسيارات، أشباه سيارات!

كان ذلك أنموذجاً لإبداع جوبس كقائد إداري في فن إشراك الموظفين في العملية الإبداعية، وهذه مهارة إدارية رفيعة في استثمار كافة الطاقات، لا تعطيلها، لهذا نجد أن شركاته هي من الأقل خسارة للموظفين.

تستوقفني كثيراً تجربة الرجل مع السرطان، خاصة حين أستمع إلى خطابه الشهير في إحدى الجامعات الأميركية في بدايات معاناته مع المرض الخبيث.. كان يتحدث للطلبة بذهنية متصوف، يذكرهم أن الموت استمرار للحياة، لا نهاية لها، وأن عليهم فهم ذلك بأسلوب منتج يتمثل في تعلم الاستفادة من وقتهم وأيامهم بشكل مثمر.

لكن الأبرز حقيقة أنه واصل العمل إلى ما قبل شهر من الموعد الذي توقعه له أطباؤه! بدا الأمر كما لو كان مسافراً في مهمة، يواصل العمل في المكتب، ثم عندما يحين الوقت يذهب إلى البيت للاستعداد! لا أعرف كيف تشعرون، فما أراه أنه كان سلوك رجل يتعايش مع السرطان، ويخطط للقضاء عليه، لا للاستسلام له! كم من دروس النجاح يمكننا أن نتعلم من مريض مصاب بالسرطان، حتى وهو في آخر أيامه! أذكركم هنا أن هدية ستيف جوبس الأبرز لعالم الإنسانية، وهي الآي باد، صممها وهو في خضم الفترة التي أجريت له فيها عملية خطيرة تتصل بسرطان البنكرياس عام 2009!

ينتمي ستيف جوبس إلى جيل غيَّر العالم من جراج العائلة! هو مع ستيف وزنياك زميله يصممان أول أجهزة الماكنتوش في النصف الثاني من السبعينيات، بينما بيل غايتس وستيف بالمر مشغولان بتطوير نظام دوس الذي فتح لنا ما فتح من آفاق البرمجة والحوسبة واستخداماتهما المختلفة!

لكن تجربة جراج العائلة هذه تمثل تحدياً لنا نحن العرب أكثر من غيرنا، لذلك دعوني أستفزكم بمعلومة هنا: فقد كان ستيف جوبس في الحادية والعشرين من عمره فقط حين أسس شركة أبل، التي تزيد قيمتها اليوم عن 800 مليار دولار أي أكثر بكثير من القيمة الإجمالية لبعض الدول! ومع ذلك كان للرجل من الجرأة الذاتية ما يكفي ليقول إن سعادته تكون حين يستفيد الناس من منتجاته لا حين ينشغل بعدِّ أرباحه!

حين أستذكر ستيف جوبز فإنما أستذكره كإنسان مبدع أجاد استخدام ما منحه الله من قدرة على التفكير المختلف.. أما الذين يحلمون أن يكون أبناؤهم على هذا القدر من الإبداع، فأقول لهم: عَلّموهم أن لا يخافوا من التفكير، وألا يفكروا مثل بقية الناس، فقد قال رجل حكيم ذات يوم: إذا فكرت مثل بقية الناس فليس من المحتمل أن تأتي بشيء جديد! وهذه هي القاعدة الذهبية للتفكير... النقدي (وليس الإبداعي فقط)!



خوان جويتيسولو

زمن ابن خلدون الآن

ليس مبالغة أن نقول إن الربيع العربي هو أكبر حدث تاريخي في العالم العربي الإسلامي منذ فترة الاضمحلال التي التقطها ابن خلدون بعظمة. فبصيرة المؤرخ الكبير المعروضة في صفحات «المقدمة» (وترجمها للإسبانية وكتب مقدمتها فرانثيسكو رويث خيرلا) والتي تناولت تفسخ ممالك الطوائف بشبه الجزيرة الأيبيرية ثمرة واقع لا يمكن تحمله، لم تفقد رونقها في عام 2011. كان ابن خلدون مطّلعاً على علوم وفنون عصره، بمعرفة وخبرة تراكمت على مدى سنوات حياته بجانب ملوك ورؤساء متشبثين بسلطة ينهار أساسها، وسمحت له بتشخيص صائب لدورات صعود وسقوط الامبراطوريات يمكن تطبيقه ليس فقط على حضارة زمنه بل أيضاً على حضارة زمننا. وكما يقول أحد أفضل العارفين بالتأثير العربي في الثقافة الإسبانية، البروفيسور الفخري بجامعة هارفارد فرانثيسكو ماركيز بييانويبا: «كان جمّ انشغاله يتركز في مصائر الإسلام، الذي كان يراه ينهار سواء في الغرب أمام الدفع المسيحي (غرناطة) أو في الشرق أمام المغول (دمشق)».

لقد كانت العصبية التي تأسست عليها الأسر الملكية الأفريقية، التي أرادت أن تعكر العالم بفورانها، كما يلاحظ ابن خلدون، تقضي على حياة هذه الأسر وتتسبب في انحدارها. وكان التذبذب بين الجذب والطرد، بين التكامل والتفسخ يتم عن طريق قمع الشعوب التي تستهلكها سلطة يجزمون بعدم شرعيتها، وبعد فترات طويلة من الخنوع والنعاس، يخرجون من سباتهم ويدخلون في الغليان.

بكل وضوح، لم يكن عالم ابن خلدون هو نفس العالم الذي نعيش فيه الآن، غير أن الحقيقة البازغة لوجودنا في نهاية المطاف داخل رأسمالية شرهة ووحشية تهددنا بإفلاسها الكلي، وانحدار الامبراطورية الأميركية في المجال الاقتصادي والسياسي والعسكري، وعجز أوروبا بدولها السبع والعشرين عن ضبط نشاز كورال أصواتها، وصعود الصين الذي لا يمكن إيقافه وهيمنات أخرى ناشئة، يدعو لقراءة «المقدمة» التي يمكن من خلال صفحاتها قراءة وتفسير الثورات العربية التي انطلقت في عام 2011.

لقد تبخرت في الحال الآمال التي أثارها النضال ضد الاستعمار من المحيط إلى الخليج وتحرُّر الدول العربية بالتتابع. وكما تحققت في حالة الجزائر، فإن الحركات الديمقراطية والداعية للتفتح قد سحقتها بلا رحمة الأنظمة العسكرية التابعة لحزب أوحد وأقامت باسم القومية والوطن سلطات ديكتاتورية قليلاً ما ارتبطت بالمبادئ التي كانوا يعلنونها بالخارج. وكما حدث في مرحلة الخلافة الأخيرة، أخفقت وساوس التوحد. وانتقال السلطة من الأب إلى الابن أو إلى العشيرة العائلية سواء لأسرة الأسد أو صدام أو الحكام المصريين أو التونسيين أو اليمنيين تؤكد التحليل الذي أسس له بصواب المؤرخ الكبير المدفون في القاهرة. وما الطغيان وجنون العظمة واحتقار الشعوب واستخدام الدين كأداة في خدمة السلطة الموجودة في أغلب الدول العربية إلا تلاؤم لدورة سُجلت من قبل في دورات النظام الكلي الذي أشرت إليه من قبل.

لم يهتم إكليشيه الحتمية الشهير المترسب في الخيال الأوروبي والذي كان موضوعاً لآلاف الكتب والأبحاث ودراسات المتخصصين الأوروبيين والأميركيين الشماليين بملاحظات ابن خلدون الذي، كما يقول ماركيز بييانويبا

في دراسته المشار إليها سابقاً، كان يدرك أن: «الحياة في مجتمع تشبه ظاهرة ثقافية، خاضعة لقيم ذات توازن غير مستقر، وتحت قانون عقل بشري غير معصوم، يمكن بالطبع أن يصيب أو يخطئ».

ما من شيء كان مكتوباً يحتم على شعوب تونس وسورية ومصر وليبيا واليمن قبول أشياء تبرر القمع والفقر والاحتقار من جانب أصحاب السلطة. هذا الوعاء الذي كان يغلي فوق نار حمراء كان يجب أن ينفجر، وانفجر أخيراً مع احتراق بائع الفواكه الشاب محمد بوعزيزي.

المتحدثون باسم عقيدة الحتمية العربية، وجدوا أنفسهم، بعد ثورتي تونس ومصر، مضطرين لجمع شموعهم المتناثرة ليواصلوا تماسكهم، ويعيدوا صياغة ما قالوه من قبل، وليتنبأوا بذلك بوجوه مدهوشة بأن الفائدة الوحيدة من هذه الحركات الشعبية والتلقائية ستكون صعود الإسلاميين السلفيين.

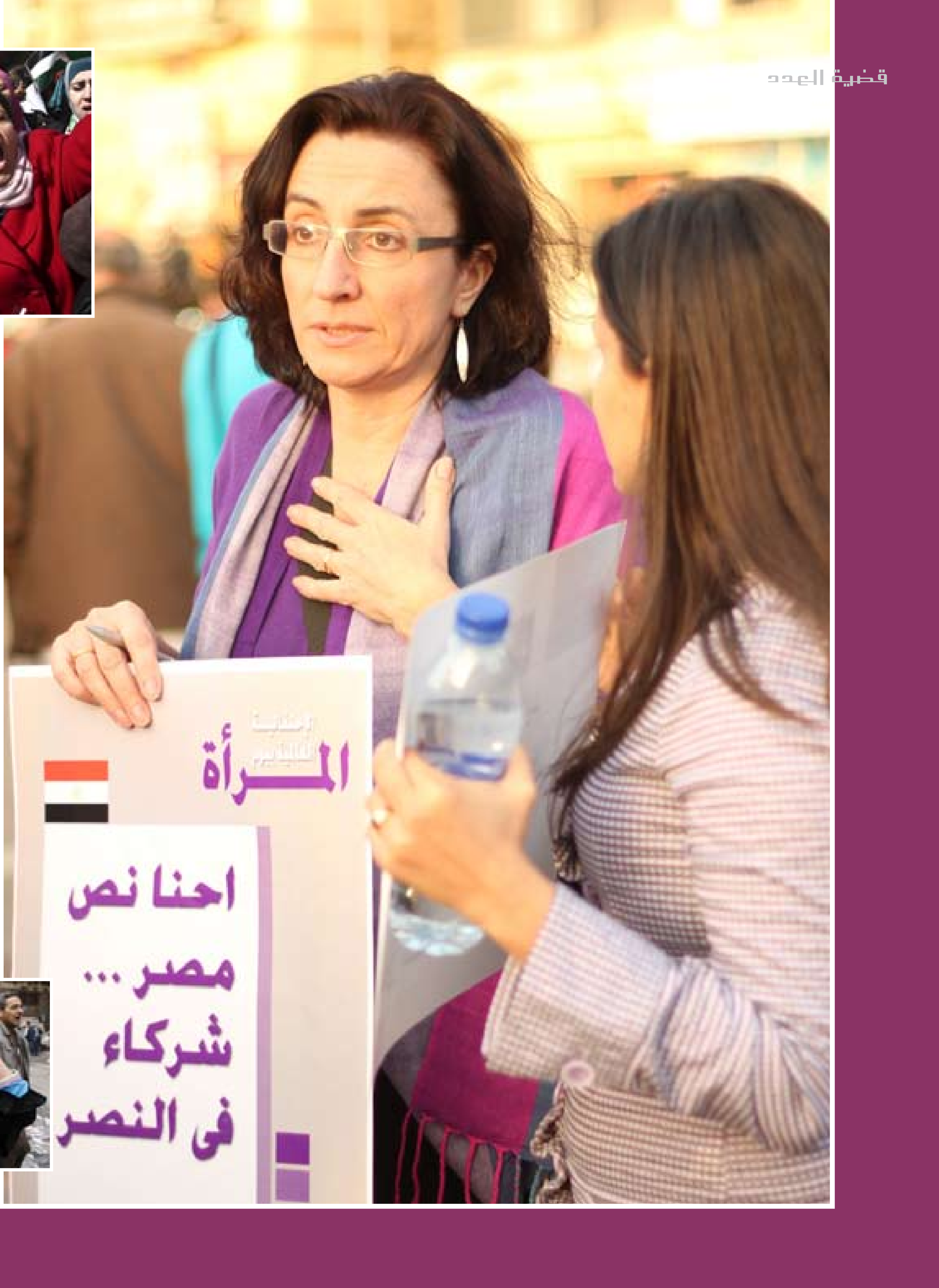
ومن بين ما جمعته عن الربيع العربي، أعتقد أن مجموعة مقالات علاء الأسواني «الثورة المصرية» والتي بدأ في كتابتها قبل سقوط مبارك، هي أفضل مثال على بقاء روح ابن خلدون المنطقية والبرجماتية في الوقت نفسه عن طريق تحليله للتدهور السياسي والأخلاقي والاجتماعي الذي لا يمكن أن نلصقه بقدر فَرَضه مرسوم إلهي بل بأنانية وعجز وفساد نظام قمعي يستغل الدين ليُصمت البؤساء.

ليعذرني القارئ إن استعرتُ كلمات مؤلف «عمارة يعقوبيان» التي تعني إن: «مصر تتساقط قطعة قطعة بينما لا يشغل بال الرئيس مبارك، الذي يحكم مصر منذ أكثر من ربع قرن وأدى بها إلى الهاوية، سوى توريث الحكم لابنه»، و«لقد وصل الوضع في مصر إلى مداه وما عاد من الممكن الاستمرار في الصمت. هناك ملايين من المصريين يعيشون في ظروف تحت الإنسانية، في عز الفقر والبطالة والأمراض والقمع والفساد الذي لم يسبقه مثيل».

نعم، البؤس والبطالة والقمع وغياب الأفق عند شباب بلد 70 % من إجمالي 80 مليون نسمة يعيشون في فقر ولا تزال رواتبهم الشهرية واقفة عند ما يساوي 40 يورو، فلم يكن بوسعهم أن يحتملوا. أنا أعرف ما أقول: لقد أقمت فترة قصيرة عام 1985 في مدينة الموتى (مقابر البساتين) بالقرب من ضريح عمر بن الفارض ورابعة العدوية، وبالقرب من شعب ينال احترامي بلا حدود وأحبه كما أحب شعبي، ومنذ ذلك الحين رافقني استفزاز أخلاقي أمام ظروف معيشتهم. في زيارتي قبل الأخيرة إلى القاهرة، في عام 2009، وبعد غياب طال لعشر سنوات، تحققتُ من أن هذا الوضع، بدلاً من أن يتحسن كما اعتقدتُ، قد ساء ووصل إلى العواقب التي أشار إليها الأسواني. في 15 يناير/كانون الأول من هذا العام، رداً على أسئلة صحافيين في برشلونة حول الرأس التالية بعد بن علي، قلت بجد:رأس الفرعون.

ستظل الدورة التاريخية الجديدة مفتوحة في مدار دار الإسلام، مع التقدم والتقهقر، مع القمع والمنابح، متحديةً إرادة الطغاة بإبادة الشعوب قبل أن يرحلوا عن كرسي الرئاسة. علينا أن نقرأ بتركيز «مقدمة ابن خلدون»، فإدراكه الشديد للأحداث يشملنا جميعاً.

ترجمة: أحمد عبد اللطيف


المرأة
احنا نص
مصر ...
شركاء
فى النصر



النصف الحلو من الثورة

مثلما أدهشت ثورات العرب العالم وأربكت حسابات دول عظمى، أدهشت المرأة العربية الدنيا بتقدمها صفوف الثورة في مختلف بلاد العرب. وإذا ما حاولت الذاكرة استعراض أسماء المدونين والناشطين في وقفات الاحتجاج التي مهدت لهذا الربيع وشاركت في ثوراته ستحضر أسماء شابات مثل إسراء عبدالفتاح، طل الملوحي، وتوكل كرمان، مثلما تحضر أسماء الشباب.

وبكل قوة عدم الحياء السياسي التي سدت طريق الأمل أمام الشعوب، قاومت الأنظمة المستبدة بشراسة النصف الحلو من الثورة. اغتيال حقيقي ومعنوي وتعذيب ومعتقلات ونفي وتحرش، إجراءات فظة لم تخف المرأة أو تجعلها تتراجع، لأن البنت مثل الولد، كلاهما اكتشف طعم الحرية الأجمل من طعم الحياة.

ومثلما ساهمت المرأة العربية في صنع الثورة، ساهمت الثورات في خلق صورة جديدة للمرأة ذاتها وللمجتمع العربي، حيث لم يقتصر خروج المرأة ضد الاستبداد على فصيل سياسي أو طبقة اجتماعية واحدة. شاهد العالم الفتاة العصرية المحمولة على أكتاف زملائها من الشباب والمحجبة والمنقبة بين الثوار. مشهد يربك حسابات من صدقوا أكاذيب عدة قرون من الاستشراق صنعت صورة نمطية للمرأة العربية والمسلمة في الغرب الذي سيكتشف مع هذه الثورات أن الأزياء تقليد اجتماعي لا يمنع التفكير ولا يقتل التوق إلى الحرية.







تونس: الحرية الحمراء أنثى.. لا قاعدة ولا تطرف



يبدو أن مقولة ابن عربي «المكان الذي لا يؤنَّث لا يعوَّل عليه»، تنسحب على ميادين التحرير العربية. وهذه الحقيقة تعرفها السلطة بأكثر مما يعرفها الثوار، لذا فقد جعلت من جسد المرأة ساحة لحربها من أجل البقاء.

الثورة التي لا تُؤَنّث لا يُعَوَّل عليها

جسد المرأة ساحة للحرب

عزت القمحاوي

لم يفرق المستبدون بين الرجل والمرأة في القتل. لم يراعوا حرمة لحياة أو حرمة للجسد المنتفض أياً كان نوعه، لكنهم خصوا المرأة بتنكيل من نوع فريد، إذ حولوها إلى ساحة حرب إضافية، حرب أيديولوجية تستهدف تشويهها والحط من مكانتها الاجتماعية.

المستبد يقلد ولا يبتكر. والحرب الأيديولوجية تستند إلى تاريخ طويل من الاستخدام السياسي لجسد المرأة العربية بالذات، حيث كان تزييف هذا الجسد وإضفاء الغرائبية عليه عبر اللوحة والكلمة أحد أسوأ عمليات التزييف الاستشراقية.

في لوحات ونصوص المستشرقين كان الجسد الأنثوي العربي يتأرجح بين حدين متناقضين: العري الكامل في الحمامات العامة وأسواق الرقيق- حيث يتفحص البائع والمشتري كل تفصيلة في الجسد - وبين التغليف الكامل بألف طبقة من الملابس وألف رتاج على باب الحرملك المفعم بالأسرار.

وبين حدي الكشف والإخفاء كان هذا الجسد الأنثوي المؤدلج أحد أهم المعابر

من استعارة بضاعة الاستشراق الغربي ثم تسويقها لديه، لكنهم خصصوا صورة المرأة المتشحة للغرب، بينما أرادوا ترويج صورة المرأة المتهتكة لدى مجتمعاتهم المحافظة!

«إنها ثورات إسلامية ولن تكون مصالحكم مضمونة بعد سقوطي» استراتيجية استخدمها زين العابدين. ومن دون ابتكار أو تجديد استخدمها من بعده مبارك وصالح والقذافي وبشار. كلهم قالوا إن تنظيم القاعدة وراء ما يحدث ببلادهم، وكانت صورة المرأة المغطاة سلاحهم الذي انكشف سريعاً، مثلما انكشف سلاح العري أو التعرية بمعنى أدق.

لم يكونوا محظوظين في الحالتين، فصورة المجتمع العربي لم تعد تذهب إلى الغرب عبر رسوم أو كتابات عدد قليل من الفنانين والكتاب المغامرين الذين جاءوا إلى الشرق بمبادرتهم الخاصة أو أولئك المحمولين بين جنود الغزو، كما في حالة حملة نابليون مثلاً. الآن صار هناك البث الحي من الشوارع وساحات الحرية. وفي الوقت نفسه لم تعد السلطة مهيمنة على كل رسائل الداخل، فهناك الفضائيات الأخرى والإعلام البديل عبر الإنترنت، وهناك العدد الكبير من المشاركين في الثورة الذين شهدوا بأنفسهم على كذب ادعاءات الطغاة وخدمهم الإعلامي.

صورة فتاة سمراء ذات رداء أحمر محمولة على أعناق رفاقها الشباب تهتف للحرية أسقطت ادعاءات زين العابدين بن علي حول تطرف الثوار، وكان انهياره السريع وخروجه أقل خسة من خروج باقي الساقطين حتى اليوم، ذلك لأن زين العابدين وإن تطابق نظامه مع كل الأنظمة الأخرى في الكثير من المخازي فإنه كان مخلصاً لعلمانيته الاجتماعية، ولم يلجأ إلى التشويه الأخلاقي للمرأة الذي لجأت إليه بقية الأنظمة، بتفوق منقطع النظير للقذافي الذي بلغ الحدود القصوى في التمثيل بجسد المرأة سلماً وحرباً.

عندما أراد القذافي أن يمد ثورته إلى



الجسد المحجب يثور أيضاً





سورية: تأنيث السلطة والتأييد

العراق. ومن يتذكر تلك الأيام سيرى كيف كانت قناة سي إن إن تركز على كومات النساء المتشحات بالسواد في بغداد، بينما كانت التقارير الحقوقية تتحدث عن تعرية النساء واغتصابهن أحياناً عند الاستجواب.

ولم يخرج الطغاة عن تناقض الكشف والإخفاء عند التعامل مع جسد المرأة أثناء الثورات، أي أنهم لم يفعلوا أكثر

التي مرت من فوقها جيوش الغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لاحتلال الشرق من أجل تنويره!.

هذه الأرضية التي تقدم العرب، ولنقل المسلمين بوصفهم أمة مشوشة، هي نفسها التي استخدمها اليمين الأمريكي عندما قرر اختراع العدو الإسلامي بديلاً للعدو الشيوعي المتهاوي عام 1989، وهي نفسها حجج إدارة بوش لاحتلال

الأبد عمد إلى تأنيثها من خلال ألوان أزيائه الغريبة ومن خلال الحرس الأنثوي الاستعراضي الذي لم يدخل في تجربة دفاع حقيقية عن العقيد، لكن وجود بين مائتين وثلاثمائة امرأة قوية خلف العقيد أعاد التذكير بالخيال الجنسي حول المحاربات الأمازونيات اللاتي أبدعت السينما الهوليوودية في تقديمهن.

حارسات القذافي المجهولات ظللن مركزاً للاستيهام الخيالي والتصورات حول علاقتهن بالعقيد، وكما لو كان يستخدمهن كفقرة في سيرك اختفين تماماً أثناء الثورة عليه، وظهر حوله الرجال، بينما أصبح جسد المرأة الضد مباحاً للاغتصاب ومصدراً للتشوش ممثلاً في إيمان العبيدي التي ظلت قصتها لغزاً حتى اليوم.

في مصر تلازمت محاولات بث الرعب من الغول الإسلامي مع التشويه الأخلاقي للثوار. كانت كاميرات القنوات الحكومية والقنوات العربية المساندة للنظام تتسكع بين الزوايا الخالية من ميدان التحرير وتجمعات المحجبات والمنقبات. وفي الوقت نفسه تستضيف تلك القنوات فنانين ونجوم كرة قدم مقربين من النظام يتحدثون عن حفلات جنس وتحشيش جماعية تجري ليلاً في خيام ميدان التحرير. هذا الزعم، وإن استهدف ذكور وإناث الثورة إلا أنه لن يصيب إلا النساء خاصة، فالعبث الجنسي في المجتمعات العربية سبب لفخر الرجل لا إدانته.

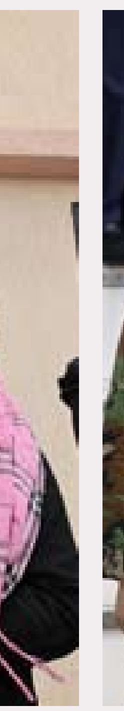
وهكذا تضافرت محاولة الضغط على الأسر المصرية لحبس بناتها وإفقاد الثورة نصفها الحلو المُعَوَّل عليه مع محاولة إضفاء الوجه الديني على الثورة. وكانت المحجبات المسيسات وغير المسيسات جزءاً عزيزاً من مكونات الثورة المصرية، لكن الزوايا الأخرى من الصورة كانت تعج بحضور السافرات من الكاتبات والفنانات وأعداد كبيرة من الشابات لا تريد كاميرات الفلول أن تراهن، وكان من الصعب إخفاء كل هذا مثلما كشف حضور الملايين على قناة



أنثى مصر المنتفضة: سافرة.. محجبة ومنقبة









ليبيا: أنوثة تحرس العقيد وأنوثة تخلعه

الجزيرة زيف الربع الخالي من الميدان المعروض على القنوات المصرية وقناة العربية.
التشويه التافه ذاته نالته المرأة اليمنية ومعها السورية على ما بينهما من اختلافات. كان سفور السورية علنياً، وتعرضت لصفاقات أخلاقية من نظام لم يخلص لعلمانيته الشكلانية كما أخلص النظام التونسي. إذا قالت ثائرة عن بنات جنسها أنهن يتلقين الرصاص بصدور عارية. ودارت الغمزات التافهة حول عري الصدور، كما وجدت فنانات وكاتبات أنفسهن بطلات لمغامرات جنسية متخيلة.
مغامرات السوريات الجنسية - في ادعاءات النظام وأبواقه - فردية، لأن الثورة السورية تجري من شارع إلى شارع لتتفادى جنازير الدبابات، لكن الثورة اليمنية مقيمة في الميادين مثل نظيرتها المصرية وتليق بالمقيمين والمقيمات حفلات الجنس الجماعي!.
وقد جاء حصول اليمنية توكل كرمان على جائزة نوبل السلام التفاتة من لجنة الجائزة العريقة إلى الحضور الأنثوي في الثورات العربية. وكرمان ليست سوى شابة عربية ساهمت في صنع الربيع العربي، يقل عطاؤها أو يزيد عن غيرها من نساء أخريات في تونس ومصر وسورية، خصوصاً سورية التي قدمت عدداً من الشهيدات أكبر من أية ثورة أخرى، لكن الجوائز تريد اسماً مفرداً في النهاية ولا تنهب إلى الجموع المجهولة إلا رمزاً من خلال التجسد في الاسم المختار.
قبل أن تتقاسم كرمان الجائزة مع رئيسة ليبيريا إيلين جونسون سيرليف ومواطنتها داعية السلام ليما غبوي، كانت المرأة اليمنية قد كسبت احترام العالم وحققت نجاحاً منهلاً في ضرب القاعدة الاستشراقية من أساسها بعد أن عاشت أكثر من ثلاثة قرون.
المسيرات السوداء لمبرقعات اليمن الثائرات تشبه حضور مبرقعات مصر في ثورة 1919، صورة تؤكد أن اللباس مجرد عادة اجتماعية، وأن الرأس المغطى ليس أقل ذكاءً من الرأس السافر والجسد الأنثوي المغطى في حشد متجانس ليس أقل توقاً إلى الحرية من الجسد الأنثوي المنطلق في الحشد المختلط.
ولكن الأنظمة البليدة لم تع النصر الذي حققه جسد المرأة في معركة الحرية، ولم تزل تستهدفها بشراسة بينما تميز النظام السوري على باقي الأنظمة بإجراء إضافي، حيث عمد إلى تقديم أنثى السلطة ليواجه حضور الأنثى الثائرة.
النظام السوري يعرف أن عاصمته تضم قبر مولانا محيي الدين صاحب دعوة التيمن بالتأنيث، ولذلك سعى إلى تأنيث سلطته لتدعيم صورته كنظام علماني، يدافع عن بلاده ضد هجمات عصابات دينية مسلحة.
ظلت الأنثى في مقدمة المتحدثين باسم النظام خصوصاً للإعلام الأجنبي، وبخلاف بثينة شعبان (الأنثى الضد الأشهر) كانت هناك متحدثات أخريات مثل سميرة مسالمة رئيسة تحرير جريدة تشرين التي أبعدوها عن منصبها بعد ظهورين أو ثلاثة على الشاشة، حيث لم يغفروا لها دمعة لمعت تحت كلماتها حزناً على شباب عائلتها وشباب محافظتها درعا.



سالي زهران

شهيدات الثورة

علي النويشي

جلست أم الشهيد «محمد البوعزيزي» متكئة على قبره مرددة «الله يرحمك يا وليدي محمد.. فتحت لبواب».

وبالفعل فتحت أبواب الثورة وانطلقت أنهار الدم في شرق العالم العربي وغربه، في تونس، في مصر، في سورية واليمن وليبيا، ولم يكن الرجل وحده هو بطل المشهد.. بل كانت معه المرأة، سيدة وطفلة وصبية.

وفي تقرير أصدرته منظمة العفو الدولية تحت عنوان: «مصر تنتفض» عن أعمال القتل والاعتقال والتعذيب خلال ثورة 25 يناير، عن دور المرأة في الثورة وضحاياها. وأن المرأة مثلت 20 ٪ من ملايين الناشطين الذين تدفقوا على ميدان التحرير في القاهرة وفي غيرها من المحافظات.

خلال 18 يوماً كانت المرأة جزءاً لا يتجزأ من الانتفاضة وسبباً رئيسياً لنجاحها. ولقيت العديد من الفتيات والنساء مصرعهن نتيجة لاستخدام قوات الأمن القوة المفرطة، وكانت هناك نساء أيضاً ضمن الجرحى والمصابين من ضحايا قوات الأمن والبلطجية، وضمن من تعرضوا للتعذيب في المعتقلات.

من كل محافظات مصر وكل أحياء القاهرة سطرت المرأة تاريخ الثورة بدمائها: رحمة محسن أحمد من روض الفرج، رشا أحمد جندي من العمرانية جيزة، أميرة محمد إسماعيل من القاهرة، كريستين من القاهرة، أميرة سمير شحاتة من الإسكندرية. وهن لسن مجرد أسماء، لكنهن شهيدات حفرن أسماءهن في قلوب كل المصريين، فلأول مرة في تاريخ مصر السياسي يسقط عشرات القتلى والمصابين من النسوة والشابات الصغيرات.

ولم يستثن الموت الأمهات، حيث لقيت مهير خليل زكي مصرعها وهي أم لأربعة أطفال وتبلغ من العمر 40 عاماً نتيجة أعيرة نارية أطلقت عليها من قسم شرطة بولاق الدكرور عندما كانت تقف على سقف بيتها مع أولادها على الناحية الأخرى من القسم أمام كوبري ثروت، ورأت الشرطة تطلق النار على شاب فوق الكوبري، صرخت الأم مهير كي يتركوه حياً، فما كان من رئيس مباحث القسم إلا أن أطلق عليها النار وهي في بيتها، فأصيبت في صدرها وذراعيها وسقطت شهيدة.

أول شهيدة في ثورة 25 يناير كانت من سوهاج سالي مجدي زهران أيقونة الثورة وملهمة الشباب. اعتبرها الفنان مصطفى التوني «جان دارك المصرية» ووضعت وكالة ناسا الفضائية اسمها على إحدى المركبات المتجهة إلى المريخ، وأطلقت بلدية «رام الله» اسمها على أحد شوارع المدينة «سالي مجدي زهران شهيدة الحرية».

ولدت سالي في القاهرة يوم 6 أكتوبر/تشرين الأول 1987، واستشهدت يوم 28 يناير/كانون الأول في محافظة سوهاج بعد انتقال والدها للتدريس في جامعة سوهاج وتخرجت من قسم الأدب الإنكليزي. وهي طالبة في السنة الثالثة بالجامعة سافرت للعمل في القاهرة كمساعدة مصممة ملابس في فيلم وثائقي.

وجدت سالي نفسها في القاهرة مع أصدقاء يحلمون مثلها بتغيير العالم. التحقت بـ «كورال شكاوى القاهرة» الذي أوقفته مباحث أمن الدولة بعد أول عرض، قدموا شكاوى تخص المواطنين: القمح المسرطن، والغاز المصدر لإسرائيل، الإعلانات الوهمية.. وفي يوم 10 يناير 2011 عادت سالي إلى سوهاج لاستكمال دراستها.. وحين انطلقت الثورة يوم 25 يناير انطلقت إليها وكأنها ثورتها وحدها، وفي جمعة

الغضب 28 يناير لحقوا بها وضربوها بالشوم على رأسها فماتت بنزيف حاد في المخ قبل أن يحملوها للمستشفى.

في الجمعة نفسها سقطت الطفلة هدير 13 سنة وهي تشاهد المظاهرات من شرفة منزلهابالمعادي، حيث اخترقت الرصاصة رقبتها، وفارقت الحياة بين أحضان أبيها.

أميرة سمير شحاتة شابة من مواليد 1994 كانت تحضر درساً في بيت صاحبتها يوم 28 يناير، ومن شرفة المنزل تقوم بتصوير المظاهرة بتليفونها المحمول ويلمحها فرد شرطة من فوق سطح القسم المجاور ليوجه لها رصاصة في القلب.

آخر شهيدات جمعة الغضب هدى محمد السيد الطنطاوي البالغة من العمر 17 عاماً، وتوفيت مساء 24 يوليو/ تموز الماضي بعد معاناة دامت حوالي ستة أشهر لإصابتها بطلق ناري استقر في عنقها أمام مسجد القائد إبراهيم. وهدى فقدت شقيقها إبراهيم صابر يوم 28 يناير، حيث أصيب برصاصة في رأسه ومات في الحال.

وكشفت الثورة السورية عن وجوه مشرفة لعشرات الصبايا من الكاتبات والإعلاميات والطبيبات والحقوقيات يتحدين الظلم والقمع والقهر كل يوم مقابل فضح أفعال النظام، ومنهن من تعرضن للاعتقال والتعذيب والخطف والتقطيع وتهديد العائلات وقطع أرزاقهن وفصلهن عن العمل، والطعن بشرفهن وسمعتهن وفبركة القصص الدنيئة لهن، بل أخذت النساء رهائن للمساومة في الوصول لذويهن من إخوة وآباء ناشطين، أو أن يعتقل ذووها لإجبارها على تسليم نفسها للأمن، ومن منّا لا يعرف قصة الناشطة رزان زيتونة وكيف اعتقل زوجها وأخوه كي تسلم نفسها.. وكانت أول شهيدات الثورة حميدة النطراوي الفياض من مدينة تلبيسة التي صفيت هي وابنها وهما عائدان من مزرعتها بمدينة بانياس، لتتوالى بعدهما الشهيدات من درعا وريف دمشق وإدلب وجسر الشغور ودير الزور والرستن.

أما الجريمة الدنيئة التي ارتكبت بحق الشهيدة زينب الحصني فقد هزت أركان النظام السوري ومع ذلك لم يرتدع أو يتراجع عن غبائه.

بدأت فصول هذه القصة من حي باب السباع أحد أحياء مدينة حمص الثائرة ضد الظلم والاستبداد، حينها كان الشاب محمد الحصني شقيق زينب أحد أهم الناشطين المعروفين في الحي، ما أثار حفيظة زبانية النظام ضده، فقاموا بعمليات دهم واقتحام لمنزله أكثر من مرة، مما دفع الأسرة لهجر المنزل، لتنهب إلى منزل آخر أكثر أماناً بحي النازحين.. لكن عمليات الدهم طاردتهم، ومع غياب محمد عن البيت، كانت شقيقته زينب بنت التاسعة عشرة هي التي تجلب احتياجات البيت.

لكن كانت عيون الغدر والخيانة تترقب خروج زينب من بيتها في حي النازحين صبيحة اليوم الثاني من شهر رمضان ليتم اختطافها.

وبعد مرور خمسة أيام على اختطاف زينب اتصلت فتاة بالأسرة لتقول إن زينب موجودة لديهم ومستعدون لتسليمها مقابل تسليم شقيقها محمد، وحددت لهم مكاناً بأحد الأحياء غير الآمنة، وعندما طلب الأهل التسليم في مكان آمن أغلقت السماعة، وبقيت الأسرة لا تعرف عن ابنتها شيئاً.

وفي الثالث عشر من شهر أيلول/ سبتمبر فجعت الأسرة بنبأ استشهاد ابنهم محمد على يد رجال المخابرات.. فتوجهت لاستلام جثمانه بالمستشفى العسكري بحمص.

وأثناء تواجد الأسرة في الانتظار علموا بوجود جثة فتاة في التاسعة عشرة من عمرها في ثلاجة المستشفى. أرادوا أن يكذبوا ظنونهم، لكن ذهب البعض ليتعرف على الجثة، ولم يستطيعوا التعرف عليها في البداية، حتى ذهبت الأم وعرفت جثة ابنتها، مقطوعة اليدين من الكتف، مقطوعة الرأس، ووجهها محروق، وعلى ظهرها آثار التعذيب، والحروق تغطي جسدها.

لم يسمح لتلك الأسرة المكلومة باستلام الجثمان إلا بعد التوقيع على إقرار يمنع تصوير الجثمان ويمنع إقامة جنازة.

وبالفعل حملت الأسرة جثمان ابنتها لتدفنها سراً في مقبرة باب السباع ولكن ينهب من بعدهم بعض الشباب لينبشوا القبر ويصوروا الجثمان ممزقاً مقطعاً، وتعلن في كل أنحاء سورية جمعة حداد «زينب الحصني». أرادوا أن يحجبوا جنازتها، فسار العالم كله في جنازتها!

ونتيجة تمسك المرأة التونسية بكلمة واحدة هي «ارحل الآن» تعرضت المرأة للعنف الشديد من جانب رجال الشرطة، وأصيب في يوم 14 يناير الآلاف من النساء خلال الاحتجاجات الواسعة التي عمت البلاد قبل رحيل زين العابدين بيوم واحد، حيث كانت النساء والفتيات في مواجهة الأمن يتلقين طلقات الرصاص والقنابل المسيلة للدموع.

وكشف استشهاد السيدة منال بوعلاقي، عن استخدام عصابات السلطة المسلحة سيارات الإسعاف كوسيلة غادرة يطلقون منها النار على كل من يصادفهم.

وبحسب توثيق الجمعيات الحقوقية لما تعرضت له المرأة، كان الاغتصاب والتحرش الجنسي والعنف اللفظي والاعتداء المتغطرس هو الحال اليومي لأهالي مدن تالة والقصرين والرقاب وسيدي بوزيد وحتى العاصمة نفسها..!

وعرضت الجمعية التونسية للنساء الديموقراطيات فيلماً وثائقياً عن ضحايا العنف ضد المرأة الذي ذهب ضحيته عدد من النساء بالإضافة للأطفال الرضع الذين ماتوا بتأثير القنابل المسيلة للدموع.

وفي ليبيا لم يعرف عدد النساء الشهيدات.. لكن هناك العشرات بل والمئات الذين قضوا تحت نيران القصف العشوائي لكتائب القذافي، ناهيك عن الاعتداء الجنسي والاغتصاب القسري للفتيات.

حريّة وبسْ!

| **رزان نعيم المغربي** - طرابلس

أن تكون ثورتنا سلمية، كانت هذه حسرتي وغصة كل الشعب الليبي، الذي تحدى نظاماً سبق له تعليق طلبة الجامعات على حبال المشانق، وساق شباباً ورجالاً إلى صحراء تشاد تنفيذاً لأوامر طاغية، وأطلق الرصاص على سجناء «بوسليم»، لأنهم طالبوا بتحسين ظروف اعتقالهم.

قبل 17 فبراير، لم يكن البعض يصدق أنهم سيمتلكون يوماً الجرأة للقيام بثورة، لأن النظام عمل طويلاً على خديعة نفسية، تمثلت في الترويج لكذبة أن الشعب الليبي جبان، وأن صوت الرصاص والسجون التي ترتكب فيها المذابح، هي خاتمة كل تمرد أو ثورة. مع هذا، كان الإيمان بأن الوقت حان للخروج، والتظاهر والمطالبة بالحقوق، أقوى من صوت المدافع، وعنجهية المرتزقة.

أتذكر الأيام الثلاثة الأولى من الثورة وكيف كنا نسمع أصوات الرصاص، أثناء تشييع الشهداء في بنغازي، من خلال هواتف الصديقات والأصدقاء، ودعوتهم لنا كي نناصرهم ونخرج أيضاً ليخف الضغط عليهم، وهو ما حدث فعلياً، وخرجت طرابلس رجالاً ونساء، وامتلأت الشوارع بجموعهم تطالب برحيل من لا يصدق أن في ليبيا رجالاً.. فإذا برصاص المدافع الغادرة يهطل من أعلى السرايا الحمراء على الجموع الهادرة، ويسقط أكثر من 800 شهيد.

هؤلاء الشباب والرجال الذين عادوا وبعضهم اختفت جثثهم، أقسمت أمهاتهم على الأخذ بالثأر، بل نساء ليبيا اللواتي لم يتقبلن العزاء، أقسمن جميعهن على دفع أبنائهن بشجاعة نادرة، إلى الخروج وحمل السلاح. هجرن حفلات الأعراس، وتبرعن بالحلي والمجوهرات لصالح الثورة. وبرزت أخيراً المرأة الليبية الحقيقية، التي اختفت طويلاً، وغيبت قسراً.

فجأة أصبحنا نمتلك (شيفرة) خاصة لكل مكالمة هاتفية بين اثنتين من الصديقات دون أي اتفاق سابق، واستخدمنا لغة نسائية مشفرة، لنقول إن هناك اشتباكاً في منطقة معينة من طرابلس، نعبر عنها بالقول: «هناك حفلة صاخبة في صالة الأفراح»، و«تم تعليق زينة ضخمة»، كناية عن رفع العلم في مكان ما. كانت تنتقل الأخبار من خلال الهواتف المراقبة، وتصل إلى الإعلام بشكل سريع وفوري.

تازيري امرأة شابة من يفرن، كانت تلف الذخيرة بغطاء طفلها الرضيع في حجرها، ووالدة زوجها العجوز تخبئ تحت ردائها الأبيض رشاشاً. صديقتي تازيري من أمزيغ الجبل الغربي، صاحبة مشاريع مدارس الأطفال، وقارئتي الأولى. تلك المرأة الشابة، التي تهوى السفر والرفاهية، تحوّلت، بين يوم وليلة، إلى مهربة للسلاح والذخيرة، بينما شقيقتها الأصغر تصر على البقاء وحيدة في (يفرن) كي تطهو للثوار من أقربائها وغيرهم. غير عابئة بصواريخ كتائب القذافي، ولا بإمكانية تعرضها لوحشيتهم لو وقعت بين أيديهم أسيرة.

أما تركية عبد الحفيظ، وهي كاتبة وأستاذة جامعية من بنات تاجوراء في طرابلس، وزوجها كاتب وباحث من مصراتة، فكانت تدفع ابنها الشاب إلى تونس ليأخذ مركباً بحرياً صغيراً ويدخل مدينة مصراتة ويشترك في الدفاع عنها. هذه القاصة الرقيقة كان سلاحها قلماً ينتقد ويسخر، ولم يدر في بالها يوماً، أنها سوف تشجع أكبر أبنائها محمود (سنة أولى جامعة) ليكون مقاتلاً على الجبهات، وها هي صورته في جبهة سرت حاملاً رشاشاً ثقيلاً منشورة على صفحتها على الفيسبوك.

من جهتها، ظلت سيدة الأعمال هند تطارد صفقات وعمولات من بلد إلى آخر. هذه المرة ركبت سيارة أجرة مع أولادها، وأقامت في تونس، من هناك أخذت تجمع التبرعات، وتسافر إلى مخيمات اللاجئين، ثم تعود إلى العاصمة تونس لتتابع إجراءات شحن الدواء، ثم تدفع باثنين من أولادها أصغرهما لم يبلغ العشرين من عمره، ليلتحق بمعسكرات التدريب في الجبل الغربي.

فوزية، سيدة مصراتية، ذهب ابنها مصطفى، الذي تخرج في كلية الهندسة المدنية العام الماضي إلى الجبهة، يدافع عن مدينته، برفقة خمسة من



علامة النصر الذي جاء

أصدقائه. كان كلما يعود إلى البيت ليغتسل ويرى والدته، يخبرها بأنهم ودعوا شهيداً منهم. في المرة الأخيرة أخبرها أنه لم يتبق سواه مع ابن خالته. طلب أن ينام ساعة على ركبة والدته، ليصحو ويلتحق بهم. كان نومه عميقاً، وبإحساس الأم القوي، شعرت أنها المرة الأخيرة، فلم توقظه حتى الفجر، ولم تتحرك من مكانها، ولم تغير جلستها، حتى لا يستيقظ. ومع هذا لم تطلب منه البقاء، بل دفعته نحو مصيره، ليعود لها شهيداً.

تحوّل الثورة السلمية إلى ثورة مقاومة وسلاح فرض علينا الخوف. والخوف هنا ليس من الموت والقتل، على الجبهات أو برصاص القناصة التي انتشرت على أسطح العمارات العالية الحكومية والسكنية في طرابلس، إنما خوف من الاعتقال، والمهانة لكرامة الإنسان. فالنظام الذي تزعمه القذافي، خرج إلينا يسأل: «من أنتم ؟ يا مقملين ياجرذان، مهلوسين!..». لم يكتف بذلك التجريح العلني، بل مارسه، وأمر المرتزقة باغتصاب النساء. وقد رأى العالم حالة إيمان العبيدي التي اقتحمت فندق «ريكسوس» وهي تصرخ طالبة أن يشهد الإعلام الغربي المرهون والمعتقل داخل الفندق على ما وقع لها.

عندما قيل عبر وسائل الإعلام إن العاصمة معتقلة، لم يتصور أحد في الخارج معنى ذلك، وكيف كان شكل المعاناة. كيف انتشرت الكتائب زنقة زنقة وبيت بيت. كانوا من داخل حدائق بيوتهم يطلقون الرصاص العشوائي، وفي الليل يصبح أشد وأقوى وهم يطاردون ثوار المدينة، وينادونهم «يا جرذان!».

كانت المقاومة تتخذ أشكالاً بدائية، في مواجهة سلاح قوي لا يرحم، ويمكن أن أذكر مثالاً: عندما بدأ اقتحام مدينة بنغازي في 3/19 وقبل ساعات من تحليق الطائرات الفرنسية في السماء، كانت الدبابات تدخل إلى بنغازي، وكان الشارع مرتفعاً قليلاً وكأنه على هضبة صغيرة، مما جعل رجال وشباب بنغازي، يفرشون الشارع بالسجاد بعد أن أغرقوه بالزيت والوقود، وانتظروا وصول الدبابات التي اشتبك جنزيرها بالبساط، وهنا قاموا بإلقاء زجاجات حارقة، أعدوها بأنفسهم، وتم تفجير هذه الآليات الضخمة الزاحفة لقصف المدينة.

كل تلك البطولات، كانت وراءها أمهات وزوجات، يدفعن بالشباب والرجال، للدفاع عن الوطن. ورغم الوضع الملتهب، وجدت بعض النساء حرية في التنقل والحركة لنقل المنشورات لخيام الكتائب، تحثهم على الانشقاق، وتقوم بنقل السلاح من جهة إلى أخرى، على الرغم من حذر النظام الذي جند حارساته ليكنَّ ضمن نقاط التفتيش على كافة الحواجز، داخل المدن وخارجها. اليوم، بعد سقوط نظام القذافي، ستبقى ذاكرة الأمهات والنساء تحفظ صور الشهداء، لأنهم وحدهم من دفع الضريبة مرتين.

حرائر سورية

عبدالله الحامدي

المرأة السورية هي الأكثر إحراجاً للنظام، فليس من المعقول أن تكون ريما فليحان أو مي سكاف أو مروة الغميان «جماعة مسلحة»!

مروة منذ 15 مارس/آذار 2011 تاريخ خروجها في أول مظاهرة حرية مع رفقائها الخمسة (فقط) حسمت أمرها، فسورية تُشترى بالروح، وترخص لها الدماء، ودعت أباها وأمها عبر مقطع فيديو مسجل بالموبايل، وخرجت في الصباح دون أن يرف لها جفن طوال الليل، متفقة مع صديقتها نورا الرفاعي، وكأنها تستعيد حكاية البطل يوسف العظمة وزير الدفاع السوري حين توجه إلى معركة ميسلون عام 1920، مودعاً ابنته الوحيدة «ليلى»، بعد أن أدرك خسارة المعركة مسبقاً، بسبب قلة العدد والعتاد، بعبارته الشهيرة: «حتى لا يقولوا إن الفرنسيين دخلوا دمشق بلا مقاومة»، فكانت معركة الكرامة التي استشهد فيها.

«الموت ولا المذلة» هو التعبير الأحدث عن شعب «تحت هودجها/ وتعالجنا/ صار سحب سيوف/ يا ويل حالي/ يا ويل ويلي/ يا ويل حالي/ أخذوا حبي/ وراحوا شمالي/ راحوا لبعيد/ لبعيد راحوا/ كيف بدي أطير؟/ وجناح ما لي!»، وغيرها الكثير من الأهازيج التي ترددها النسوة وأطفالهن في البيوت، من تلال الجزيرة إلى سهل حوران، ومن جبل الزاوية إلى بساتين الغوطة، أما الشباب الأباة فيودعون أهاليهم ويخرجون، ليصرخوا مطالبين بالحرية، ويستشهدوا تباعاً.

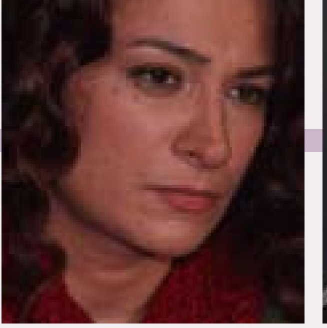
لا يمل النظام من القول: لا ثورة في سورية، ولا يخجل من القول بالمقابل: ثمة مطالب محقة! وكأن قدر المرأة السورية، عاملة وفلاحة وموظفة وربة منزل وطالبة جامعية أن تحمل وزرين ثقيلين معاً: أولاً أنها امرأة مثل سائر النساء في دكتاتوريات العالم الثالث، ترفع شعار حقوقها الطبيعية، وثانياً أنها ثائرة ضد نظام لا يسمي الأشياء بأسمائها، فعليها أن تثبت أنها امرأة، وعليها أن تثبت أن ما يحدث على طول الوطن وعرضه، ويستشهد الرجال والنساء والأطفال في سبيله هو ثورة، وليس مزحة.

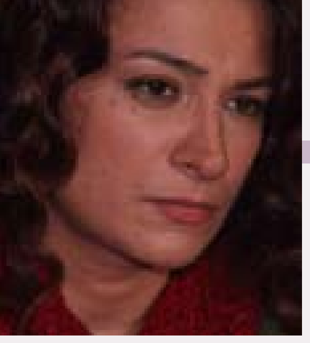
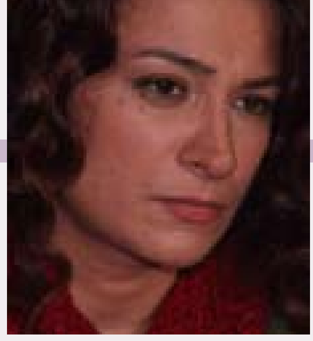
أليست ظاهرةً تدعو للدهشة أن تتبعثر السوريّات منذ بدء الثورة، كلٌ منهن في اتجاه: بهية مارديني في القاهرة، ريما فليحان في عمان، مي سكاف في موسكو، سمر يزبك في باريس، طل الملوحي في السجن، لا، كانت مودعة في السجن قبل اندلاع الثورة بكثير، وتعرضت لما لا حصر له من الشائعات والروايات البوليسية التي تفوّقت فيها على «رأفت الهجان»، رغم أن طلّ كانت مجرد «مدوِّنة» مراهقة لم تكمل عامها العشرين.

الكاتبة الدرامية ريما فليحان التي خبرت تفاصيل الحياة الاجتماعية السورية، وكانت من أوليات الثائرات، تروي حكايتها مع الثورة: صدر بحقي قرار بالمنع من السفر، وصرت مهددة بالاعتقال والتصفية في أية لحظة، وجدت نفسي أمام خيارين: إما الصمت أو الهرب، وتأتي تتمة الحكاية من العاصمة الأردنية: الفكرة تمثلت في ضرورة إيصال صوتنا إلى الشارع، بدأنا تنفيذ الفكرة بإنشاء صفحة على «الفيسبوك» تحت اسم «مثقفون من أجل سورية»، تضمنت المطالبة بإطلاق سراح المعتقلين ووقف أعمال القتل، اخترنا جامع الحسن في منطقة الميدان مكاناً للتجمع، وقبل التحرك وجدنا أنفسنا محاطين برجال الأمن والشبيحة، أخذونا الى فرع الأمن الجنائي، وهناك فصلوا الشباب عن البنات، أودعونا في القسم المخصص لقضايا الدعارة، أدركنا الإهانة التي يحاولون توجيهها إلينا، رفضنا البقاء هناك، ونقلونا بعد ثلاث ساعات إلى غرف عارية من كل شيء لمدة أربعة أيام، حوّلونا بعدها الى المحكمة، ونحن مقيدات بالسلاسل كالمجرمين، وتكمل «صاحبة بيان الحليب»: الطفل الجائع في درعا استفز شعوري بأمومتي، قمت بكتابة بيان من عدة أسطر أناشد فيه الحكومة السورية السماح بإدخال الحليب لأطفال درعا، لأن طفل درعا لا يمكن أن يكون مندساً، وصل عدد التواقيع على البيان الذي أرسلناه إلى وزارة الصحة إلى 1400 توقيع، وكان من بين الموقعين منى واصف وريم علي وكاريس بشار، ثم تسترجع ريما تاريخ علاقتها مع النظام قائلة: عندما كنت طفلة في البكالوريا، نسبونا الى حزب البعث، وكانوا يعقدون لنا الاجتماعات، لم أستطع الاستمرار، قلت لهم أرغب بالاستقالة، وحينما رفضت التراجع قاموا بفصلي، بمعنى



سهير الأتاسي



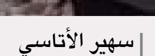




مي سكاف



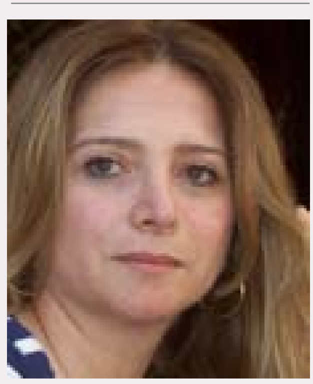

أم زينب الحصني

زينب الحصني






مروة الغميان



سمر يزبك



ريما فليحان



طل الملوحي

أنهم نسبوني إلى الحزب وفصلوني، دون أن يتركوا لي حق اختياره أو مغادرته، وتضيف: في الاستفتاء الأخير على ولاية الأسد الأب، كانوا يجرحون أصابع المواطنين ليبصموا بالدم، ويعبئون استمارات الاستفتاء نيابة عنهم، لم أحتمل الموقف، وخرجت من دون أن أصوّت، وعندما تولى بشار الحكم، توقعنا منه التعددية السياسية والإصلاح، لكن ذلك لم يحدث، واستمر الفساد والبيروقراطية والفقر، وتدخلات الفروع الأمنية، لم نشعر بالتغيير، يريد بشار أن يبقى مثل أبيه، وأن يحكم ابنه أبنائي!

الناشطة السياسية سهير الأتاسي رئيسة منتدى جمال الأتاسي للحوار الديموقراطي، الذي تم إغلاقه، لم يبق لها سوى فضاء الفيسبوك لتواصل فعالياته، تعرضت للضرب والشتم بألفاظ نابية في الثاني من فبراير 2011 حين احتجت بإشعال الشموع مع مجموعة شبابية، تضامناً مع الثورة المصرية بدمشق، فانقض عليها بلطجية الأمن على مرأى ومسمع عناصر الشرطة، وتلقت سهير أول صفعة في الثورة السورية من ضابط أمن لم يعرِّف بهويته وهددها بالقتل.

الروائية سمر يزبك المولودة في مدينة جبلة المطلة على الساحل السوري والتي خرجت من عباءة العائلة والطائفة متخطية المحرمات الاجتماعية عبر رواياتها «الصلصال» و«رائحة القرفة» و«طفلة السماء» وكتبت 13 فيلماً ومسلسلاً واحداً أعلنت على صفحتها في الفيسبوك: «لو كان الإمام علي بن أبي طالب يعيش بيننا، لكان أول متظاهر فوق الأرض السورية الكريمة، ولرأيتم وجهه دامياً، أعرف كم سيغضبكم هذا الحديث، أعرف أنكم تبرأتم مني، ولكني لست بريئة منكم، أنتم في صدري مثل سكين، أعرف كم يلزم من الوقت لتشعروا بالخديعة التي صمتم فيها عن وجه القاتل». وتتابع: لقد كنا نعيش معاً في دوامة الخوف، الآن لم يعد هناك من مجال للوقوف بشكل حيادي اتجاه ما يفعله النظام المستبد بكم، بقراكم الفقيرة، ورجالكم الذين تحولوا إلى مرتزقة، ومثقفيكم الذي قضوا عمراً في سجون النظام، النظام المتمثل بعائلة طاغية تجعل منكم درعاً بشرياً لها، وتستمر في جبروتها وطغيانها، وتحرفكم عن مسار الحق، مضيفة: «لن يقتلكم أخوتكم في الوطن والسماء والأرض، زوال العائلة المجرمة الحاكمة لا يعني زوالاً للطائفة، الطائفة أبقى وأعز، ينهبون وتعيشون بين إخوتكم، لهم ما لكم، ولكم ما لهم».

الممثلة مي سكاف التي اختفت مدة في حواري الشام إثر ملاحقتها من قبل «الشبيحة»، ثم ظهرت في موسكو، على شاشات عدد من الفضائيات منها «الجزيرة» رأت في الثورة السورية بداية جديدة: الحياة اختلاف والاستقرار موت، إنها سورية العظيمة، وليست سورية الأسد، مضيفة: أنا أحب أبي رحمه الله ولم يخطر ببالي أبداً أن أضع صورته على زجاج سيارتي، وفي مكتبي وأمام مدخل بنايتي!

مروة الغميان ودانا بقدونس وسهير الأتاسي وملك النشواني وسارة الطويل ومي سكاف وريم فليحان ويم مشهدي وسوسن العبار وشقيقتها غادة ورغداء حسن ونور جزماتي التي اعتقلت خلال مشاركتها في مظاهرة باب الحديد في حلب وكثيرات جداً .. حطمن جدار الخوف، كل واحدة منهن بمائة رجل، قلن لرجل المخابرات: كفى، فما عاد الحجز والتوقيف وغرف التحقيق، ولا حتى الرصاص يخيف، ولعل الأهم أنهن فضحن المعارضة الفلكلورية التزيينية التي مارسها أربعين عاماً كثير من المثقفين والفنانين الجبناء بقصد التربح عن طريق الحديث باسم الشعب الذي خرج عن صمته في الشارع، ولم يعد بحاجة إلى متحدثين و«منفسين» يرعاهم النظام الأمني المستبد ضمن جوقته.

كانت الناشطة اليمنية توكل كرمان جالسة في خيمتها منذ انطلاقة الثورةاليمنية، كانت هناك عندما تلقت مكالمة هاتفية تخبرها أنها حصلت على جائزة نوبل للسلام 2011.

حفيدة بلقيس سيدة السلام

| **جمال جبران** - صنعاء

كأن توكل كرمان خُلقت لاجتياز الخطوط الحمراء في مجتمع قبلي تقليدي محافظ، يحاول الاقتراب بحياء من خط المدنية. خرجت من عباءة أبرز الأحزاب الدينية الأصولية في اليمن وتمردت على رموزه المحافظة، من أهمها رجل الدين المتشدد عبد المجيد الزنداني. خلعت النقاب مفضلة الحجاب كي تكون قادرة على الحركة بشكل أفضل. تمردها لم يمنعها من التدرج تنظيمياً في حزبها واصلة مصاف مجلس الشورى فيه. دخلت جغرافيا الصحافة وصنعت لنفسها نبرة قوية جامحة جعلت منها الأولى في كتيبة صحافيين شباب رفعوا شعار «ارحل» في وجه الرئيس اليمني الذي لم يدّخر طريقة تأديبية في حقها إلا وفعلها، بداية من الشتائم عبر الصحف الممولة من القصر الرئاسي، مرروراً بالمحاكمات و انتهاء بالخطف والاعتقال والتهديد بالقتل. لكنه لم يكن يعلم أن كل هذا سيمهد الطريق لها كي تصل إلى نوبل السلام.

من هنا تبدأ الحكاية

لم يكن في بال التلميذة اليمنية توكل كرمان (مواليد 1979) وهي تقود مجموعة من زميلاتها يوم كانت في الصف الثاني الثانوي في مسيرة احتجاجية باتجاه مكتب مديرة المدرسة، من أجل إيصال رسالة تقول بعدم رضاهن عن سير العملية التعليمية، أن هذه الطريق ستطول بها مع السنوات لتصل حد قيادة مسيرة أكبر حجماً، وتنهب بها باتجاه القصر الرئاسي مطالبة بإسقاط النظام في اليمن.

من المدرسة إذاً ظهرت تلك الروح الاحتجاجية عند توكل مفصحة عن بذرة فتاة قيادية ستنمو مع الوقت لتصبح منهجاً في الحياة ورغبة لا تلين في تغيير الأوضاع المغلوطة التي تراها قائمة في كافة نواحي الحياة اليمنية على اختلاف مستوياتها.

«أنا سأُغيّر»، تقول توكل. وليس «أنا سوف أسعى أن أُغيّر». الدقة مطلوبة هنا من طرفها وتعني لها المفردات الشيء الكثير، لهذا تحرص على اختيارها بعناية شديدة لما في هذا من قدرة على تهيئة رسالتها التي تريد إيصالها من غير تشويش أو سوء فهم قد يضران بها. كما كانت تعرف بشكل مسبق أنه ولكونها امرأة في بيئة اجتماعية غير متصالحة تماماً مع النساء سيكون عليها بذل جهد مضاعف وإضافي عن أقرانها الذكور وهذا كي تصل لمرتبة معينة من القدرة على الإقناع. لكن كل هذا لم يكن متاحاً من الفراغ أو نزل عليها فجأة من مكان ما حيث هناك من صنع لها أرضية متينة كي تسير عليها بتلك الثقة الظاهرة على خطوتها كما على نبرتها إذ تصرح لـ «الدوحة»: «هو أبي، (عبد السلام كرمان الوزير السابق وعضو مجلس الشورى اليمني حالياً، الذي يعتبر من أهم المرجعيات الفكرية لحزب التجمع اليمني للإصلاح وهو الحزب الديني الأبرز في اليمن)، من زرع فيّ بذرة ثقة بدأت تتشكل في داخلي فعمل على تنميتها ودعمها حتى صرت أنا توكل كرمان بشخصية مستقلة وبنبرة خاصة بي». وعليه كان اكتساب الثقة في وقت مبكر والقدرة على الخروج بلسان قادر على الكلام بصوت مرتفع. لهذا كان اختيارها السير في طريق الصحافة ليس غريباً وقد طورت وضبطت لهجتها، وتمكنت من مفرداتها بشكل واضح. لكن لم يكن هذا كل شيء! تقول لنا توكل إن الخطوة التي تريدها كانت أكبر من الممر الضيق المتاح الذي كان أمامها: «صار صوتي يضيق من مساحة المقال الواحد وأصبحت بحاجة لجغرافيا أوسع لها أن تُمكّني من الانطلاق، كما والهمّ لم يعد شخصياً بل صار ملامساً لمجتمع بحاله يعاني من الكبت وانحسار مساحات الكلام والتعبير» تضيف.

وعليه قالت لنفسها: لنطلق منظمة مدنية مستقلة وتُعنى بالدفاع عن الحريات والحق في التعبير وامتلاك الناس لحق إنشاء قنوات تلفزيونية ومحطات إذاعية خاصة، والتوقف عن محاكمة الصحافيين والصحف في محاكم جنائية. خطوة سارت في نجاحها بتأسيس منظمة «صحافيات بلا حدود» لكن بشكل مؤقت قبل أن يتم قرصنتها عن طريق عناصر تابعة للنظام.

في مواجهة السيستام

بالنسبة لفتاة لا تعرف الهدوء أو الاستكانة لمصير فُرض عليها، لم يكن هذا نهاية الطريق، فكانت محاولتها الثانية لتأسيس منظمة بنفس الأهداف مع تحوير الاسم الذي تمت مصادرته



ليصبح «صحافيات بلا قيود».

مهمة لم تكن سهلة أمام تعنُّت وإصرار رسمي بعدم منحها الترخيص المطلوب عن طريق اختراع أسوار من الطلبات التعجيزية أمامها. لكنها لم تجنح للراحة وتقول: «لقد فعلت كل ما بوسعي وأرحت ضميري». لم يكن هذا ما قامت به حيث ذهبت لأبعد من ذلك بأن أعلنت نيتها الاعتصام في الجهة الحكومية المخول لها إصدار التراخيص المانحة لحق تأسيس المنظمات الأهلية. فأخذت أغراضها الشخصية وجهاز حاسوبها الخاص وأعلنت في وجوههم أنها لن تغادر المكان قبل حصولها على الترخيص. ووجدوا أنفسهم مجبرين على التواصل مع الجهات الرسمية العليا التي لم تجد حلاً غير إعطاء أوامرها بمنح توكل الترخيص الذي تريده لتأسيس منظمتها.

«ما كان يشغل تفكيري وقتها كان أبعد من أهداف المنظمة نفسها وصولاً عند طرح فكرة عدم التنازل عن الحق الشخصي البديهي المكفول لكل الناس بعيداً عن المستويات القبلية والاجتماعية التي ينحدرون منها واعتبارها كحق أصيل وليس هبة أو منحة من الحاكم» تخبرنا توكل التي نجحت في وقت قياسي في تحرير مفهوم عمل المنظمات الحقوقية المدنية مطلقة إياه من محيط الجدران المحاصرة له في مقرّاته ومن ساحة المكاتب الروتينية منطلقة إلى الشارع العام وفضائه وعبر منظمة «صحافيات بلا قيود» جعل الكلمة متاحة في الشارع العام وفي الساحات. وكان هذا من خلال اتخاذها لفكرة الساحة كشكل من أشكال النضال السلمي من أجل استعادة الحقوق المنهوبة، «ساحة الحرية» التي سبقت «ساحة التغيير» الحالية التي ساهمت في تأسيسها بأربعة أعوام تقريباً. وكان هذا عن طريق الوقوف كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع أمام الساحة المقابلة لمقر مجلس الوزراء اليمني ورفع اللافتات المطالبة بالحقوق ودعوة أصحاب المظالم للانضمام إليها. ساحة استطاعت في وقت قياسي أن تتحول إلى يوم محاكمة علني لحكومة البلد، هذه الحكومة التي صنعت بينها وبين الناس حواجز عالية جعلتها تعيش في جزيرة معزولة عن الهم اليومي المعيش، «إذا كان لك حق فعليك أن تُطالب به» تلخص توكل فكرتها عن طريقة استرداد الحق المنهوب والمستباح.

عندما خرج طلبة صنعاء إلى الساحة المواجهة لجامعتهم تحت تأثير ما حصل في تونس، كان سقف مطالبهم هو إسقاط النظام ولا شيء دونه. كانت توكل هناك بينهم وخرجت معهم غير آبهين بشيء أو بخطر قد يمسّهم رافعين أصواتهم بمفردة «ارحل»، وهي نفس المفردة التي كانت توكل من أوائل من وضعها في قاموس الصحافة اليمنية في بدايات العام 2005، وكانت وقتها ضمن كتيبة صحافية شابة نجحت في رفع سقف الكتابة في البلد عن طريق فتح ملفات كانت في عداد المسكوت عنها مثال ملف توريث السلطة، وحكم العائلة وسيطرتها على مقرات اليمن.

واليوم ما تزال توكل كرمان، المتزوجة والأم لثلاثة أبناء ملازمة لخيمتها المنصوبة في «ساحة التغيير»، لكن هناك شيء إضافي حصل؛ فقد وصلتها جائزة نوبل للسلام كأول يمنية وعربية تنالها.

لا تكتم توكل فرحتها بالجائزة، لكنها في الوقت نفسه لا تنسى الرفاق الشباب، رفاق الثورة الذين سقطوا في الطريق لتهديهم إياها ولأقرانهم في ثورات الربيع العربي». لقد صار الوقت مناسباً وضرورياً للتخلص من هذه الأصنام التي ظلت تتحكم في مصير البلاد العربية كل هذا الزمن الطويل» تقول توكل كرمان بنبرة عالية مستشهدة بمن سقط منهم وبمن هو واقع الآن على الطريق ذاته. لكنها مع ذلك لا تستطيع كتم مشاعر تأثرها بالشباب اليمني الذي سارت معهم على طريق الثورة بهدف التخلص من حكم علي صالح وعنهم تقول: «إنهم عندي أهم من أي جائزة في الدنيا».

رزان زيتونة

الصرخة

| **مايا شكر الله** - دمشق

قالت مرّةً: «من المحزن أن أقول إنه من بين كلّ القضايا التي استلمتُها لم أربح ولا واحدة»، مع ذلك يصعب القول إن هذه المرأة خسرتْ ولو قضيةً واحدة. على العكس من ذلك تماماً، إذ إن كلّ خسارةٍ «شكلية» في أروقة المحاكم- حيث كانت تدافع عن المعتقلين السياسيين في بداية حياتها المهنية- مثّلتْ فوزاً ممتلئ المعنى في أروقة حياةٍ مشتهاة، قوامها الحريّة في الانحياز إلى الضحيّة، والدفاع عنها.

لا أظن أن المحامية الشابة رزان زيتونة، فكرتْ يوماً أنها – مثل الكثيرين- تملك الاختيار بين مقلبين: الأوّل أن تمارس مهنة المحاماة وفقاً للحدّ الأدنى من معنى لفظ المهنة، أيّ الشهادة الجامعية. فتزيدُ بذلك من عدد النساء في إحصاءات سنوية، تقول إنهنّ فاعلات في مجتمعهن، وإنّ طريقهن إلى التحرّر، تتضح معالمه الدارسة، كلّما ازددن رقماً «اقتصاديّاً»- على ما يبدو- في أحسن الأحوال. أمّا المقلب الثاني، فهو المقلبُ الصعب، لأنه يتجاوز، عن سبق إصرارٍ وتصوّر، الحدّ الأدنى من المعنى، ويذهب باتجاه ذرا المعاني، حيث لا طريق معبّدة سلفاً، بل دربٌ تتضح معالمه وفقاً للتجربة التي ستمحو رويداً رويداً الحيّز الخاصّ للحياة العادية أو الطبيعيّة لامرأة مثقفة ومستقلة، وتصقل بدلاً منه حيّزاً من نوعٍ مختلف، لامرأة فريدة.

فليس سهلاً أن تدافع عن معتقلٍ سياسي في بلدٍ مثل سورية، وأنْ تصرّ على ذلك وتكرّره كلّما لاحتْ في الأفقِ «فرصةٌ» كهذه. خصوصاً أن تعليقاً بليداً جاهزاً بالمرصاد من أجل وصف عملك المهني هنا: «هذه طواحين الهواء، فلا تجعل من نفسك دون كيشوت!». لكن المدافع عن المعتقل السياسي، يرى أبعد وأعمق من تعليقات جاهزة تستند إلى تشبيهٍ في غير محله. فلا طواحين ولا دونَ كيشوت، بل معتقل / ضحية.

يرى المدافع عن المعتقل – الضحية أبعد، لأنه يتواصل معها ومع أهلها أيضاً: الأمّ والأب، الزوجة والزوج، والأبناء. فيتبدّد التشبيه البليد، وتحلّ بدلاً منه قصّة الضحية التي لا تنفصل عن قصص أهلها، على نحوٍ يمكّننا من القول إن وراء كلّ معتقلٍ سياسي/ ضحية، طائفة من الضحايا. ويرى المدافع أعمق إذ كلّما دافعت رزان زيتونة عن معتقل سياسيّ، وجدتْ وراءه ضحايا جداً، وتكشّفتْ صورة الوطن: سورية.

ربما كانتْ وفرة القصص الشخصية التي تعرفها هذه المرأة النبيلة، زاداً روحيّاً وعاطفياً لها في ابتداع حيّزها المختلف، حيّزها الذي ظهر في مقالاتها الصحافية ودراساتها عن أوضاع محدّدة لأهالي الضحايا مثلاً: (زوجات المعتقلين الأصوليين: «مجاهدات»، «فاضلات» مهمّشات). مثلما ظهر لاحقاً في (منكرات الثورة، سراقب، داريّا، ياسمين وغيرها)، التي تمثّل جزءاً يسيراً من مشاهداتها ومشاركاتها وتفاعلها مع الشباب الذين يخرجون إلى الطرقات، حاملين أرواحهم النضرة، سلاحهم أنامل مرفوعة وحناجر تغني، يستدرجون الحرية، التي تُلوّح لهم بأجنحة لا تُحصر بالمثنى، أن تأتي إليهم رغم الرصاص والقنابل، رغم الاعتقال والتعذيب، رغم الأسلحة المشهرة.

فمن يقرأ مقالات رزان ومنكراتها



هذه، لن يفوته الإحساس بالتناغم المطلق بين أفكارها وممارساتها من جهة، وأفكار الضحايا وممارساتهم من جهة أخرى. ولهذا التناغم اسم وحيد: النضال السلمي. ففي داريّا تلك المدينة الواقعة أسفل خصر دمشق، التي خلّدها البحتري بمطلعٍ آسرٍ:

«العيش في ليل داريّا إذا بردا والراح نمزجها بالماء من بردى»

تروي رزان كيف قام الشباب بمبادرة حمل الورود والماء إلى الذين قد لا يتوانون عن تغيير صفة الموصوف من متظاهر إلى معتقل، فمعذّب فشهيد. ثمّ تروي كيف انتقلتْ تجربةُ داريّا إلى مدينة أخرى (التلّ)، حيث استُبدلت الورود الحلوة، بالتمّر السكريّ الحلو، أمّا الماء فقد بقي سلميّاً شفافاً. بيد أن «حلاوة الروح» عكّرت المياه، فسال الأحمر وتغيّر الموصوف من متظاهر إلى قتيل.

وفي كلّ مرّة تغيّرَ الموصوف، تغيّرتْ حياتها، وأدركتْ أن حيّزها المختلف يتنفس وينمو كلّما اقترب من حيّز الضحايا. توّثق انتقالهم من خانة المتظاهر إلى خانة المعتقل، أو إلى خانة الشهيد، وتحصي أعدادهم المتزايدة. ومهما تغيّر الموصوف، تشبّثت رزان بأفكارها أكثر، أفكارها التي تستند إلى النضال اللاعنفي.

في شهر أيار/مايو الماضي، تمّ اعتقال شقيق زوجها ثمّ زوجها، بسبب نضالها من أجل الديموقراطية، وبسبب دفاعها عن الضحايا. هي تعرف بدقة أنها المستهدفة من وراء اعتقالهما.

توارتْ رزان عن الأنظار، وابتدعتْ حيّزها المختلف، القائم في جزءٍ منه، على الاختباء والتخفي، فمثلما «اختفى» الزوج وأخوه، اختفى البيت من حياتها اليومية، بل إن الحياة اليومية العادية بتفاصيلها الصغيرة اختفتْ كلّها. لكن النضال السلمي ومفرداته، لم يختفيا من قاموسها البتة.

وفرة القصص الشخصية التي تعرفها هذه المرأة النبيلة، زاد روحي لها في ابتداع حيّزها المختلف

يُقال إن رزان تظهر فجأة بين جموع المتظاهرين / الضحايا، تلمع كالشهاب لتقول كلمتين، ثم تختفي من جديد وتتوارى. لكنها لا تختفي من وراء شاشة الكمبيوتر: تكتب وتوّثق أسماء الضحايا من سجناء وقتلى ومختفين قسراً، وتحفظ قصصهم وأحلامهم، وتشاركهم نبضات قلوبهم راجفةً أم متسارعةً.لم تفتح رزان قلبها للضحايا فحسب، بل ضبطتْ إيقاع نبضاته على إيقاع نبضات قلوبهم الكسيرة.

وإذ تُسأل في مقابلة صحافية عن عملها النبيل هذا، تأتي إجابتها نبيلةً كذلك: «أقلّ ما يمكنني فعله هو نقل صرخة ثورتهم».

حين نشرتْ الصحافة المرئية والمكتوبة والمسموعة، خبر فوزها بجائزة الصحافية الروسية والناشطة في ميدان حقوق الإنسان آنا بوليتكوفسكايا، وذكرتْ اللجنة في بيانها: «إن عزيمة زيتونة وتصميمها دفعا النظام السوري إلى القبض عليها وتعنيبها هي وأفراد أسرتها»، فرح معجبوها الكثر، لا لأنها تستحق الجائزة عن جدارةٍ فحسب، بل لأنها في فوزها هنا تعطي صدقيةً عالية لصواب الخيار: أن نحبها ونتباهى بها.

امرأة تظهر وتختفي، تكتب وتختفي، تقول رأيها بجرأة وصدق وتختفي، توصل صوت الضحايا إلى العالم وتختفي، تروي قصص الضحايا وتخفي قصتها الشخصيّة: المرأة التي ابتدعتْ حيّزها المختلف، امرأة المقلب الصعب من الحياة، واقفة هناك عند ذرا المعاني.

أمهات الثورة
تاء التحرير

| **سامي كمال الدين** – القاهرة

«نزلت الميدان بعد يوم 28 يناير/ كانون الثاني. حسيت أن عليّ دور تجاه هذا البلد.لما بدأت أشوف الشباب اللي زي الورد في الميدان على قناة الجزيرة، وهو بيجري وعيونه مليانة خوف وتحدي قلت دول ولادي. صرخت: جاية لكم يا ولادي»، تقول الحاجة عنبة.

مرت دقيقة صمت، مغلفة بالحزن، لم يكن مقدراً لها المرور، في هذا الحديث عن ذكريات أيام مفعمة بالفرح والفخر. قضتها في ميدان التحرير «ناضورجية» على الميدان، تتابع بعينين منتبهتين الداخل إليه والخارج منه.

بررت «عنبة» ذلك الحزن بما أصاب كبد مصر من ألم في مذبحة ماسبيرو – قبيل منتصف الشهر الفائت – والأحداث التي سبقتها، والمطالب الفئوية التي كادت توقف الحال. «لم يكن هذا هو الهدف الذي خرج الناس من أجله إلى الميدان. الشعب المصري خرج لأجل الحرية وإسقاط الظلم، وأن يكون مسلموه وأقباطه يداً واحدة. خرج وهو خايف على مصر، ومهموم بهمها، والآن إللي خرج الشعب لطردهم من الصورة هما اللي بيبانوا في الصورة».

من ناهيا في حي امبابة الشهير تحركت الحاجة عنبة إلى ميدان التحرير. وجدت في بنيتها الضخمة وشخصيتها القوية ما يجعلها تقف على أحد مداخل الميدان بجوار الجامعة الأميركية ومطعم هارديز. سرعان ما تآلفت مع حراس الميدان، وأصبح لها صوت مسموع. تختار فتيات يقفن معها. دورهن الانتحاء بالنساء الداخلات إلى الميدان جانباً، وتفتيشهن، وفي آخر الليل تلتحف الحجة عنبة السماء، تنام منتظرة أن يشرق فجر جديد دون مبارك.

والدة خالد سعيد انتقلت من مسكنها في الإسكندرية إلى القاهرة. وأقامت في شقة مطلة على الميدان

حين أشرق هذا الفجر ظلت الحاجة عنبة في ميدان التحرير، لم تغادره حتى الآن. كيف لها أن تغادره وقد صارت معلماً من معالمه. ما إن تسأل أي بائع سميط أو تمر هندي أو كبدة في ميدان التحرير، إلا ويشير إلى تلك الكومة العظيمة والوجه المألوف المجاور لعم رمضان بائع الصحف الشهير في الميدان.

عم رمضان «حدوتة» تمشي على أرض الميدان، فمنذ عقود يجلس في الميدان. جاء قبل أن يجيء تمثال عمر مكرم المواجه له. تمنى دائماً لو أن البعض تفرغ قليلاً لهؤلاء النسوة اللواتي قمن بدور عظيم في ثورة 25 يناير. ابنه هاني يقول: «اوعوا حد ينكر دور العواجيز اللي زينا. أنا شفت ستات كبيرة بتتسحل. وشفت اللي كانوا بيتعكزوا وهما بيوزعوا ساندوتشات جبنة ولانشون للثوار. اللي معاه يدفع اتنين جنيه، اللي مش معاه ياخد الساندوتش ياكله، ولا يسألونه عن فلوس. أمهات بجد. شافوا الأمل بيتزرع في الميدان».

والدة خالد سعيد السيدة ليلى تعد من أمهات الثورة – فقد لعبت دوراً مهماً يوازي دور السيدات اللواتي كن في الميدان. انتقلت من مسكنها في الإسكندرية إلى القاهرة. وفي شقة مطلة على الميدان أقامت، بل وباتت بعض الليالي في الميدان تتابع الجرحى وتتحدث للفضائيات لتحمس الشباب. بل حتى وإن لم تنطق بحرف، كان وقوفها في وسط المشهد يفجر طاقات تحدّ للشباب، ولإعادة الحق الضائع. «كنتً أشاهد الجرحى وأصاب بالهلع خوفاً من أن يلاقوا مصير خالد ابني، وأنا واحدة من ملايين المصريين اللي كان هدفهم رد الظلم والقهر. لا أعرف إن كنت



سوف أنزل الميدان أم لا إن لم يكن خالد ابني فيه، لكن كانت لدي رغبة أكيدة في التخلص من الجلادين، وكنت أتمنى أن يعيش الشعب المصري في حرية».

ليلة التنحي شاهد الكثيرون السيدة ليلى وهي تقف على المنصة، تحمس الشباب وتطالبهم بالثبات وتؤكد لهم أن النصر قادم، وأن الشمس لابد أن تشرق.

من الأيام التي لا تنساها السيدة ليلى أيضاً، يوم عيد ميلاد خالد سعيد. أغلب من في الميدان أجهش بالبكاء، ولعل وجود هذه السيدة في هذا اليوم - 27 يناير/كانون ثاني – أعطى دفعة قوية للشباب، فهي تحتفل بعيد ميلاد ابن لا يسكن الأرض، لكنه يسكنها. أرادت استعادته في ذلك اليوم من أيام الميدان، لتستريح قليلاً من همها الدائم، لكنها لم تسترح إلا حين سقط مبارك ونظامه، على الرغم من أسودها الذي ما زال يجلل ملبسها.

فادية الطواف نموذج آخر من نماذج السيدات اللواتي شاركن في ثورة 25 يناير. تخرجت في جامعة الأزهر، وكانت تعظ النساء. وكانت عظاتها تحمل دائماً تلميحات سياسية لطرد الظلم وردعه. وحين انفجر بركان الغضب كانت في الميدان، تؤم النساء للصلاة. «كانت العديد من السيدات يرغبن في الصلاة جماعة في الميدان، لذا لم أتوان عن هذه الفرصة العظيمة، فقد وُجدت في الميدان منذ الأيام الأولى للثورة، وكان في صلاتنا جماعة، إضافة إلى ثوابها العظيم، أن تحقق لنا التآلف والمحبة والاتحاد، كنا نجهر بالدعاء بعد كل صلاة لأن يسقط الله الطاغية وأعوانه» تقول.

من جهتها، الناشطة انتصار بدر ترى أن الثورة قامت بالنساء والرجال، وأن المرأة لعبت الدور المحفز في هذه الثورة سواء كانت فتاة أو امرأة كبيرة السن. «هتفنا كما الرجال وبتنا في الميدان كما باتوا وعانينا كما عانوا. لا فضل لرجل على امرأة إلا بالمشاركة والبقاء في الميدان».

الحاجة فاطمة أحمد والدة الشهيد سامح علي جمال تصرح: «أنا فرحانة جداً بابني. قال لي يا ماما اذا مت شهيد تفرحي بي. وكان يصلي ويدعو الله أن ينوله الشهادة. ابني حاصل على بكالوريوس سياحة وفنادق، وكان يعمل في فندق في مصر الجديدة، وشارك في أول يومين في الثورة ضد الظلم، وكان طوال الوقت متضايقاً ومأزوماً ممن يقفون فوق كوبري أكتوبر ويضربون الناس اللي تحت، وقرر النزول بعد أن أنهى ورديته في اللجان الشعبية. ذهب إلى الميدان في الثالثة والنصف صباحاً وبعد الفجر أحس قلبي بالنهاية، ونظرت إلى التليفزيون فجأة، وجدتهم يسحبون شاباً على الأرض، بكيت، ثم جاء أخي وأخبرني بموت ابني، وحيدي على ثلاث بنات. كان يحلم بالشهادة ويراها بهجة وسعادة وأملاً يرنو إليها».

الثورة تسقط النموذج الأبوي في شخص الديكتاتور

المرأة التونسية تستكمل المسيرة

| باولا جاندولفي*

كنت محظوظة بالذهاب إلى تونس في إبريل الماضي بمناسبة مؤتمر دولي شاركت فيه، متحدثة، باعتباري من باحثي أنثروبولوجيا المغرب العربي وتخصصت في أبحاثي في الثقافات والممارسات اليومية لهذا الجزء من العالم العربي، فعرفت تونس، ودولة بن علي البوليسية، وكان لقائي مع تونس الجديدة مدهشاً.

منذ ذلك الوقت وحتى هذه الأيام تابعت بشخصي بعضاً من الحركات الكثيرة التي تنبع من القاع، والتي حاولت أن تعمل يوماً بيوم حتى تنجح الثورة التونسية في تحقيق مقاصدها، حتى، وعلى الأخص، بعد سقوط بن علي. كل أولئك الذين قابلتهم من نشطاء على جبهات كثيرة، والذين التقيتهم بطرق وفي أماكن مختلفة قالوا لي إجمالاً: إن الثورة التونسية حتى تنجح يجب أن تقوم بتعبئة العمل الشعبي، وإن دور المجتمع المدني دور أساسي. غني عن الذكر ومن نافلة القول أن أضيف أن الثورة نفسها على نحو حتمي لم تكن ممكنة لولا الدور الأساسي الذي لعبته في هذه العملية فاعليات المجتمع المدني والشباب وجمعيات حقوق الإنسان والجمعيات النسائية وغيرها.

ولكن الوعي الأكبر، في الشهور التالية، تمثل في الحاجة الملحة إلى تعبئة التحرك الشعبي في مرحلة ما بعد الثورة. من بين اللاتي رددن بألف طريقة وطريقة هذه الفكرة، واستطعت أن أراقبهن، وأن أراهن بعيني أثناء تحركهن، وأعتقد أنهن بدأن يطفين بطاقة واقتناع كاملين، طالبات الجامعة والنساء الناشطات والمهنيات والمعلمات والفنانات، واللاتي يقمن منذ شهور بحشد الوعي العام وتعبئته، وتوعيته بأن كل يوم له قيمة في أن يوصلن إلى المواطنين، والمواطنات التونسيات، حقوقهم، ويقمن بإذكاء الوعي بأهمية التصويت.

كثيرة هي الوجوه والأصوات النشطة تلك التي رأيتها طيلة الأسابيع الماضية. وبصفة خاصة، بين صفوف الاتحادات الكثيرة، التي كانت تقوم بعمل دقيق مثل جمعية «مشاركة المواطن Engag-ment citoyen»، وهي جمعية جديدة، أسستها أربع سيدات تونسيات، من بينهن نادرة بن إسماعيل، وهي محللة نفسية نشطة في مجال الدفاع عن حقوق المرأة، بهدف القيام بزيارات دورية للمصانع مع تركيز عال على العاملات، لتحفيز وعي المواطنة وأهمية التصويت.

إن فكرة أداء عمل مستمر في المصانع والتحدث مع العاملات، وتحفيز إدراكهن لمسؤولياتهن تجاه بناتهن، وكما أكدن هن أنفسهن، تجاه النساء العربيات اللاتي يراقبنهن في هذه اللحظة التاريخية الخاصة، هو أمر في حد ذاته ثوري.

وكثيرات من هؤلاء الناشطات يعرفن تماماً أن عملية التحرر النسائي في تونس مرتبطة ارتباطاً قوياً بالتصنيع، وأن التطور الصناعي قد غير التركيبة العائلية وشجع على الحراك الاجتماعي والتحضر العمراني. من الناحية التاريخية، كما تقول بعضهن، كان الصراع النسائي متسارعاً على نحو ما بسبب ظروف الحياة والعمل في المصانع (وليس مصادفة أن بعض الأحزاب الإسلامية اليوم تدعو العاملات إلى العودة إلى الأعمال المنزلية حتى لا ينضممن إلى أية حركات نقابية).

ولكن المثير الذي يمكن أن نلاحظه اليوم ليس فقط في قدر ما يمثله ثقل صورة «أب الأسرة» على المستويات السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية في العالم العربي بسقوط الديكتاتور، ولكن ما يمثله أيضاً رفض النموذج الثقافي والسياسي الذي ظل لقرون عديدة يتمثل في النموذج الأبوي العتيق.

لا يتعلق الأمر فقط بعملية تحول يمكن أن تسمح للمجتمع بالتغيير، بخوف أقل، ودون تعقيدات (كما ترى ليلى زواولي الناشطة في القطب الديموقراطي الحداثي وجبهة النساء من أجل المساواة)، وإنما الأهم من هذا وهو تطور عمليات المشاركة والوعي من القاع تقوم بها النساء من أجل النساء. إحدى المعارك الأولى التي كسبها المجتمع المدني التونسي تمثلت في الحصول على المساواة في قوائم الأحزاب السياسية لانتخابات المجلس التأسيسي. ليس هذا وحسب، بل تشكلت بعد يوم 14 يناير مباشرة «لجنة المساواة» التي أرادها قطب الشعب العلماني، والأكثر إدهاشاً بعد ذلك هي تلك الدينامية والتحرك المدني للمرأة،



بالخيال تواصل المرأة التونسية إبداع ثورتها

والتي لم تكتف بالبحث في هذه الشهور عن التوعية وتشجيع الصحوة السياسية بصفة عامة، ولكنها حاولت طرح طرق ملموسة للوصول إلى أحوال اقتصادية مقبولة، بطرح نفسها بديلاً عن الأحزاب التي تشتري الأصوات.

كل يوم في تونس وفي المدن الرئيسية للبلاد تنتشر الندوات والمعارض والمهرجانات الثقافية ومعارض الكتاب. لقد أظهر المجتمع المدني نضجاً ليس مسبوقاً، والنساء في هذا السياق الجديد كان لهن دور تزيد أهميته باستمرار.

وقد تابعت عن بعد تلك المبادرات الكثيرة للجمعيات النسائية التونسية، وأحياناً كان يصعب متابعتها لفرط حيويتها وسرعة إيقاعها. وعندما عدت إلى تونس في أغسطس، كانت جمعية «تونسيات من أجل الحقوق والمساواة والمواطنة» قد نظمت لتوها لقاء في مركز ثقافي خارج تونس للاحتفال بما يسمى «يوم المرأة» (13.8.1956 هو تاريخ صدور قانون الأحوال الشخصية). إن ما يدهش في هذه المبادرة وغيرها من المبادرات هو خليط من النضال السياسي والخيال، والعزم على الاتحاد، في عملية تأهيل وتوعية جادة، ومعها جرعة إبداع وإمتاع وحيوية.

ومن الوسائل المباشرة والأكثر نجاحاً كانت المشاهد المسرحية التي أعدتها بعضهن: فعلى خشبة المسرح تم تقديم مشاهد من الحياة اليومية للمرأة العادية، وقد وجدت النسوة الحاضرات أنفسهن في هذه المشاهد المطابقة لحياتهن، فتوحدن معها واستمتعن بها. فمسرحية «مدام لا شيء» كانت مجرد نموذج من عدة نماذج مبدعة وفعالة: الحدث الذي تم تمثيله على المسرح بأسلوب ساخر كان عن مشوار امرأة تقدمت بطلب عمل، وجنون الوثائق المطلوب منها تعبئتها، والتي تعني في النهاية أن أي امرأة تريد وظيفة وهي أم ، تبدو رسمياً كما لو أنها مدام «لا شيء». هذا الواقع اليومي المتحول إلى دراما، تقدم باللغة العامية، بمشاهد صغيرة واقعية، كان من بين الوسائل الأكثر فعالية لشرح حقوق النساء للنساء وإضحاكهن وإمتاعهن. وعندما كانت هذه المشاهد الدرامية تصل إلى وجدان الحاضرات اللاتي يتوحدن فيها كن ينفجرن في التصفيق والصفير والتهليل. وبالطريقة نفسها فإن مناخ الحوار غير الثقيل، والتنفيث، أدى في النهاية إلى أن تكون لدينا أمسيات احتفالية واقعية مفيدة تشيد وتبني، وتمتلئ بالتبادل النافع للمعلومات. وهذه ليست إلا بعض الأمثلة. فما نستطيع أن نحكيه كثير. آلاف من المشاهد والأحداث، إلى جوار الندوات السياسية والثقافية، والإعلانات الثقافية (مثل إعلان 13 أغسطس/ آب 2011 للنساء التونسيات من أجل المساواة والمواطنة)، ابتدعتها النساء التونسيات، وأثبتن أنفسهن بطلات لمحاولات التوعية والتحفيز من القاع، وهذه علامة على الشجاعة وقوة الإرادة، فإذا أضفنا إليها الإبداع والخيال نجد أنها تشجع على ديناميات صغيرة وأساسية للوفاء بالاستحقاق الانتخابي الأول وإلى عملية تغيير أوسع يمكن أن تبدأ من القاع. مع الوعي بأنه في هذه المرحلة، أكثر من أية مرحلة أخرى، يلزم الخروج بشجاعة واقتناع من البيوت والذهاب إلى المرأة والأسرة، إلى الناس. وهذا هو ما يهدف إليه مشروع «ارتقراطية»، الذي علق صوراً ضخمة الحجم لمئة مواطن تونسي غير محددي الهوية – من بينهم نساء – على جدران المدن التونسية، في بلد ظل لخمسين عاماً لا يعلق سوى صورة الرئيس، وهو ما يحمل الفن إلى الناس العادية ويعطيها ملامح ووجها، وبالطريقة نفسها، فإن بعض هذه المحاولات كشف عن محاولة حقيقية للمرأة أن تخرج من البيت ومن مقار الجمعيات النسوية وأن تذهب للقاء النساء الأخريات والتعرف على قصص أخرى من الحياة اليومية. قبل كل شيء، لكي يتعارفن ويعلمن ويتواصلن، وهذه هي الخطوة الأولى لأي شيء يمكن أن يعتبر ثورياً بحق.

*أستاذ السياسات التربوية في البلاد العربية الإسلامية المتوسطية واللغة العربية بجامعة بيرجامو الإيطالية.

ترجمة: حسين محمود



في 15 يناير/كانون الثاني 2011، ساعات قليلة بعد سقوط نظام زين العابدين بن علي، كتبت لينا بن مهني على مدوّنتها «بنية تونسية» باللّغتين الفرنسيّة والإنكليزية: «أول ما رأيت صباح اليوم.. هو علم تونس».

اسمي «بْنية»

سعيد خطيبي

أبصرت عيناها مع الاستيقاظ النجمة والهلال المحاطين باللّون الأحمر كما تمنّت دائماً رؤيتهما. بعيداً عن ديكتاتورية الرئيس المخلوع.

«الحجب» و«الغلق» هما مصطلحان يعرفهما جيداً مدوّنو تونس الذين عانوا طويلاً من تعسف النظام البوليسي السّابق. ولينا بن مهني(28 سنة)، التي تردّد اسمها مؤخراً في مداولات لجنة جائزة نوبل للسلام، هي واحدة من النساء المناضلات اللواتي تعرضن للتّضييق في ممارسة حقهن الشرعي في التّعبير، وفي الكشف عن المستور. حيث تمت قرصنة مدونتها التي أطلقتها عام 2007 إحدى وأربعين مرة.. وجاءت الثورة التي أطلق شرارتها البوعزيزي، لتحررها، وتحرّر كثيرين مثلها، من سلطة الرقيب.

دور لينا في تدويل ثورة تونس بالصّورة والتعليق لا يمكن أن يختلف فيه اثنان. حيث ساهمت في تزويد الضمير العالمي بالحقائق التي لم تستطع عدسات وكالات الأنباء والقنوات الإخبارية بلوغها. تسلّحت أيام القمع البوليسي واعتقال المتظاهرين وتعذيب الناشطين السياسيين، بداية السنة الجارية، بإيمانها في التغيير السّلمي. وسافرت بوسائلها الخاصة من تونس العاصمة إلى القصرين والرقاب بولاية سيدي بوزيد، حاملة معها كاميرا، وتتبعت عن قرب مسار نهاية الديكتاتور خطوة بخطوة. شجاعة المناضلة في نقل وقائع الثورة من البؤر الأكثر سخونة ساهمت في دفع اسمها إلى واجهة الاهتمامات الدولية والإقليمية. حيث نشرت لها دار «أنديجان» الفرنسيّة كتاباً تحكي فيه جزءاً من تجربتها في مقاومة نظام بن علي.

اليوم، مع دخول تونس مرحلة جديدة، لا تبدو لينا بن مهني متفائلة وتقول: «أبقى أحتفظ ببعض الأمل، ولكنني أرقب بحذر مستقبل البلد». تعتقد أن التغيير الأهم لم يتأت بعد. الطريق ما تزال محفوفة بالعقبات، وسقوط الديكتاتور لا يعني طيّ صفحة الماضي كلية. تعبر عن ثقتها في الإعلام البديل من أجل نقل المعلومة والمساهمة في البناء. ولكنها تشير أيضاً إلى ضرورة الانتباه أمام مدّ «المغالطات» التي تروّج لها مجموعات من الداخل تريد سلب الشعب مكتسبات ثورة مست رياحها مصر وليبيا وسورية ودولاً عربية أخرى. تشاؤم بن مهني، التي تعمل مدرسة للغة الإنجليزية في جامعة 7 أكتوبر، يتجلى في آخر ما كتبته على مدونتها عقب رفض السّفارة التونسية منح مدونين فلسطينيين تأشيرة لحضور فعاليات «الملتقى الثالث للمدونين العرب»: «هاته الخطوة التي أقدمت عليها الحكومة التونسية أكبر دليل على أنّ الثورة ضاعت من بين أيادينا وأنّ النظام لازال قائماً وكلّ ما وقع في تونس الحبيبة هو تغيير وجوه النظام.. ما وقع هو تمييز عنصري مارسته حكومة عربية على أبناء شعب مستضعف لا تفسير ولا تبرير له، ومما زاد من تعميق الجرح هو غياب أيّ تفسير لهذا الرفض وأيّ ردّ فعل مع أنّي لا أرى أيّ تفسير لهاته الخطوة الخطيرة للجهات التونسية المسؤولة».

لينا بن مهني التي تعود بداياتها في النضال ضد نظام الطاغية إلى عام 2008، حيث دونت أحداث الحوض المنجمي، حصدت هذه السنة كثيراً من التشريفات، منها جائزة أفضل مدونة التي تمنحها قناة «دوتشيه فيليه» الألمانية، وجائزة الصحافة العالمية التي تمنحها جريدة «ألموندو» الإسبانية. يرى فيها كثير من المتتبعين وجهاً من أهم الوجوه الفاعلة في الربيع العربي. رمز امرأة شابة اختزلت معاناة نساء عربيات كبرن وسط القمع والمنع، ولكنهن لم يتخلين يوماً عن حلم الانقلاب على سياسات المنع.



أمجد ناصر

أيام عرب جديدة.. ودامية

سيتذكر العرب طويلاً هذا العام. إنه، حقاً، من «أيام العرب»، وهذه الأخيرة، كما نعرف، سجلّ حافل بالوقائع والغارات التي دارت بين القبائل العربية في «العصر الجاهلي»، أو بين بعض القبائل العربية والفرس، واكتسبت على لسان الرواة والإخباريين طابع الملحمة، وربما الأسطورة، وتناقلها عرب لاحقون، رواية وشعراً، جيلاً بعد جيل. لكنّ الفارق أن أيام العرب في عام 2011 لم تكن بين قبائل تتصارع على الزعامة والمجال الحيوي وإنما بين شعوب مُهانة وحاكمين جائرين من بني جلدتهم أدخلوهم، بالسجون والمخابرات والتجويع، إلى حظائر الصمت والطاعة في «الدولة الوطنية».

•••

لم يصدّق العرب أنفسهم. لم يصدقوا أنهم قادرون على خلع نير الطغيان من أعناقهم. ما حدث كان أكبر من أن يتوقعوه فهالهم أنهم بالحناجر، بالأيدي المعروقة، بالصدور العارية، ببضعة شعارات قادرون على كسر جدار الخوف والصمت والانسحاق الذي حُبسوا خلفه طويلاً.

الثورات العربية التي اندلعت من جسد التهمته النيران في بلدة مغمورة ونائية في تونس فاجأتنا قبل أن تفاجىء غيرنا. هذا السيل الهادر من الحناجر والأيدي والأجساد الفتية والتصميم، الذي لا نعرف من أين حطّ علينا، أربكنا. فقد صدقنا أننا استثناء من الحرية والكرامة. مجرد جسد تبلّد ولم يعد يصدر عنه ما يوحي أنه حيّ سوى ما يربطه بحياة الأنعام: البيولوجيا الصرف. هذه هي علامات الحياة وأماراتها في جسد أمة تتمدّد، بخنوع وذلّة، بين ماءين مالحين. لا شيء، تقريباً، غير ذلك. دليلنا على الاستثناء المعيب هو هذه الأنظمة البائسة التي انحطّت، في هزيعها الأخير، إلى مستوى العصابة. دليلنا هو الخوف الذي سكننا كقرين من كلّ من تلوح على كتفه شارة: الجندي، الشرطي، جابي المياه والكهرباء، ساعي البريد إلخ. لكن فجأة يحدث ما لم يحدث من قبل. تجرّب الجموع التكتّل والتّراص في الشارع والميدان العمومي. تزحف من الأزقة والحارات لتصب في النهر البشري الذي يكبر ويعلو ويموج. تجرّب الجموع استخدام الحبال الصوتية المعطلة فتطلع الصرخة الحبيسة. تهدر الأصوات أكثر وأعلى فيتداعى، تحت عصف هديرها، هيكل الطغيان ويتبدى خواؤه الفظيع.

الانهيار السريع لاثنين من أشرس الأنظمة العربية أمام قوة الناس العارية من أيّ سلاح سوى الإرادة، سوى الشوق الممضّ للحرية، تحوّل عدوى انتشرت في الهواء العربي. طلع الناس من الكهوف والمغاور، من وراء الأسوار العالية، في غير مكان عربي. في هذه الأثناء صحت الأنظمة العربية التي شعرت بالزلزلة تحت أقدامها من طمأنينتها إلى ثبات «طاعة» شعوبها وانصياعها إلى الاستبداد فانتضت السلاح. بادرت إلى الرصاص الغزير. وعندما لم ينفع رصاص البنادق في إعادة «العبيد» الآبقين إلى حظائر الطاعة، دفعت دباباتها، التي كادت أن تصدأ في المستودعات، إلى المدن والبلدات العاصية.

ومع انطلاق دبابة النظام العربي محوّلة الشعب إلى زمر من الإرهابيين والسلفيين والمتآمرين والجرذان حامت في أجوائنا أسئلة التشكيك: هل هذه الثورات من صنعنا، أم من صنع أميركا والصهيونية العالمية؟ هل ما يجري ثورة أم مؤامرة علينا؟

•••

«الأجندات الخفيّة»! هذا هو مربط الفرس عند المشككين في الانتفاضات العربية. وهنا يحدث دغدغةً لدى رهط من المثقفين والسياسيين العرب ذوي الخلفيات القومية والماركسية المبتذلة (غير الماركسية الحقيقية) ممن وقفوا، ولا يزالون، مع أنظمة الطغيان العربي بحجة تغليب «التناقض الرئيسي» (الامبريالية والصهيونية) على «التناقض الفرعي» (ما يسمونه الأنظمة الوطنية العربية).

لست من السذاجة كي لا أعرف أن مصالح الجماهير العربية قد تتقاطع في لحظة معينة، من دون تخطيط ولا أجندة، مع مصالح آخرين، قوى عظمى مثلاً. المثال الفلسفي المدرسي القديم لا يزال صالحاً: أن تغصّ بالماء وتموت لا يعني أن تكفّ عن شرب الماء. ليست العلة في الماء ولن نتوقف عن شرب الماء لأن هناك احتمالاً أن نغصّ به ونموت. نحن في حاجة إلى الماء. إنه أساس الحياة. والماء هنا ليس سوى استعارة للحرية. فلن نتوقف عن طلبها لمجرد أنها قد (أقول قد) تجد صدى في نفوس آخرين، قد تتقاطع مع رؤى وتصورات تخصهم. فإن لم نستطع التعويل على ديناميات شعوبنا ورؤيتها الواضحة لمصالحها ووعي شرائح من نُخبنا التي لم ينخرها الفساد فهذا يعني أن نقرأ على أنفسنا السلام. ستكون هناك دائماً مصالح تتقاطع بين ما هو محلي وما هو خارجي، ولا ينبغي أن نصاب برهاب الارتياب في حاجتنا إلى الحرية لمجرد أن لهذه الكلمة رنّة مغايرة في أمكنة أخرى.



ربيع العرب
بين الكرامة والكونية أو:
نظرية (ك/ك)

د. محمد الرميحي - الكويت

سوف نحتاج إلى سنين طويلة لنعرف الأسباب العميقة لما حدث ويحدث في الفضاء العربي، انطلاقاً من تونس في نهاية عام 2010 وليس انتهاء بما يحدث في سورية في بحر عام 2011 مروراً بمصر واليمن وليبيا. ما نحتاجه هو التفكير بصوت عال لتفسير ما حدث.

التفسيرات المتاحة كثيرة، بعضها قريب إلى الهزل وبعضها قريب إلى الجد. من الهزل ما كتبه توماس فريدمان المعلق الأميركي المشهور، أن العرب (غاروا) من ما حدث لدينا في أميركا وما حدث في إسرائيل، فقد انتخبنا لأول مرة (رجلاً أسود) كرئيس للجمهورية، وقدم رئيس جمهورية إسرائيل للمحاكمة بسبب تحرش جنسي! يقول عندما شاهد العرب ذلك قرروا أن يعيشوا عصر الديموقراطية! بالطبع ذلك تفسير سانج للأحداث، ولكن لا يخلو من نظرة سلبية للعرب ظهرت بين السطور وإن لم تقل.

ما يعنينا هو توصيف ما حدث، الحقائق أمامنا تقول إن ربيع العرب انقسم إلى قسمين: الأول سباق قفز موانع لمئة متر، قصير ومثير وسريع النتائج، ذلك حدث في تونس ومصر، والثاني سباق ماراثوني طويل أنهك الأنفاس وبعثر الدماء، كما حدث ويحدث في ليبيا واليمن وسورية، وربما في بلدان أخرى.

في العُمق هناك عاملان أرى من منظور سيكولوجي أنهما أثّرا كثيراً فيما يحدث، الأول هو ما أسميه الحط من كرامة المواطن العربي (الحُقرة) والثاني (تأثير الكونية) أو (تأثير العصرنة)، ومن أجل التعرف إلى مفاعيل هذين العاملين علينا أولاً أن نقدم شرحاً للمفهومين، اللذين يمكن اختصارهما بتفاعل ك / ك.(كرامة وكونية).

الحُقرة، أو انتفاء الكرامة الإنسانية ،أو احتقار المواطنين من قبل الأنظمة، تظهر في أيقونات الشرارات التي فجرت – كما هو متفق عليه بشكل واسع – انتفاضة العرب الحالية، وأقصد حادثي البوعزيزي في تونس وخالد سعيد في مصر. كلاهما اختصار صارخ لإهانة الكرامة الإنسانية، فقد وجد العرب أنه في عالم يعيشون فيه مع آخرين، كل شيء ثمنه يزداد ارتفاعاً، من لقمة الخبز إلى دفتر المدرسة، إلا أن ما يرخص وبسرعة، هو كرامة الإنسان العربي. إذاً فالحقرة أو افتقاد الكرامة هي واحد من العوامل الهامة التي ساهمت في تفجر ربيع العرب، إلا أنها لم تكن (وحدها) قادرة على هذا الفعل الكبير والتاريخي، هناك عامل آخر اشترك معها وأرى أنه كوَّنَ خلفية الصورة وهو (الكونية أو العصرنة)، وهي التي تعني في بعض مما تعنيه، تلك العوامل التي تؤثر في التغيير الاجتماعي، حيث تتعرف المجتمعات الأقل نمواً (كالمجتمعات العربية) إلى الخصائص المشتركة للمجتمعات الأكثر نمواً. أي التقدم الاقتصادي السريع في زمن قصير مع التشبيك العولمي من خلال اتساع استخدام ثورة المعلومات التي تفجّرت في وجه العالم وأصبح أكثر التصاقاً بعضه بالآخر وتأثراً بما يحدث فيه.

من مؤشرات الكونية أو العصرنة (تدفق السكن في المدن، انتشار



كاف الكرامة لم يرهبها الحرس

التعليم، انخفاض وفيات الرضع، طول أعمار السكان، محو الأمية، الخدمات الصحية، التعرض لوسائل الإعلام الحديثة) وغيرها من المؤشرات هي محفزة لتسريع الصراع الاجتماعي، خاصة إذا قوبلت بسياسات جامدة لا تستجيب للمتغيرات الاجتماعية الاقتصادية السريعة. يحدث وقتها أن يقع في المجتمع ما يمكن تسميته بـ (انسداد في المسارات الطبيعية للتطور) تحتم أن تجد لضغوطها مسارات بديلة وجديدة. إنها قوى سياسية صاعدة تبحث عن دور، يقف أمامها تصلب الجماعات السياسية التقليدية.

من هنا يظهر ما يسمى النشاط السياسي الاعتراضي، خاصة من الشباب. فالحرمان النسبي بين ما هو متوقع وما هو قائم يترجم إلى مشاركة سياسية متمردة على كل الواقع. فكلما ارتفع مؤشر التغير نحو الحداثة، ارتفع معدل المطالبات السياسية. هذا يفسر ما احتوت عليه نهضة الجماهير العربية من شبابية، صحيح أن شرائح أخرى تبعت الحركة الجماهيرية، ثم التحق بها السياسيون، إلا أن حجر الزاوية كان من الشباب. ومن خلال متوسط أعمار القتلى في معظم دول الربيع، نعرف أن حطب التغيير هم الشباب.

التفاصيل في تفسر كل ذلك كثيرة: الحُقرة سبب للثورة!

نسي العرب وخاصة المشتغلين بعلم الاجتماع النصيحة الذهبية التي تركها لنا عالم من مؤسسي علم الاجتماع، وهو ماكس فيبر في بداية القرن العشرين، حيث قال إن عالم الاجتماع يجب أن يبقى في علم الاجتماع ولا يميل إلى السياسة، فمتى ما أدلج (أي دخلت الأيديولوجية) علم الاجتماع فسدت النتائج التي يسعى إلى إثباتها، لأنه حينها يحكم على الظواهر بمنظار السياسي وليس عالم الاجتماع. ربما ما عدا قلائل من المشتغلين بعلم الاجتماع العربي، اهتموا بالفصل بين الاثنين. معظمهم خلط ما بين ما يريده ويرغبه سياسياً، وبين الظواهر الاجتماعية الشاخصة أمامه، إما تبريرًا دون إثبات أو نقداً دون دليل.

كلما ارتفع مؤشر التغير نحو الحداثة، ارتفع معدل المطالبات السياسية. هذا يفسر ما احتوت عليه نهضة الجماهير العربية من شبابية

من هنا فإن معظم ما كتب حتى الآن (أواخر 2011) من ملاحظات اجتماعية على ما حدث ويحدث في عدد من المجتمعات العربية، هو في الحقيقة ملاحظات سريعة مخلوطة بأيديولوجيا ثقلية تستر عين القارئ عن الحقائق. بعضهم فسر ما حدث وما يحدث في كل من تونس ومصر واليمن وسورية وليبيا، وربما عدد من البلاد العربية الأخرى، منذ شهر ديسمبر 2010 وحتى اليوم، أنه يتم بسبب الفقر في هذه المجتمعات. ذلك

ليس حقيقة مطلقة، فتونس على سبيل المثال كان متوسط دخل الفرد فيها عند قيام (الانتفاضة) أعلى من بعض دول عربية تنتج النفط. بعضهم فسر ما حدث بأنه عدم رضا الطبقة الوسطى في تلك البلاد عن الإدارة السياسية القائمة، إلا أن الحقيقة هي أن الطبقة الوسطى، وإن قدمت ممثلين لها في عدد من (الانتفاضات) إلا أنها لم تكن الوحيدة أو القائدة، فقد قام الجيش بدوره، سواء في تونس أو مصر، كما قام بدور شبه معاكس في كل من ليبيا واليمن وسورية حتى الآن، وربما القبيلة في اليمن أيضاً قامت بدور ما معاكس أو موافق للانتفاضة اليمنية. بمعنى آخر لا يوجد سبب تقليدي واحد بعينه يجمع العناصر المؤدية إلى ربيع العرب غير تلازم الحُقرة بالكُونية. (ك/ك).

بلاد مثل بنغلادش، أكثر بلاد العالم فقراً، الناس تبيت وتتوالد في الشوارع، وليس هناك أكثر من نسبة العاطلين في إسبانيا اليوم، وليس أكثر من فساد حكومات تدعي الديموقراطية كما في دول استقلت عن الاتحاد السوفياتي السابق أو حتى روسيا الاتحادية. ولكن كل هذا البلاد وغيرها لم تلجأ إلى الشارع كي تقوم بانتفاضة تغير النظام عن بكرة أبيه! كما حدث لدى بعض العرب!

ما أردت أن أصل إليه أن التسرع في تفسير تلك الانتفاضات جعل كثيرين يميلون إلى تثبيت كليشيهات معروفة في علم الاجتماع الكلاسيكي، عن طريق التفسير ذي العامل الواحد، وهنا يذكرني بعدد من الدراسات التي تمت بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 الكارثية. وقتها أيضاً حصل التسرع في إطلاق الأحكام، كان أكثرها تفسيراً هو نقص في الممارسة (الديموقراطية) في بلدان الأشخاص الذين قاموا بالعمل التدميري في صباح خريف الساحل الشرقي للولايات المتحدة وكانوا جميعاً من العرب الذين كان بعضهم قد ذهب إلى أفغانستان، الأمر الذي بنَت عليه إدارة بوش الابن كل سياساتها، والتي أدت إلى حرب لاحقة وضروس في كل من العراق وأفغانستان ما زال بعضها مستعراً، وكلفت الكثير من الأرواح والكثير من الأموال. وعندما أفاق الجميع، تبين أن (دمقرطة) هذه المجتمعات ليست هي الحل السريع لإنهاء الأزمة، لأن هناك عوامل ثقافية يجب أخذها في الحساب تقلل من التحاق هذه المجتمعات بالديموقراطية الغربية، فلا العراق أصبح ديموقراطياً على طريقة وست منستر، ولا الأفغان أصبحوا ديموقراطيين على الطريقة الجفرسونية، نسبة إلى بريطانيا وأميركا، إلا أن الصحوة من الفهم الخطأ جاءت متأخرة بعد أن خُسفت الأرض، بعد أن تبين أن هناك جماعات إرهابية نبتت على أرض ديموقراطية، كما حدث في بريطانيا وألمانيا بل والولايات المتحدة نفسها.[1]

بالعودة إلى تفسير ما حدث ويحدث من (انتفاضات عربية) أرى أن السبب المباشر هو (الحُقرة) كما قلت ممزوجة بنتائج العصرنة، أي فشل ذريع في إدارة المجتمعات إدارة حديثة، تأخذ في الحساب الثورة التقنية التي اجتاحت العالم وتتكيف مع متطلباتها.

أي غياب الوعي السياسي الذي يوائم بين متطلبات الأجيال الجديدة، وبين التعبير السياسي المحافظ والتقليدي السائد. هذا الغياب هو الذي جعل من بن علي في تونس ومبارك في مصر وعلي عبدالله صالح في اليمن والقذافي في ليبيا ومن بعض زعامات أخرى، تتجاهل المتغيرات وتتجاهل مصالح المواطنين، إلى درجة نفي أن تكون موجودة. ليس المهم أن تكون هناك ديموقراطية بمعنى صناديق انتخاب ومكان يتخاطب فيه المنتخبون بأشنع الألفاظ يسمى برلماناً، المهم أن يكون هناك قانون عقلاني سائد في المجتمع، وأن يحترم هذا القانون بدقة وبحزم ويطبق على الجميع، المهم معرفة قوانين الاجتماع وملاحظة التغير في مصفوفة القيم التي تتأثر بقوة بالعولمة والكونية. تجاهل الناس ما أسميه بـ (الحُقرة) هو ما جعل من القذافي يطلق (أكذوبة سياسية) ويصدقها، فقد اقتنع أنه لا رئيس ولا مسؤول، هو فقط قائد، وترك أبناءه يعيثون فساداً في كل مقدرات ليبيا. إلى درجة أنه يثير زوبعة سياسية إن مُسَّ أحد أبنائه – جراء استهتاره – في أي بلد، كما حدث مع سويسرا، أو يدفع بلايين الدولارات من المال الليبي على تعويضات ليس للشعب الليبي أية يد فيها، أو أن يدفن آلاف الليبيين في المقابر الجماعية دون أن يسأل.

أو من جهة أخرى يقرر حسني مبارك، توريث الجمهورية لابنه دون أدنى اعتبار للناس، أو حرمان الناس من أقل درجة من الحريات وإطلاق قوى الأمن المتعدد عليهم تحت ذرائع مختلفة كما في سورية. تلك أمثلة من الحُقرة التي تحرم الحرية على الناس، في الوقت الذي يتاح للمواطن العادي – نتيجة التقدم التقني الهائل- الحصول على معلومات في كيفية تعامل البشر فيما بينهم بشكل حضاري في أماكن أخرى.

لذلك نجد أن أوسع تجمع ليبي مثقف هو خارج ليبيا، وأكبر تجمع إنساني متعلم ومدرب، هو خارج مصر، وقد كانت نتيجة الدراسات التي أجريت على شباب مصر، أن أمنيتهم الغالية بعد التخرج، الهجرة خارج مصر. ليس لأن مصر فقيرة من الموارد، بل لأن احترام الإنسان فيها وصل إلى مرحلة لا تطاق من الدونية. الرئيس السابق حسني

التسرع في تفسير تلك الانتفاضات جعل كثيرين يميلون إلى تثبيت كليشيهات معروفة في علم الاجتماع الكلاسيكي



كاف الكونية أطلعت العرب على معنى الحرية

مبارك، لما قيل له إن الناس لم تعجبهم نتائج انتخابات مجلسي الشعب والشورى لعام 2010، وإن المعارضة تفكر بإنشاء (برلمان بديل) قال بكثير من الاستخفاف: (خليهم يتسلوا)!.

يشل البلد من أقصاه إلى أقصاه، إذا تحرك الرئيس من مكان إلى آخر، دون احترام لمصالح الناس، يتعطل بعضهم على الطرقات لمدة ساعات لأن الرئيس سوف يمر، تلك حُقرة للناس، وأمثلة أخرى تبين مدى استهتار القيادات بمصالح ورغبات الناس، في الوقت الذي يرى فيه الجميع أن اجتماع قيادات أخرى في دول متقدمة، يجري بسهولة ويسر، دون إرهاق للمواطن، ويترك المسؤول وظيفته الكبيرة ليكون مواطناً عادياً بين الناس. كل هذا كان تحت سمع وبصر المواطن العربي تنقله وسائل الإعلام الحديثة حتى بيته.

نصف السودان ينفصل عن شماله بسبب هذا الضعف الهائل في إدارة الدولة، وربعه الأخير (منطقة دارفور) تجري فيها حرب شبه حرب أهلية، والنظام يتعمد (حُقرة) الأحزاب الأخرى ومطاردتها وسجن نشطائها.

في منكراته الأخيرة التي صدرت في كتاب، ينقل الإمام الصادق المهدي، رئيس حزب الأمة، ورئيس وزراء سابق، قول المعارض الرئيسي في الجنوب ورئيس حكومتها سلفاكير، أنه لولا الحياء، لأقام الجنوبيون تماثيل لكل أعضاء قيادة (ثورة الإنقاذ)، وأشخاص حكومات البشير المتعاقبة، لأنهم الذين اقنعوا - بسياساتهم المعتمدة على الحرب والتصفية - الجنوبيين بالتوجه إلى الانفصال!! وهكذا تم الانفصال بأغلبية بلغت تقريباً الإجماع! بعد حروب سقط فيها مئات الآلاف من البشر، وشُرِّد فيها أكثر من ضعفي العدد!

كيف ما وجهت نظرك في عالمنا العربي ترى فشل (الإدارة العامة) في وقت يتم التواصل بين أطرف المعمورة في ثوان، وفي وقت لا يمكن إخفاء الحقائق إلا لبضع دقائق، سرعان ما تعرف، وفي زمان يرى فيه الناس – كل ليلة – تقريباً على شاشاتهم كيف تقدم العالم من حولهم.! في زمن يقول لنا فيه المختصون بالاتصال الحديث، إن تراكم المعرفة منذ نشأة الحضارة إلى عام 2003 يمكن اختصارها بعمل يومين بسبب وسائل الاتصال الحديثة.

بعد أن وقفت المطبعة، بعد اختراعها، على أبواب المسلمين 300 عام، دخلت إلى بلادنا، وكانت المطبعة قد أحدثت ثورة في العالم الذي اخترعت فيه (أوروبا) كما أن اكتشاف البخار غير العالم من جديد، إلا أن المطبعة والبخار بقيا لسنوات يتراوحان أمام الشعوب العربية، اليوم وسائل الاتصال الحديثة، ما إن تخرج من مصانعها حتى تصل إلينا، ذلك ما لم يفهمه البعض بعد. اعتقد هنا البعض خطأ، أن رفع الأسوار هو الحل، وتفعيل القوى الأمنية هو الملاذ، في حين أن البث الفضائي يأتي من أعلى! قوة الأفكار فاقت كل قوة، والأفكار لا تستأذن في الدخول.

يقابل المواطن العربي بحقران ليس له مثيل في كل شيء تقريباً، فالكبير لا يقف على طوابير الانتظار، ولا يتفحص في وجهه الشرطي في المنافذ، كونه متهماً حتى يثبت العكس، ولا تحترم أقدميته في وظيفة يريدها من هو في السلطة لقريب غير مؤهل، ولا تعطى له حقوقه في المحكمة، ولا يحترم أحد خصوصيته، بل آدميته. هو مدان قبل أن يتكلم، ومتهم قبل أن ينطق!

أمام كل ذلك فقد اقتنع المواطن العربي، أمام شعور عام وسائد بعدم الاحترام، بأن خسارة حياته لم تعد خسارة، هي خسارة في دنيا لا قيمة له فيها، لذلك لم يعد الخوف هو الرادع، فانفجرت الحناجر، وبدأ التصدع وتجمع الناس في الميادين، مستعدين للموت، رافعين شعار (ارحل) إنها مفاعيل الـ (ك/ك)، والحبل على الجرار.

---

(1) تبين من عدد من الدراسات أن هناك جماعات أصولية في الغرب تكونت من أبناء الغرب نفسه مثل الجماعة الجهادية الألمانية.



قوارب هزيلة تخوض البحر نحو إيطاليا وغالباً كا تصل إلى الآخرة!

حلم الهجرة الذي يتحول عاراً بين الضفتين:

إيطاليا جهة الوصول

القاهرة - **مكتب الدوحة**

علم دراسة الصورة أو الإيماجولوجيا، ليس منتشراً على نطاق واسع في عالمنا العربي، ولكنه علم مقبول و«موضة» في إطار علوم المقارنة الحديثة. ولكن المؤكد أن الاشتباك ظاهر بين أطراف العالم وهوامشه، وتعقد العلاقات العولمية.

تأثير الصورة الذهنية التي تتكون عن أرض ما، عن ثقافة ما، عن كيان ما، وحتى عن سلعة ما، هو ما تسعى الإيماجيولوجي أن تبحث فيه، باعتبارها في الأساس من علوم الاتصال، الذي وجد له تطبيقات في الأدب، وفي السينما.

وهي مناسبة لدراسة ظاهرة الهجرة أو انتقال البشر من أرض إلى أرض. الظاهرة التي تخلف الكثير من المآسي الإنسانية، الكثير من الشكوك والمخاوف.

ولهذا السبب اجتمع نخبة من الباحثين من أطراف العالم لكي يناقشوا في القاهرة (كلية الآدب بجامعة حلوان من 3 إلى 4 أكتوبر/ تشرين الأول 2011) دور الصورة في حركات الهجرة عبر السينما والأدب والإعلام، وعلى نحو خاص دار الحديث حول الهجرة إلى إيطاليا، فهو عنوان المشروع البحثي الضخم (جهة الوصول: إيطاليا) الذي يشرف عليه البروفيسور جويدو بوناسفر، أستاذ الدراسات الإيطالية بجامعة أكسفورد البريطانية، وتشارك فيه جامعات من أميركا وأستراليا وإيطاليا ومصر.

حكاية ورشة العمل العلمية هذه بدأت في عام 2010 عندما فاز قسم الدراسات الإيطالية بجامعة أكسفورد ISO بمنحة من مؤسسة ليفر هولم ترست، لتكوين شبكة دولية لدراسة صور تقديم ظاهرة الهجرة في الرواية والإعلام الحديث (السينما والأدب). أطلق على هذه الشبكة اسم «جهة الوصول: إيطاليا»، وهدفها هو أن تجمع علماء ودارسين يعملون من كافة أنحاء العالم من خلال مجموعة من الفاعليات على مدى 24 شهراً بدءاً من سبتمبر عام 2010. ويتضمن المشروع أيضاً أن ينشئ ISO قاعدة بيانات شاملة عن الأفلام التي تتعامل مع موضوع الهجرة إلى إيطاليا. وقد تلقى هذا مزيداً من التمويل من جانب صندوق جون فيل.

ويعتبر السبب في اختيار موضوع



الهجرة، وإلى إيطاليا تحديداً، هو تعرض إيطاليا في الأعوام الأخيرة إلى تدفق هجرة ضخمة الأبعاد، أثارت عدداً من المخاوف المثيرة للجدل الساخن، سياسياً واجتماعياً وثقافياً. ويتصور المشروع أن بمقدور النقاش العام حول هذه الظاهرة أن يستفيد من الرؤية الخارجية لها، خاصة إذا كانت هذه النظرة الخارجية متعددة المناهج والعلوم، وأنها تحمل إلى ساحة النقاش آراء وخبرات دولية لها ثقلها. تعد الهجرة من القضايا الحاسمة في كيفية تطور المجتمع الإيطالي في المستقبل، ولذا فإن من الحيوي بمكان إنجاز فهم مفصل للعوامل المشاركة في مثل هذه العملية العميقة.

يستكشف البرنامج المطروح القضايا المرتبطة بتصوير الإعلام والرواية للهجرة فيما يتعلق بالحالة الإيطالية. وهي تهدف إلى إنتاج دراسة عميقة في منطقتين بينهما يتعلق كل منهما بالآخر: أي كيف يتم تصوير المهاجرين في الإعلام والسينما والأدب في إيطاليا، وكيف تم تصوير إيطاليا في بلدان المهاجرين الأصلية. ومن خلال البحث يستهدف تكوين صورة شاملة سوف تسهم في فهم دور الصورة الذهنية في آليات الهجرة.

يجمع برنامج «جهة الوصول إيطاليا» علماء يعملون في حقل الهجرة في سياق دولي حقيقي. ستكون شبكة أكسفورد «بينية الدراسات» هي مركز المجموعة البحثية التي تتخذ من لندن مقراً لها وتضم جامعات برمنجهام، وبريستول، وأكسفورد بروكس، وريدينج، ويو سي إل وواريك، أما الشركاء الدوليون لهذه الجامعات البريطانية من فلورنسا، وجامعة لاسابينسا بروما، وجامعة روما 3، والمركز الجامعي موناش بمدينة براتو، ومن مصر جامعة حلوان، ومن فرنسا جامعة باريس الثانية، وفي أميركا جامعة كوني بنيويورك.

وسوف يتم تقديم العمل البحثي الناتج عن هذا المشروع في مؤتمر كبير يقام عام 2012 وينشر في مطبوعة دولية. وفي النهاية يهدف إلى الوصول إلى تقييم عام شامل لتمثيل الميديا والأدب للمهاجرين إلى إيطاليا والذي سوف يكون مصدراً له قيمته للبحث وللرجوع إليه من جانب صانعي القرار، ومرجعاً للباحثين والدارسين في هذه المجالات.

تضمن المشروع البحثي أربع ورش للعمل:

- أقيمت الورشة الأولى ببراتو بفلورنسا الإيطالية يومي 17 و18 سبتمبر/أيلول، وكان اليوم الأول مخصصاً لأعضاء الفريق البحثي لتقديم ما وصلوا إليه من بحوث، بينما كان اليوم التالي يوماً عاماً مخصصاً للمشاركات العامة.
- أقيمت الورشة الثانية بجامعة سيتي بنيويورك يومي 25 و26 فبراير/شباط عام 2011.
- الورشة الثالثة أقيمت بالقاهرة، يومي 3 و4 أكتوبر/تشرين الأول 2011 بجامعة حلوان.
- الورشة الرابعة تقام بأكسفورد في إبريل/نيسان عام 2012.

محمود الشيخ: قراءة الرموز الإسلامية في المجتمع الايطالي



تأتي مشاركة باحثين من دول لها خبرات سابقة في الهجرة وتحليل الظاهرة مثل أستراليا وفرنسا والولايات المتحدة حتى يمكن الاستفادة من الخبرة المنهجية القيمة التي يمكن تطبيقها في هذا المشروع. وفي الوقت نفسه توفر دراسة دور تصوير الميديا والرواية لإيطاليا في العديد من الدول التي يأتي منها المهاجرون مثل رومانيا والبانيا ومصر وأثيوبيا والمغرب وتونس والأردن فرصة للتعرف عن كثب إلى تأثير الأفكار الشائعة عن بلد الوصول سواء أكانت حقيقية أو خيالية. أما مشاركة منظمات المجتمع المدني فتهدف إلى ضمان أثر هذا المشروع على الرأي العام وصانعي القرار.

في حلوان كان العنوان الرئيسي هو استكشاف دور الصورة في حركات الهجرة عبر السينما والأدب والإعلام، وما بين أفلام سينمائية وتحليلات لمعالجة الصحافة وقراءات أدبية ونقدية قدم المتحدثون صورة متكاملة لإيطاليا في المخيلة العربية العامة.

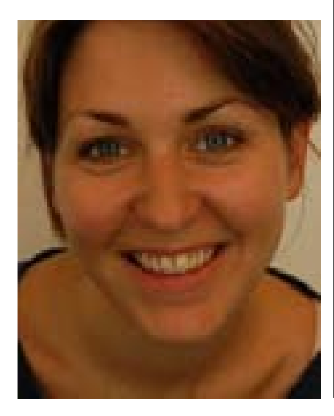
شارك في الورشة كذلك الروائي عزت القمحاوي الذي اهتم بالظاهرة على نحو مباشر من خلال كتاب «العار بين الضفتين: عبيد الأزمنة الحديثة والموت في مراكب الظلمات».

المداخلة التي تحدث فيها عزت القمحاوي جاءت بعنوان دال: «الحلم والكابوس. سياسات عبور البحر من مصر إلى إيطاليا»، وأكد فيها أن المصري

لا يهاجر، وإنما يسافر، لأنه يحلم دائماً بالعودة، كما عالج أثر الهجرة على التركيب الطبقي للقرية المصرية، مشيراً إلى الأثر السلبي لسلوك المهاجر العائد الذي لا يشارك بماله في عملية الإنتاج، وإنما في البحث عن ترقية وضعه الاجتماعي. وصف عزت القمحاوي كتابه بأنه «يكشف وقائع العار، وقائع انهيار العقيدة الاجتماعية لشعب لم يكن أبناؤه يغادرونه إلا مضطرين ولأيام معدودة»، والهجرة في رأيه ليست مجرد تحول اقتصادي، وإنما تمثل «انهياراً لعقيدة دينية فرعونية تحورت في وعي المصريين المعاصرين لتستقر آلافاً أخرى من السنين كعقيدة اجتماعية».

كان هذا أيضاً ما تبناه جويدو بونسافر، ربما اقتباساً من مقولات القمحاوي، والذي طالب باعتبار الهجرة حقاً، إذا تمسكنا بأن الهجرة سفر، والسفر هو انتقال حر للأشخاص بين الأماكن. حلل بونسافر الأفلام السينمائية التي قدمها مهرجان البندقية هذا العام، والتي خص بها الهجرة على وجه التحديد، ومن أشهرها فيلم المخرج المخضرم إرمانو أولمي، وجاء بعنوان «القرية الكرتون»، وإن لم يرق الفيلم كثيراً للبروفيسور بونسافر فيما يتعلق بمعالجته للهجرة، وهو نقد منطقي ومفهوم إذا كان الفيلم قد تم تنفيذه من أجل خدمة ظاهرة الهجرة، وأتصور أن أولمي، ذلك المخرج الذي أبهر العالم بفيلم «شجرة القبقاب»، والذي قدم فيه تجربة فريدة، فكان جميع أبطال الفيلم من الأشخاص الطبيعيين، وليسوا ممثلين محترفين، لابد أنه يقدم فيلماً يهتم أكثر بمدرسته السينمائية في ملامستها للواقع عن كثب. كذلك قدم بونسافر رؤيته للفيلم الذي عرض في الورشة، وهو فيلم وثائقي بعنوان «البحر وحده»، والذي قدمه بعد ذلك وشرح كيفية تنفيذه المنتج المشارك للفيلم، وهو البروفيسور الساندرو تريلوتسي أستاذ الدراسات الإفريقية بجامعة نابولي أورينتالي، ويرأس في الوقت نفسه مؤسسة «التوثيق السينمائي وأرشفة الهجرة» في إيطاليا، وكان الفيلم، إضافة إلى الجهد التسجيلي فيه، يحلل استقبال مدينة لامبدوزا البحرية للمهاجرين الذين يقذف بهم البحر إليهم، وخلص إلى أن المدينة تعاني مشاكل سياسية وإدارية ليست الهجرة طرفاً فيها.

إيما بوند: تجليات حركات الهجرة في الفن والإعلام



من ناحيته حلل الناقد الدكتور يسري عبد الله بنية السرد في رواية الهجرة السياسية محللاً رواية «نساء الريح» للكاتبة الليبية رازان نعيم قال فيها: «ثمة دوافع تضع الإنسان على حافة الفرار من المكان، ربما يأتي في مقدمتها الاستبداد السياسي، هذا الاستبداد الذي يمكن لنا أن نتلمس ملامحه في رواية «نساء الريح»، والذي يشكل بنية خاصة به، يتجادل فيها السياسي مع الديني في تخليق بيئة موازية من القمع، وبحيث تصبح بيئة الاستبداد الطاردة دافعة بالشخوص على حافة الفعل السلبي (الفرار)، عبر البحر المتوسط من ليبيا إلى إيطاليا، في دراما متوترة تصطخب فيها الحياة مع الموت، وعبر سرد شفيف به- أحياناً- نزوع شعري، تنفتح مساحات ضافية من التخييل السردي خالقة فضاءً تأويلياً خصباً وواعداً أمام المتلقي الذي يجد نفسه أمام نص كاشف عن المعاناة الإنسانية المحضة، واسترقاق النساء في مجتمع ذكوري بامتياز، غير أن الكاتبة لم تزل تتعاطى مع المرأة بوصفها كائناً إنسانياً- بالأساس- يحيا في ظل واقع خانق، ومأزوم، ومرتبك».

وتحدث الدكتور حسين محمود عن صورة الآخر الأوروبي في الرواية العربية أكد فيها أن «هذه الورشة إجمالاً، تريد استكشاف أهمية الصورة التي تقدمها وسائل الإعلام، والسينما باعتبارها وسيلة إعلامية لها رسالتها الخاصة، والصورة التي يقدمها الأدب، في عملية الهجرة. وما يجمع بين السينما والأدب هو الخيال، أي أننا لسنا بصدد تقديم «واقع» حقيقي لظاهرة الهجرة من أرقام وسياسات، وربما حكايات ومآس تقدمها صفحات الحوادث في الصحف السيارة، ولكن «واقع» فني لهذه الأرقام والسياسات وما إلى ذلك. الخيال هو الفارق بين التقديم والتمثيل، ومن هنا تهدف هذه الورقة إلى البحث عن صورة الآخر الأوروبي في الرواية العربية.. فربما تساعدنا الرؤية التمثيلية التصويرية للأدباء العرب عن كيفية تمثل القارئ لهذا النموذج، وربما تقودنا أيضاً إلى فهم ميل الأنا العربي إلى التماهي في نموذج مختلف، مكتمل، مثالي».

من ناحيتها حللت الدكتورة وفاء عبد الرؤوف رواية «سر برهومة» المهاجر المصري إلى إيطاليا، واعتبرت الهجرة رحلة من الخوف والأمل.

شارك أيضاً من المغرب الدكتور محمد مخطاري نائب عميد كلية آداب الرباط وتحدث عن أغاني المهاجرين، في إطار ثنائية البحر والمراكب»، ومن الأردن شارك الدكتور محمود جاران بتحليل رواية يونس توفيق «الأجنبية»، وهو من كتاب المهاجرين العراقيين في إيطاليا. ومن البحوث الهامة التي قدمت في الورشة ما قدمته باحثة جامعة ويستمنستر نعومي صاكر، والذي حللت فيه تدفق وانحسار

التغطية التليفزيونية المصرية لظاهرة الهجرة إلى إيطاليا، وخاصة في برامج التوك شو، وفي الأساس تناولت تقديم برامج مثل «العاشرة مساء» لمنى الشاذلي في قناة دريم أو برنامج معتز الدمرداش في قناة المحور، وهي برامج كانت تقدم «رسالة تحذيرية» عن الهجرة، ووقفت منها موقفاً معادياً ومضاداً لها. القضايا التحذيرية نفسها تناولها الباحث الإيطالي ماركو برونو من جامعة روما، عندما حلل بشكل إحصائي موقف الرأي العام من قضية بناء المساجد في إيطاليا، ورغم دقة طرح القضية في البحث، وصرامة المنهج العلمي، وما وصل إليه من إدانة لموقف الإيطاليين من استقبال الإسلام في بلادهم، والذي قدم إليهم مع المهاجرين (نحو 2 مليون مسلم في إيطاليا)، ورفضهم للرموز البصرية المرئية للدين الإسلامي، مثل المآذن والآذان والحجاب وما إليه، فقد شجع هذا البروفيسور محمود سالم الشيخ، عالم فقه اللغات الرومانسية بفلورنسا، لكي يشرح شرحاً مستفيضاً لاقى إعجاباً من الحاضرين، محددات وجود هذه الرموز المرئية الإسلامية في المجتمع الإيطالي، وموقف الدستور الإيطالي

جويدو بوتسافر: مسافرون لا مهاجرون.. قراءة في الأفلام

من التعامل مع الأديان الأخرى غير الكاثوليكية.

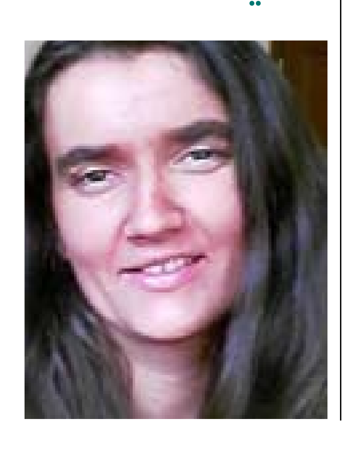
أما البروفيسور كارلو فيتشي من جامعة نابولي فقد حلل ولادة أسطورة إيطاليا، البلد الجميل وبلد الجمال، انطلاقاً من عصر النهضة، وكان من بين ما طرحه لوحة موناليزا التي رسمها دافينشي، والتي عولجت في وسائل الإعلام بطرق كثيرة مختلفة منها على سبيل المثال صورة لها استخدمت في وسائل الإعلام وهي ترتدي النقاب الإسلامي.

هل توجد في البحر تماسيح؟ هذا هو السؤال الذي جاء في عنوان مداخلة إيزادورا دالمو من جامعة سالنتو، وهي تحاول أن تشرح كيف يمكن التغلب على القيود التي قد تعوق محاولة تقديم الذات وكذلك المواطنة متعددة الطبقات ما بين الهجرة الأولى وما يليها من ظهور أجيال ثانية للمهاجرين، فإذا حافظ المهاجرون على هويتهم فإن الجيل الثاني يقل استمساكه بهذه الهوية.

وبالفيديو كونفرنس شارك باحثون من أميركا وروما وكندا، إلى جانب البريطانية إيما بوند، والصحافية الإيطالية غابريلا جاكوميللا. وعرضت الأمم المتحدة فيلماً ترويجياً ضد الهجرة عن طريق مكتب الهجرة التابع لها في مصر، وهو فيلم كان المقصود منه الترويج لكبح ظاهرة الهجرة، ولكنه كان يحتاج لمزيد من التدقيق والمراجعة طبقاً لنقد الدكتورة إيمان عز الدين له.

وقدمت باولا جاندوفلي بحثاً عن تخيل الهجرة المؤقتة بواسطة السرد الروائي المتعدد وتخيل صورة إيطاليا بين ضفتي البحر المتوسط قارنت فيها بين صورة إيطاليا لدى الإيطاليين وصورتها عند الغرباء والمهاجرين، وربما كان من أهم ما أثبتته باولا جاندوفلي هو أن «الحلم الإيطالي» حل محل «الحلم الأميركي»، ذلك الذي كان يراود كل من كانت الهجرة هدفاً له، سواء من الشرق أو من الغرب، أي أن إيطاليا أصبحت في مخيلة المهاجر إليها، من

باولا جاندوفلي: تخيل صورة إيطاليا في رواية الضفتين



إفريقيا ومن الشرق الأوسط والشرق البعيد، هو الأرض الجديدة التي تسمح لهم بتحقيق الحلم، في الوقت الذي يرى فيه الإيطاليون المهاجرين شراً لابد من التخلص منه، ويجهلون ثقافات هؤلاء المهاجرين، ولهذا يعادونها «فالإنسان عدو ما يجهل»، رغم احتياجهم الماس للمهاجرين، ليس فقط على المستوى الاقتصادي والديموغرافي، وإنما أيضاً على المستوى الحضاري والثقافي.

الورشة الدولية التي استكشفت دور الصورة في توجيه حركة المهاجرين وصلت إلى نتائج كثيرة، يبدو من الظاهر أنها متناقضة، فالهجرة مقبولة ومرحب بها، وهي في الوقت نفسه مرفوضة و«عار» على الضفتين، والصورة الذهنية في المخيلة العربية عن إيطاليا هي صورة أرض الأحلام، وهي في الوقت نفسه بحر الظلمات الذي يبتلع الأبناء، هي رمز الأمل في مستقبل متطور، وهي أيضاً مكمن الخطر على الهوية.

ولكن كما يقول الكاتب والشاعر والمفكر الإيطالي السكندري المولد مارينيتي إن هناك سحر غامض لا يمكن تفسيره يجذبك دائماً لأرض ما، وليس شرطاً أن تتوافر في هذه الأرض الشروط المثالية لأرض الأحلام.



د.عبدالحميـد الأنصاري عميد كلية الشريعة الأسبق في جامعة قطر والمفكر والكاتب الثائر على المجتمـع وأوضاعه، والرافض لكل أشـكال المهادنــة وأنصاف الحلول، أبى على نفسه أن يكون من بين القاعدين، ومشى وحده في طريق محفوفة بالأشـواك، فأثارالكثيـر مـن المعــارك والعواصـف، وتلقى المئات من الطعنات واللعنات

إسماعيل عزام - العراق

د. عبد الحميد الأنصاري

أخشى على الثورات من السرقة

حوار: **د. ربيعة الكواري**

كان تكفيره من قبل البعض واتهامه بالزندقة أمراً يؤلمه ويزعجه كثيراً، لكنه لم يعبأ بهم ومضى وحده في طريقه، حتى أثمرت كلماته وأتت أكلها، وها هو اليوم يرى تحقيق كل ما نادى به من تحرير للمرأة والمجتمع، وخلال هذا الحوار نعرض للعديد من القضايا الحساسة والساخنة التي تهم المجتمعين العربي والإسلامي مع التعرج للأحداث السياسية المعاصرة مثل: ثورات الربيع العربي، ومناهج التعليم في الخليج، والتعصب الديني وقضايا المرأة، وثقافة الكراهية والتخوين، ورده على اتهامه من قبل البعض بالتكفير.

يتهمك البعض بأنك ليبرالي ومتحرر إلى أقصى الحدود بينما تعيش في مجتمع محافظ قد لا يتقبل الثورة على الأعراف والتقاليد الإسلامية ؟

- اسمح لي في أن أتفق معك في إني ليبرالي وأختلف معك في (أقصى الحدود)، لنقل إني ليبرالي إسلامي، علماً بأن الليبرالية ليست تهمة فهي تعني قبول الآخر واحترام وجهات نظره وعدم تخوينه أو تكفيره أو تجريحه، أما أني في مجتمع محافظ لا يتقبل الثورة على التقاليد، فهذا صحيح (نسبياً) أي أنه كان في الماضي هكذا لكنه تغيّر كثيراً وأصبح متسامحاً مع الآراء النقدية، على أن من شأن المثقف أن لا يهاب الرأي العام وإلا لما تغيرت المجتمعات، لأن المثقف الحقيقي أو المصلح أو الداعية، هو ذلك الإنسان الذي يظل على خلاف دائم مع مجتمعه استشرافاً لمستقبل أفضل، فإذا خضع لسلطان الرأي العام - تملقاً أو خوفاً انتفت عنه صفة المثقف، فالمثقف موقف وليس مجموعة من المعارف التي يحشوا بها رأسه، والمثقف الحقيقي هو الذي يفكر مستقلاً عن تأثيرات السلطة وعن غرائز الجماهير في الوقت ذاته. ويبقى أن أعترف أني شخصية مثيرة للجدل ولكن من أجل أن يتطور المجتمع إلى الأفضل.

> عندما أيدت تحرير العراق من حاكمه المستبد ولو على يد الأميركيين فذلك أيضاً كان مطلب أغلبية العراقيين

هناك اتهام من آخرين بأنك تخدم الأجندة الغربية فكيف ترد على هؤلاء ؟

- هؤلاء معذورون لأنهم سمعوا أقوالاً مرسلة لا سند لها، ولو أنهم عرفوني عن قرب واطلعوا على ما كتبت لغيّروا نظرتهم، هؤلاء الذين ظنوا بأني أخدم الأجندة الغربية التبس عليهم الأمر عندما أيّدت تطوير المناهج الدينية والخطاب الديني لينفتح على البعد الإنساني والثقافة المعاصرة، فقالوا إنه يؤيد الدعوة الأميركية لتغيير المناهج مع أن منطلقاتي وطنية وتربوية ومستقبلية، وعندما أيدت تحرير العراق من حاكمه المستبد ولو على يد الأميركيين فذلك أيضاً مطلب أغلبية العراقيين، ولا يمكن أن نتهمهم في وطنيتهم وعندما طالبت بحقوق المرأة كاملة، فذلك أيضاً من منطلق شرعي صحيح ولا علاقة له بالمطالب الغربية، وهكذا في بقية القضايا التي كانت صادمة للثقافة السائدة في المجتمع القطري، وأتصور أن الزمن كفيل بتجاوز هذه النظرة السلبية.

كثيراً ما تهاجم الحركات الإسلامية لأهداف لم يفهمها الكثير من الناس بعد، فماذا تريد بالضبط ؟

- أنا لا أهاجم الحركات بل أنتقد خطاب هذه الحركات ومسلكياتها في توظيف الدين في الصراع السياسي، وأرى في هذا الخطاب بعداً عن تعاليم الدين بالدعوة بالحسنى وبالمنطق (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هو أحسن) الخطاب العام لمعظم الحركات السياسية الإسلامية خطاب تعبئة وتحريض ضد الأنظمة القائمة وضد الغرب، خطاب يملأ نفسية الشباب بكراهية الآخر، خطاب يهدم ولا يبني، خطاب غاضب يتلاعب بعواطف الشاب المسلم وقد يدفعه إلى مزالق الهلاك والإضرار بالنفس، أنا أنتقد هذا الخطاب من منطلق إني أريد خطاباً دينياً يحبب شبابنا بالحياة والإنتاج والعمل والتعليم والكشف والابتكار والإبداع والمنافسة في ميادين التنمية من أجل نهضة الأمة لا من أجل التسابق إلى ميادين الهلاك بحجة أنه جهاد، أنا لا ارى في ذلك جهاداً بل إتلافاً للنفس في غير طائل، الجهاد الحقيقي جهاد التنمية والإنتاج والصناعة وبناء القوة الذاتية، الجهاد الحقيقي هو في إعمار الأرض لا في أهلاك الحرث والنسل، الجهاد الحقيقي هو (الجهاد الحضاري) لا (الانتحار الحضاري). كما أنتقد مسلكيات هذه الحركات لأنها تسعى للتوظيف (النفعي) أو الانتهازي للدين وبهدف الوصول إلى السلطة عبر استخدام العنف لا عبر الأسلوب الديموقراطي، ولأن معظم هذه الحركات أو الجماعات تمثل مشاريع (تفكيكية) للدولة الوطنية المعاصرة، هدف كل حركة سياسية إسلامية تكوين إمارة إسلامية تطبق فيها الشريعة الإسلامية بمفهومها الضيق، وذلك بغض النظر عن أن تكوين هذه الإمارة الدينية فيها تهديد لوحدة الدولة وهدم لسيادتها، ثم إن هذه الحركات لها ولاء عابر للحدود الوطنية إلى أيديولوجية شمولية حالمة باستعادة (الخلافة) الإسلامية، وهو حلم مستحيل تطبيقه في ظل موازين القوى الدولية.

هل نحن بحاجة لمصطلح «الحوار بين الأديان» رغم عدم اتفاق البعض على ضرورة هذا التحاور ومنهم الشيخ القرضاوي الذي يرفض الحوار مع اليهود بشكل خاص؟

- ثقافة الحوار مطلب مُلحّ ليس بين الأديان فحسب بل بين أبناء المجتمع

الواحد بكافة طوائفه وأطيافه، لكن ثقافة الحوار لا تعني مجرد إبداء وجهة نظري، ولا تعني أن أدافع عن ديني ومعتقدي المذهبي والسياسي، كما لا تعني أن أحاول الانتصار على خصمي وردّ شبهاته وإفحامه لنصرة رأيي ومذهبي وبيان أني على حق وخصمي على باطل، هذا ليس حواراً منتجاً بل يؤدي إلى ما يسمى (حوار الطرشان). إن (ثقافة الحوار) تعني قبول الآخر كما هو عليه لا كما أريده أنا، وليس معنى أن أقبل الآخر كما هو عليه أني أعترف بصحة معتقده أو رأيه، ولكن أقبله أخاً في الإنسانية له كافة الحقوق التي لي، فلا أحجب رأيه ولا أصادر حريته ولا أمارس تمييزاً ضده ولا أجرحه ولا أكفره ولا أخونه، كما لا أملك صكوك الجنة والنار فتلك بيد الله تعالى يفصل بين الناس يوم القيامة.

وأحترم وجهة الشيخ القرضاوي في عدم قبوله المحاورة مع اليهود، لكننا نخالفه ونرى أن الحوار ضرورة حتى مع العدو الغاصب، رفض الحوار موقف إقصائي لا نرتضيه مهما كانت المبررات.

أخالف الشيخ القرضاوي في آرائه السياسية فقط فأنا ضد مقاطعة البضائع الأميركية وضد شحن الناس بكراهية الحضارة الغربية وضد نظريات المؤامرة ولا أؤمن بشيء اسمه (الغزو الثقافي) ومخططات الغرب للسيطرة على العالم الإسلامي وأعتقد أن (بروتوكولات حكماء صهيون) خرافة، كما أنني أستنكر توظيف منابر بيوت الله لفرض آراء سياسية خلافية، أنا مؤمن تماماً ويقيناً أن الإسلام دين يعنى بقضايا المسلمين (ومن لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) ولكن ليس معنى ذلك أن استغل منصبي كخطيب جمعة لأروّج لآراء سياسية هي محل خلاف بين المسلمين، المسجد لنشر الهداية والتسامح والقيم المشتركة والقضايا المتفق عليها مثل العدالة والنهي عن الظلم والاستبداد إلخ. ولكن تحويل منبر المسجد إلى منبر حزبي خلافي هو انتهاك عظيم لقدسية المحراب الديني ومخالفة لتوجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم بإبعاد الخلافات السياسية والأيديولوجية عن المساجد، ولو أبحنا لكل خطيب أن يوظف المنبر لخدمة آرائه السياسية، لتحولت الأمور إلى فوضى !.

يعرف عنك رفضك لمناهج التعليم في الخليج، وتطالب دائما بتغييرها وتهذيبها بما يساير النظرة الغربية والأميركية تحديداً ؟

- نعم أطالب بتطوير وتنقيح المناهج بما يتفق وثقافة التسامح وقبول الآخر ونبذ الكراهية والنزعات التعصبية، وذلك من أجل مستقبل أولادنا وبهدف تحصينهم وتقوية مناعتهم أمام غزو الأفكار المتطرفة، ولست أنا أول من دعا لتطوير المناهج، بل هم كبار التربويين العرب من قبل لأنهم عانوا كثيراً من مخرجات التعليم العربي، إننا نريد تعليماً متصالحاً مع العصر، يساعد على تطوير مجتمعاتنا لعبور فجوة التخلف التي تزداد اتساعاً، نريد تعليماً يقربنا ولا يفرقنا، ويسعدنا ولا يشقينا، ويحمي أولادنا ويحببهم في الحياة ولا يزرع فيهم الكراهية ويدفعهم للهلاك.

(ثقافة الحوار) تعني قبول الآخر كما هو عليه لا كما أريده أنا، وليس معنى أن أقبل الآخر كما هو عليه أني أعترف بصحة معتقده أو رأيه، ولكن أقبله أخاً في الإنسانية

أنت نصير للمرأة في كل قضاياها، على الرغم من وجود بعض النساء ممن يعارضنك الرأي في كتاباتك على طول الخط ؟

المرأة إنسان لها كافة الحقوق التي للإنسان وكونها أنثى ليس مبرراً للانتقاص من آدميتها أو هضماً لحقوقها أو استعلاء عليها. هذا ليس من تعاليم وقيم الإسلام، نعم التقاليد والأعراف جارت على التعاليم وظلمت المرأة على مر التاريخ، وواجبنا اليوم وواجب كل صاحب قلم أو منبر أن يدافع عن المرأة، أنا لا أدافع عن المرأة لأنها امرأة بل لأنها إنسان يتعرض لأنواع من التمييز والتهميش والانتقاص، أدافع عنها كما أدافع عن كافة المظلومين والمهمشين، منطلقي إنساني بالدرجة الأولى، ولا بأس أن يعارضني بعض النساء فهذا حقهن، لكن من تجرحني فهي ضحية الأعراف والثقافة الموروثة التي زينت لها أن تلك الثقافة هي الإسلام، وأن الذي يهاجمها يهاجم الإسلام، فهي ضحية مخدوعة لما أسميه (الوعي الزائف).

البعض يكفِّرك ويتهمك بالردة والإلحاد وخروجك عن المألوف فكيف ترد على هؤلاء ؟

- تكفير المسلم من أكبر الكبائر، هل شقّ هؤلاء عن صدري واطلعوا على مكنونات فؤادي، لا يجوز تكفير من يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولكن المكفّرين خلا لهم الجو فباضوا وصفروا، ونحن لا نملك سلطة مقاضاتهم، ومن هنا فإنهم يستسهلون تكفير المخالفين لهم في رأي سياسي أو اجتهاد فقهي، علماً بأن ديننا العظيم هو الدين الوحيد الذي يكافئ على الخطأ في الاجتهاد، أئنا اختلفت معهم في رأي فقهي أو قضية اجتماعية تتعلق بالمرأة، كفّروني ؟!. التكفير عجز عن بيان الحجة وإفلاس فكري، ما ضرّهم إذا اختلفت معهم أن يردوا عليّ بالأحسن فلعلي أقتنع بحججهم ؟ لماذا التجريح وفرض الوصاية على الآخرين ؟ لماذا لا يثقون في آرائهم ويخافون أن يقتنع الناس

بآراء المخالفين؟ قال الله تعالى لرسوله الكريم «إنما عليك البلاغ» والرسول صلى الله عليه وسلم لم يفرض وصايته على أحد، التكفير نوع من الاستعلاء يرى صاحبه أنه صاحب السلطة الدينية على الناس، ولا علاج لهذا المرض إلا بتشريع يبيح محاسبة المكفِّرين.

كيف تنظر للثورات العربية التي انطلقت من تونس ومصر وليبيا واليمن؟

- الاستبداد وقرينه الفساد آفتان حاكمتان في الحياة العربية منذ قرون طويلة بل منذ تحول الحكم الإسلامي من نظام الخلافة في عهد الراشدين إلى نظام الملك العضوض في عهد الأمويين وما تلاه إلى يومنا هذا، الثورات العربية بداية انطلاقة جديدة وحرة للأمة العربية، وكل دعاة الحرية والعدالة وحقوق الإنسان يدعمونها ويأملون أن تحقق أهدافها في الحياة الحرة الكريمة للإنسان بعد طول إذلال واستعباد، لكن هناك محاذير ومخاوف كثيرة في طريق الثورات العربية، لعل أبرزها:

أولاً: انشغال هذه الثورات بتصفية رموز العهد السابق ومحاكمتهم وطمس كل الإنجازات السابقة وإقصاء كل من عمل أو أيد أو وقف مع النظام السابق، وهذا توجه انتقامي، عدمي، ثأري، ماضوي، يستنزف الجهود والطاقات عن التفكير والتخطيط للمستقبل، يجب أن تنشغل الثورة بالبناء والإنتاج والتنمية، وتترك الماضي لحكم التاريخ.

وثاني المخاوف : خطف الثورة أو سرقتها من قبل الجماعات الأيديولوجية المنظمة أو من قبل الزعماء الشعبويين الذين يحسنون الخطاب، ويتلاعبون بالعواطف، تلك الجماعات وهؤلاء الزعماء إذا وصلوا إلى السلطة تحوّلوا إلى فراعنة جدد.

وثالث المحاذير: أن شباب الثورات الجديدة لا يؤمنون بثقافة الحوار بدليل نشاطهم فيما سموه بقوائم العار، ومقاطعتهم لندوات الحوار الوطني في مصر بحجة اعتراضهم على مشاركة بعض الشخصيات في الحزب الوطني المنحل، وهذا موقف إقصائي لا يساعد على ترسيخ ثقافة الديموقراطية في التربة المجتمعية.

ورابعاً: نحن نعلم أن البناء أصعب بكثير من الهدم - لذلك على شباب الثورة عدم الانخداع بالشخصيات التي تحسن التملّق والتزلّف بل عليهم اختيار الكفاءة القادرة على قيادة الدولة إلى برّ الأمان بغضّ النظر عن رأيهم فيها.

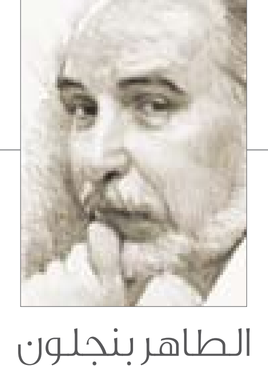
وخامساً: نعم لقد سقط جدار الخوف وأثبتت الثورات الشعبية أنها قادرة على التغيير مصداقاً لقوله تعالى «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» فمن غير المقبول تعطيل الإنتاج والعمل واستمرار نزيف الخسائر واستمرار التظاهرات والاعتصامات بحجة وجود «الثورة المضادة» و«فلول النظام» و«البلطجية». المطلوب اليوم التوجه إلى الإصلاح الحقيقي والبناء على أسس من الديموقراطية وسيادة القانون والعدالة وتأمين فرص العمل والحياة الكريمة للمواطن، المطلوب تضافر الجهود لتعويض الخسائر الفادحة وإصلاح الاقتصاد وذلك لن يتحقق إلا بالاستقرار لقد هربت الاستثمارات وتقلصت السياحة ووصلت الخسائر إلى أكثر من 70 مليار دولار خلال 3 أشهر فقط، السياحة المصرية تخسر يومياً 40 مليون دولار، المطلوب اليوم سياسة رشيدة تعيد الثقة بالاقتصاد المصري، ولن تعود هذه الثقة إلا إذا أدرك المواطن أن «منطق الثورة» غير «منطق الدولة» وأن الثورة إذا أسقطت النظام السياسي يجب أن تفسح المجال اليوم للدولة لتمارس دورها المطلوب، لهذا علينا أن نخشى على مصير الثورة!.

أستنكر توظيف منابر بيوت الله لفرض آراء سياسية خلافية، أنا مؤمن تماماً ويقيناً أن الإسلام دين يُعنى بقضايا المسلمين (ومن لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)

ما هي المطالب التي تتمنى أن تحقق النجاح والتفوق للمجتمع القطري؟

- لقد حققت القيادة السياسية نجاحاً خارجياً مشهوداً في مجالات عديدة، أتمنى أن ينعكس هذا النجاح الكبير على الأوضاع الداخلية في تحسين أكبر للخدمات وفي تطوير أعظم للمرافق وفي تجويد نوعي للتعليم وفي ارتقاء أعلى للخدمات الصحية وفي تشريعات سياسية واجتماعية أكثر توافقاً وتصالحاً مع منطق ومتغيرات العصر. أطمح في بنية تحتية أفضل، وفي بيئة صحية أرقى، وفي مناخ اجتماعي أكثر انفتاحاً وتسامحاً. أطمع في أن تكون (المواطنة) هي العملة الرئيسية في التداول الاجتماعي والسياسي لا الهويات والانتماءات الضيقة إلى الطائفة والقبيلة والمذهب. أطمح في أن تحظى كافة مكونات المجتمع القطري بنفس تكافؤ الفرص والامتيازات القانونية والدستورية على قدم سواء. أطمح أن نتجاوز الحواجز القبلية والطائفية والمذهبية كما تجاوزتها شعوب الدول المتقدمة. أطمح في تحجيم دعاة الكراهية والتعصب الذين دفعوا شبابنا إلى بؤر التوتر وتسببوا في هلاككم.

أطمح في تشريع يتيح مقاضاة الذين يكفِّرون الناس ويشككون في معتقداتهم ويشوهونهم.أطمح في خطاب ديني منفتح على العصر.أطمح في تشريع للأسرة متصالح مع العصر.أطمح في خطاب إعلامي يحبب شبابنا في الحياة ويدفعهم للتنافس في ميادين الإبداع والكشف العلمي والسباق الحضاري بدلاً من إشغالهم بقضايا الماضي.



الطاهر بنجلون

القيم أو السّلطة:
أوباما يخيّب آمالنا

باراك أوباما يريد مدة انتخابية ثانية. يريد السّير على خطى كلينتون وجورج بوش الابن. هذا حقّ مشروع! ولكن، من أجل الحفاظ على كرسي الرئاسة لا بد من الاستجابة لمتطلبات الأغلبية. كما يجب عليه التنازل عن بعض القيم التي سنحت له بكسب ثقة الناخبين في العهدة الأولى التاريخية.

ليس من السّهل أن تكون رئيساً للبلد الأول في العالم (الأول على بعض المستويات على الأقل). إنه منصب يخلق أعداء أكثر مما يخلق أصدقاء. يخلق خصوماً معروفين وأعداء مجهولين. إنه منصب لا يسمح لصاحبه بالعيش مثل بقية الناس. حياة جميع رؤساء الولايات المتحدة الأميركية كانت في خطر. يحصل أحياناً أن يفاجئ معتوه وسط الحشود الرئيس ويطلق عليه النار. ويفشل عادة المحققون في كشف هوية المخططين الفعليين لمثل هذه العمليات. اغتيال جون كينيدي مثلاً ما يزال لغزاً. كل واحد يفترض إجابة معينة عليه. لما يموت رئيس يخلفه آخر. العنف هو سمة متعارف عليها في أميركا. تاريخ البلد يثبت ذلك. ففي أميركا يوجد أكبر سوق للأسلحة ذات الاستعمال الفردي. هناك الناس يتسلحون للدفاع عن أنفسهم. للحفاظ على سلامتهم. كما أن امتلاك سلاح في أميركا صار تقليداً اجتماعياً.

أكيد أن أوباما فكّر ملياً قبل اتخاذ موقف بشأن الإقرار بدولة فلسطين. من المؤكد أنه تساءل: «ماذا سأكسب من هذه القضية؟ هل تستحق أن أتنازل من أجلها عن مدة انتخابية ثانية؟ إنها قضيّة تمسّ شعباً مشتتاً منذ 1948، شعباً يمكنه مواصلة العيش في المنفى وفي مخيمات اللاجئين. بالتالي لا داعي أن أدير ظهري لإسرائيل. فإسرائيل هي الدولة التي تمتلك لوبيات في كل مكان. لو أنني أتخذ موقفاً معادياً لسياستها الكولونيالية فإن اللوبي الإسرائيلي في أميركا سيعرقل طموحي في الحفاظ على منصب الرئيس. سيتهمني البعض بعدم تنفيذ وعودي خصوصاً لما صرحت في القاهرة: «الولايات المتحدة لا تقر ببناء المستوطنات الاستعمارية». حاولت حينها أن أثني نتانياهو عما يسعى إليه. لكنه يواصل بناء مستوطنات جديدة. كلامي لم يؤثر عليه. بالتالي أقرّ بأنه أقوى مني، ومن صالحي التراجع. لن أتحدث مجدداً عن المستوطنات. وسأذهب بعيداً وأؤكد أنني لا أريد دولة فلسطينية في هيئة الأمم المتحدة. أميركا ستستخدم حقّ الفيتو وتهدد الفلسطينيين بوقف المساعدات المادية. من المستحب نيل رضا إسرائيل. سأدعم جيش الساحل بالسلاح. وستقوم هيلاري كلينتون بعملها لحثّ الأمم المتحدة على رفض طلب الاعتراف بدولة فلسطين. وإن حدث العكس فإننا سننسحب من هذه الهيئة التي فقدت صلاحيتها. هذا ما أفكر فيه لما أكون مخيّراً بين القيم والسّلطة».

حسابات أوباما خاطئة. الاستسلام لمنطق إسرائيل

والتنازل عن احترام القيم الإنسانية يكشف عن ضعفه وعن خيبة أملنا فيه. أصدقاؤه سيتخلون عنه. رئيس ضعيف لن يستطيع ترؤس أميركا مرتين. الرؤساء الكبار نتعرف عليهم لما يكشفون قوتهم في اللحظات الصعبة. أوباما باع كل شيء ويعتقد أنه سيفوز في الانتخابات. ليس لدي نصائح لأوجهها له. ولكن من الخطأ الظنّ أننا نتقدم في الوقت الذي نتراجع فيه خطوات إلى الوراء. ربما ستكون وجهة نظري مخطئة، لكنه لن ينتخب لعهدة رئاسية ثانية. وذلك ليس بسبب سياسته الاجتماعية، ولا بسبب الأزمة المالية، ولكنه لن يبقى في الحكم لأن اللوبي الإسرائيلي بحاجة لرئيس أميركي يتعامل معه بليونة أكثر دون تنكيره كل مرّة بمكانة إسرائيل في المنطقة. حدث أن بان نتانياهو مغروراً في التعامل مع أوباما. هذا الأخير شعر بإحراج وفضل الذهاب مع زوجته لتناول العشاء. في اليوم الموالي مباشرة، قررت الحكومة الإسرائيلية بناء 1600 وحدة سكنية في قطاع محتل. أوباما فهم كيف تتم معاملة رؤساء يريدون إنصاف شعب بلا أرض. شعب مظلوم.

التّضحية بالقيم من أجل الحفاظ على السّلطة تعتبر خطأ. ففي الوقت الذي يعيش فيه العالم العربي ربيعاً يمتد إلى ما وراء الحدود. وفي وقت تكتسح فيه الشعوب الشوارع في مواجهة الجيوش بصدور عارية، قرر أوباما أن يغمض عينيه ويستسلم لإرادة إسرائيل. مع أنه يدرك أن هذه الدولة لا تحترم المواثيق الدولية، وتتظاهر بالتفاوض من أجل ربح الوقت وتكريس الوضع الراهن: من لقاء مدريد 1991، اتفاقيات أوسلو 1993، اجتماع كامب ديفيد 2000 إلى ندوة أنابوليس 2007، أبان الفلسطينيون عن نوايا حسنة. لكن إسرائيل تواصل اللجوء إلى العنف بدل السّلم، رافضة مجاورة دولة فلسطينية. يبقى في الأخير أمل، ربما فكر فيه أوباما، هو أمل رؤية شعب إسرائيل يخرج إلى الشارع مطالباً بإقامة سلام يهمه أكثر مما يهم الساسة. فقد تحدث البعض قبل فترة قصيرة عن «ربيع إسرائيلي» حين عبّر أكثر من أربعمئة ألف مواطن عن رفضه للسياسة الاجتماعية لحكومة أقصى اليمين.

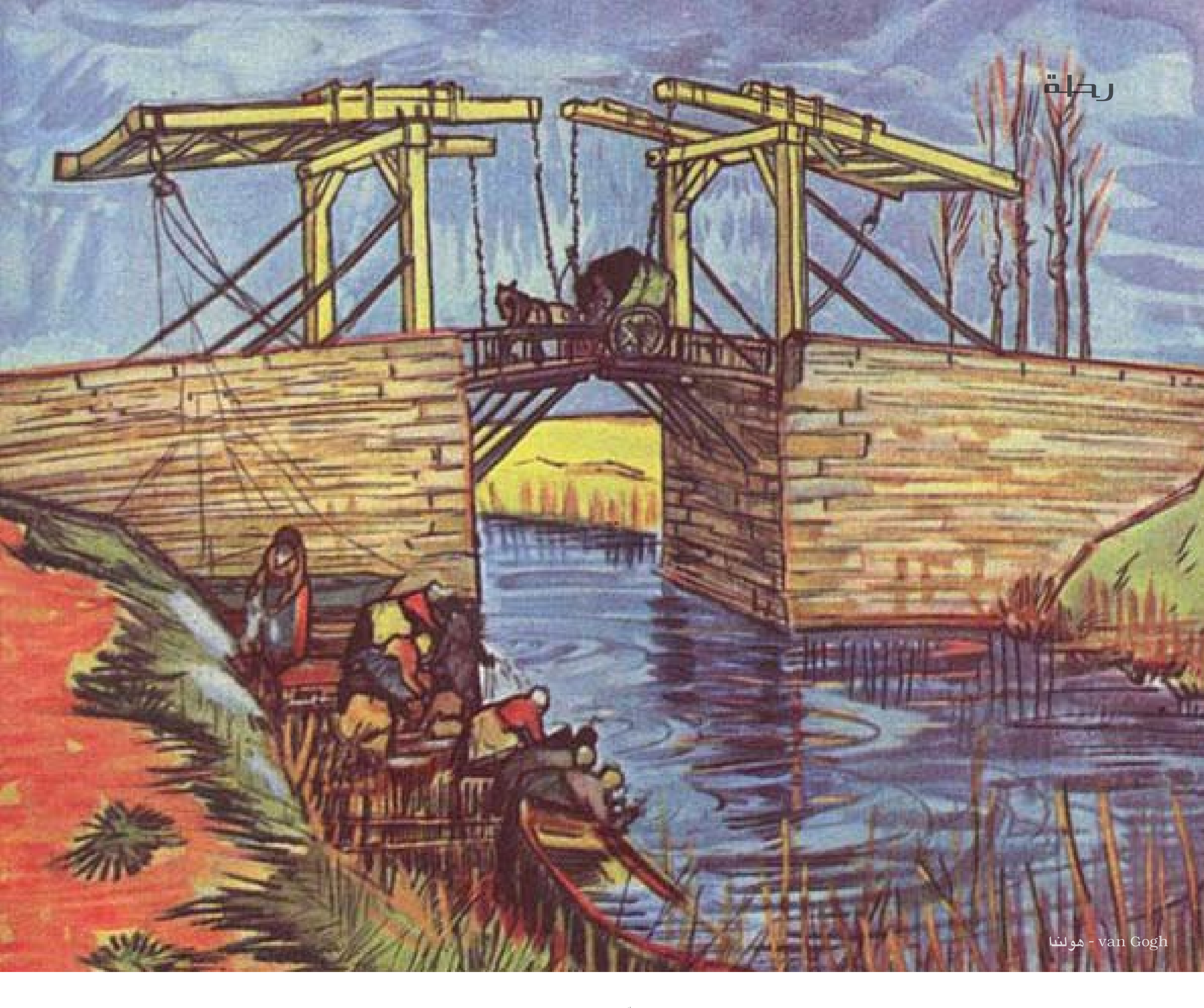
في الأخير، نقول للسيد أوباما: لقد خيّبت آمالنا فيك، وضيّعت فرصة تاريخية على نفسك.

في العدد القادم

امرأة من الضفة الأخرى
قصة: محمد البساطي

السينات
شعر: بوزيد حرز اللّه

وقت للرحيل
قصة للتركي
بهاء الدين أوزكشي


van Gogh - هولندا

هناك رابط ما، رابط سرّي يشدّك إلى المدن اللاّتينيّة المفتوحة على العالم في مواجهة المدن الأنكلوسكسونيّة ومدن الشمال الدّاكنة والمغلقة تماماً كغاباته.. أستثني فيينا وأمستردام اللتين تبدوان لي في إشراقهما السّعيد وكأنهما مدينتان متوسطيتان زرعتا في الشمال.. فيينا التي تنتمي للعالم الجرماني ولكن بدون تلك الرزانة وذاك الجدّ الألمانيّ، وأمستردام التي هي فينيسيا الشمال برسوم عصر نهضتها التي تلقاها في الرايكس موزيوم، وقنواتها التي لا تنتهي، وبنايات شوارعها الرّاقصة في المياه وقواربها الزاهية..

آرل: مدينة الماء والريح

| خالد النجار

أذكـر، فـي أوّل زيـارة لهـا وكنت جالسـاً ليلاً أسـمر فـي شـرفة بالدور الثانـي أو الثالث مع بعـض الأصدقاء، فإذا بي ألمح فجأة باخرة تدخل المدينة، تمرّ مـن أمامنا عبـر البنايـات، باخرة بيضاء كبيـرة بأبراجها وصفوف كواها المستقيمة المضيئة؛ تمرّ صامتة هادئة تحت نجوم ذلـك الليل الهولنديّ البعيد، كأنها تمخر الشارع؛ بدا المشهد عجائبيّاً، مشهد مسـرحي، فنحن في ظلام الشرفة والباخـرة تمرّ فـوق الرّكـح المضاء.. ثـمّ، وبلمحـة بصر، أحسسـت أنّي في مدينة بحريّـة.. أو، كأنّني داخل بطاقة بريد بالأبيض والأسود لأحد المصورين الفوتوغرافييـن.. يا إلهـي كيف يرتقي الواقـع ليصير عملاً فنيّـاً؟ أجل، الواقع أيضـاً مثـل العمـل الفنّي هـو حقيقي وغيـر حقيقي فـي الآن..آه، لقـد فقدنا بكارة النظر للعالم مباشرة والإحساس بحضوره المباشر في النّفس، صار الفن من فوتوغرافيا ورسـم وسينما ورواية يقف بيننـا وبين العالم، يكيّف نظرتنا، باختصـار صرنا نـرى العالم من خلال الأعمـال الفنيّـة التي يكتظ بهـا وعينا وتحتشـد بها ذاكرتنا المرئيّة واللغويّة، صـار العالـم عمـلاً فنيّاً.. ومـن يومها ارتبطـت أمسـتردام في ذهنـي بالبحر المتوسّط.

ثمّة رابط سـرّي يشـدّك إلى المدن اللاّتينيّـة التـي تحكمهـا جدليّة صلابة الحجر وليونة الأضـواء؛ وهي، لا فرق بينها كبير إن كانت مدناً داخليّة أو نهريّة أو على البحر.. كلّ المدن التي مررت بها مـن روما إلى فيتاربو، إلى ميلانو، إلى مرسـيليا، إلى أفينيون، إلى أوكسيير، إلى ليون، إلى باريـس، إلى مدريد إلى سلمنكة إلى برشلونة، ثمّة قاسم يجمع بين هذه المـدن اللاّتينيّة وهو احتفاؤها بالحجر وتلـك العمـارة المنفتحة على العالم الخارجي، على أضواء السـماء.. وأنت ما تزال تحتفظ في ذاكرتك وروحك بتلك الأضـواء الرّومانيّة المتوسّـطيّة الناعمـة، أضـواء المسـاء البرتقاليّـة والحمراء القانية منعكسـة على صفحة نهر السين الزرقاء الرماديّة قبل الغروب

ثمّة رابط سرّي يشدّك إلى المدن اللاّتينيّة التي تحكمها جدليّة صلابة الحجر وليونة الأضواء

في حي الشـاتلي، أو فوق زجاج نوافذ الحـيّ اللاّتيني أواخـر الربيع إذ يطول النهـار حسـب التوقيت الصيفـي وتقفر الشـوارع، هي أضـواء سـلمنكة على نهـر التورميس، أضـواء آرل على نهر الرّون المنسـاب في البكور أو العشـايا وأنت تتطلـع إليه خلال أشـجار الدلب والأوكاليبتوس الكبيرة من سـطح بيت غابي.

أجل، هناك رابط سـرّي يشدّك إلى المـدن اللاّتينية الصاخبـة، تلك المدن الديونيزوسيّة الحسيّة، السعيدة مشاهد المراقص والحفلات العامّة في الشـوارع والسـاحات وأكشاك الموسـيقى، التي لا تخلو منها مدينة فرنسـية.. وفترينات المخـازن الزّجاجيّـة المضـاءة في مدن أوروبـا والناس الهائمـة على الأرصفة وفـي حدائـق التويلـري كمـا نراهـم فـي فوتوغرافيـا آخـر القرن التاسـع عشـر بقبعاتهـم ومطرياتهم السـوداء أو فـي حديقـة الليكسـمبورغ.. رجال ونسـاء يدورون فـرادى أو مع أطفالهم وحيواناتهم الأليفة.. تلك المشاهد التي صورهـا رسّـامو آخـر القرن التاسـع عشـر من التعبيريين: مشاهد مونمارتر وكورنيـش مدينـة نيـس: رونـوار، وماني، ومونـي، وبرنار دوفي وإدغار ديغـا بحسـية رسـومه التي تحتشـد بالخيـول وراقصات الباليـه.. وموانئ سـيزلي التي تكتـظ بالقـوارب فتبدو غابـة مـن الصّـواري.. مشـاهد الناس في الشـوارع الصاخبة، وفـي المقاهي والمشارب والبارات الضاجّة بالأصوات والدخان المرتفع.. نفس الأماكن صورها وفي نفـس الحقبة تقريبـاً رافع رفاعة

الطهطاوي في كتابه الديوان النّفيس أو تخليص الإبريز فـي تلخيص باريز وبدا له، هـو الإمام الأزهري المتحفّظ شـاذّاً ذاك الطبع الفرنسي المنفعل، الضّاجّ في المقاهي والمشارب، ذاك الطبع المتقلب بسـرعة كما لاحظ هو مـن الفرح العارم إلى الغضـب العارم.. الشـارع في هذه المدن نشـيد دينامي من الألوان الزاهية والصّخب: سـتارات المقاهي وأرصفتها برسـاميها الشـوارعيين وعازفـي الأكورديـون والحـواة ومطلقي النيران من أفواههم.. السـاحات العامّة المبلطة وريثة الأغـورا Agora الإغريقية حيث يلجأ الكلوشارات والعشاق إلى الكراسي العامّـة التي غناهـا جورج براسـانز، وسـاحات الكنائس Les parvis حيث يتلكّأ الناس بعد خروجهم من الكنيسـة أيام الآحاد.

بيـد أنّ ما يشـدّك إلـى مدينة آرل، مدينـة الرّيـاح فـي إقليـم البروفانس جنوبي فرنسا شيء يتجاوز هذا الرابط السـرّي، فقد عشت فيها فترات كثيرة من حياتك.. كانـت آرل في ذهنـي قبل أن أزورها مرتبطة بأسـطورة فان خوخ، كان هناك إحسـاس شاعري يهزني كلما فكرت بأني سـأذهب إليهـا قريباً وأنّي سـأقيم فيها في المركز الدولي للترجمة الأدبية، وأنّي سأجول في تلك المغاني التي جـال فيها فان خـوخ، هناك قطع أذنه ليقدّمها هدية لامرأة لم تحبّه، هكذا تقـول الأسـطورة التي قـرأت وصدّقت وفي مرّة أخرى وضع كفه فوق شـعلة شـمعة وترك لحمه يحترق ليبرهن عن حبه لامـرأة كانت معه في أحدى مقاهي آرل، لعلّه المقهى اللّيليّ الذي رسـمه.. قايضهـا جـادّاً: لن أرفع يـدي عن النار حتى تبوحين لي بحبّك..

فكنـت آخذ كتاب رسـائل فان خوخ وهو عمل أدبي راق من الرفّ لأقرأ رسالة أو رسـالتين إلى شقيقه ثيو يحدثه فيها عـن حياته فـي آرل، وفي سـان ريمي يحدّثـه عـن الفلاحيـن، وعـن عذاباته وآلامه واضطراباته النفسية، ثم أتوقف عن القراءة لأمضي بعيداً في أحلام يقظة لا تنتهـي، أغرق في الخيـال حيث أرى

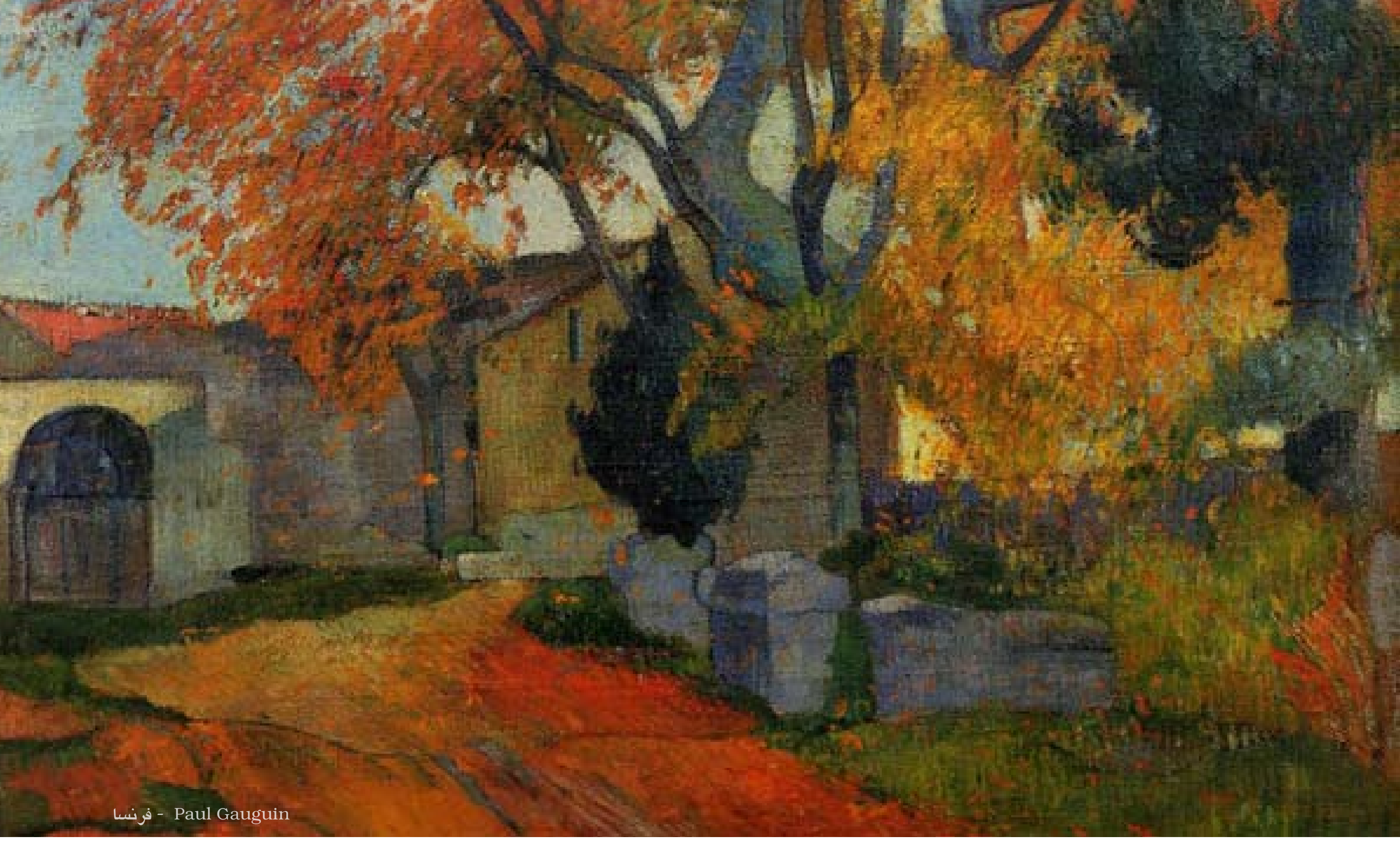
مشاهد الريف الفرنسي، حياة الفلاحين، الغابات والبحيرات الزرقاء والطواحين والجسور على الأنهار والرعاة مع قطعانهم والبيوت الريفيّة المتناثرة في الآفاق الزّرقاء بقرميدها الأحمر والدخان المتصاعد في البعيد من مداخنها.

تخرج من محطّة القطار وتمضي في اتجاه النهر، في اتجاه الجسر الذي هدمته الطائرات الأميركية في الحرب العالمية الثانية 1944، لم يبق من الجسر سوى بوّابتيه على الضفّتين، ألمح من بعيد الأسدين الحجريين على مدخله في البرّ وكأنهما يسبحان في السماء الزرقاء، ومن الضفة الأخرى تلمح أشجار الدلب والكالتوس والسرو والمقبرة الحديثة ثمّ خطّ الأفق، وبلحظة وأنت تقترب من الميناء النّهري السياحي تلمح تلك الباخرة النهريّة الرابضة على الرصيف، بغرفها المضاءة بالأباجورات ومطعمها على السطح.. تتذكر كلّ أولئك المجانين التي كانت أوروبا القرون الوسطى تتخلص منهم بوضعهم في القوارب، فقد كانت الناس تعتقد أن مياه البحر مطهّرة من السحر والجن الذي يسكنهم. بيد أن هذه الباخرة النهرية لا تحمل مجانين، هي عبارة عن فندق عائم يحمل سياحاً من ألمانيا وجينيف وصلوا إلى آرل عبر الخطوط النهريّة.. وبلحظة تحس بنعمة ذاك الضوء السّعيد الذي يختلط عليك فلا تدري هل هو صاعد من الدّاخل، من أعماقك، أم هو في الأجواء الأثيريّة التي تحيط بك؟: الريح الهيّنة تهزّ أيك القصب النابت على حافة نهر الرّون الذي ينساب في هدوء عميق، هدوء راسخ وقديم مثل سيلان الزمن.. ثمّ انعكاس أضواء الشمس على زجاج نوافذ البيوت التي على الرّصيف حيث دير فرسان مالطة الذين كانوا يحلمون باستعادة القدس من المسلمين.. دير فرسان مالطة بواجهته الحجريّة الصموتة ونوافذها العالية المصطفّة.. كلما مررت من هناك تذكرت قصة الأمير العربي الذي مرّ بآرل وترك فيها كنزاً مدفوناً لا يعرف مكانه أحد، ومازال الناس يبحثون عنه. فقد كانت آرل في تلك الأزمنة ومناطق كثيرة من جنوب فرنسا عرضة لهجمات فرق العرب الأندلسيين أو ما يسمّى في أدبيات القرون الوسطى الفرنسيّة بـ (السّارازين).. Les Sarrazins. تذكرت قصص الأسرى المسلمين الذين اقتنصهم القرصان وقضوا بقية حياتهم هنا.. قصصاً كثيرة مثيرة.. وبعد الدير هناك القنطرة التي تربط المدينة بحي تيكتاي والتي رسمها فان خوخ ثمّ تتقدّم خطوات لتجد دار آكت سود لصاحبها الكاتب والناشر اليهودي البلجيكي هيبرت نيسان.. عرفت نيسان في زيارتي الأولى كنت معجباً بإنجازه ككاتب وناشر رائد ورجل تقدّمي ذي أفق إنساني إلى أن قرأت يومياته التي تنضح بحسّ صهيوني يتنافى مع كلّ هذا.. وهذا شأن كثير من الكتاب والشعراء في الغرب تجد الواحد منهم تقدّمياً ديموقراطياً لايكيّاً حداثياً وما إن ينتقل الحوار إلى الكيان الإسرائيلي وإلى الأيديولوجيا الصهيونيّة حتى ينقلب هذا الكاتب أو الشاعر على كلّ مبادئه في تناقض فاضح ليتحوّل إلى رجل من أقصى اليمين يؤيّد دولة دينية استعمارية تتخذ لها اسم نبيّ، تمارس الأبارتايد باختصار تمارس التطهير العرقي ضد الفلسطينيين، تهدم البيوت على أهلها وتقتل الأطفال بالفوسفور دون أن يرف له جفن أو يشعر بأيّ تناقض في مواقفه بين درس فولتير والتنوير الذي يريد تسويقه لدى تلاميذ فرنسا من الفرنكوفونيين وبين عقيدته في هذه الدولة الدّينية. وقد تركوا هذا الازدواج لدى كثير من تلاميذهم في المستعمرات القديمة من الفرانكوفونيين المغاربة واللبنانيين العاجزين عن بناء موقف فكري مستقل عن موقف السيد المستعمر. بل صار بعضهم يدافع علانية عن الدولة الصهيونية الدينية !!! ويدعوا إلى لايكية كولونيالية داخل بلاده، لايكية هي خلطة جاهزة من صيدلية الثورة الفرنسية يعالج بها تاريخه.

كانت آرل في ذهني قبل أن أزورها مرتبطة بأسطورة فان خوخ، كان هناك إحساس شاعري يهزني كلما فكرت بأني سأذهب إليها

في البعيد تلمح بيت ميراي الذي يلقاك في زاوية شارع سافوريان مع كورنيش لاروكيت، وفي هذه الزاوية بالضّبط تجلس الأم روزيتا فوق تلك السطيحة المرتفعة قليلاً عن الأرض كما هو شأنها في العصاري.. روزيتّا إيطالية مهاجرة جاءت إلى آرل بعد الحرب مع زوجها البوليتاري جيوفاني، إذ كانت آرل قد عرفت موجة مهاجرين من العمال المياومين الإيطاليين والإسبان مع بدايات السكة الحديد 1850 وسكنوا حيّ لاروكيت في طرف المدينة على الرّون، ثم، وفي الخمسينات أعقبتهم موجة من المهاجرين العرب، من حركيين جزائريين وعمّال مغاربة وتونسيين.. يجيئون عادة في الخريف في موسم جني الكروم في الحقول المحيطة بآرل.. وفي آخر السبعينيات جاء أو قل التجأ إلى آرل من أماكن قصية في أوروبا وأميركا ما كان يسمّى بشباب مايو/أيار 68 جاء بعد الثورة آخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات، جاء وهو يناهز الأربعين، جاء في لحظة إحباطه وضياع حلمه.. فالثورة هي الثورة بيد أن النظام هو النظام أيضاً. والنظام هو القاعدة والثورة استثناء ولكنّه ضروري. شباب ثورة مايو الحالم والمحبط من الثورة منح المدينة سمتاً آخر.. واكتمل البناء الفسيفسائي للمدينة: عائلات أرليزية عريقة، مهاجرون إسبان وإيطاليون وعرب شمال إفريقيا ثم هذا الرهط من بقايا شباب 68 يليه طلبة المدرسة القومية للتّصوير الفوتوغرافي.

وروزيتّا من المهاجرين الإيطاليين الأُوَل عجوز تناهز الثمانين تتكلم الفرنسية بلكنة إيطاليّة وأثناء الكلام تنتقل إلى لغتها الأم دون أن تدري، وهي



Paul Gauguin - فرنسا

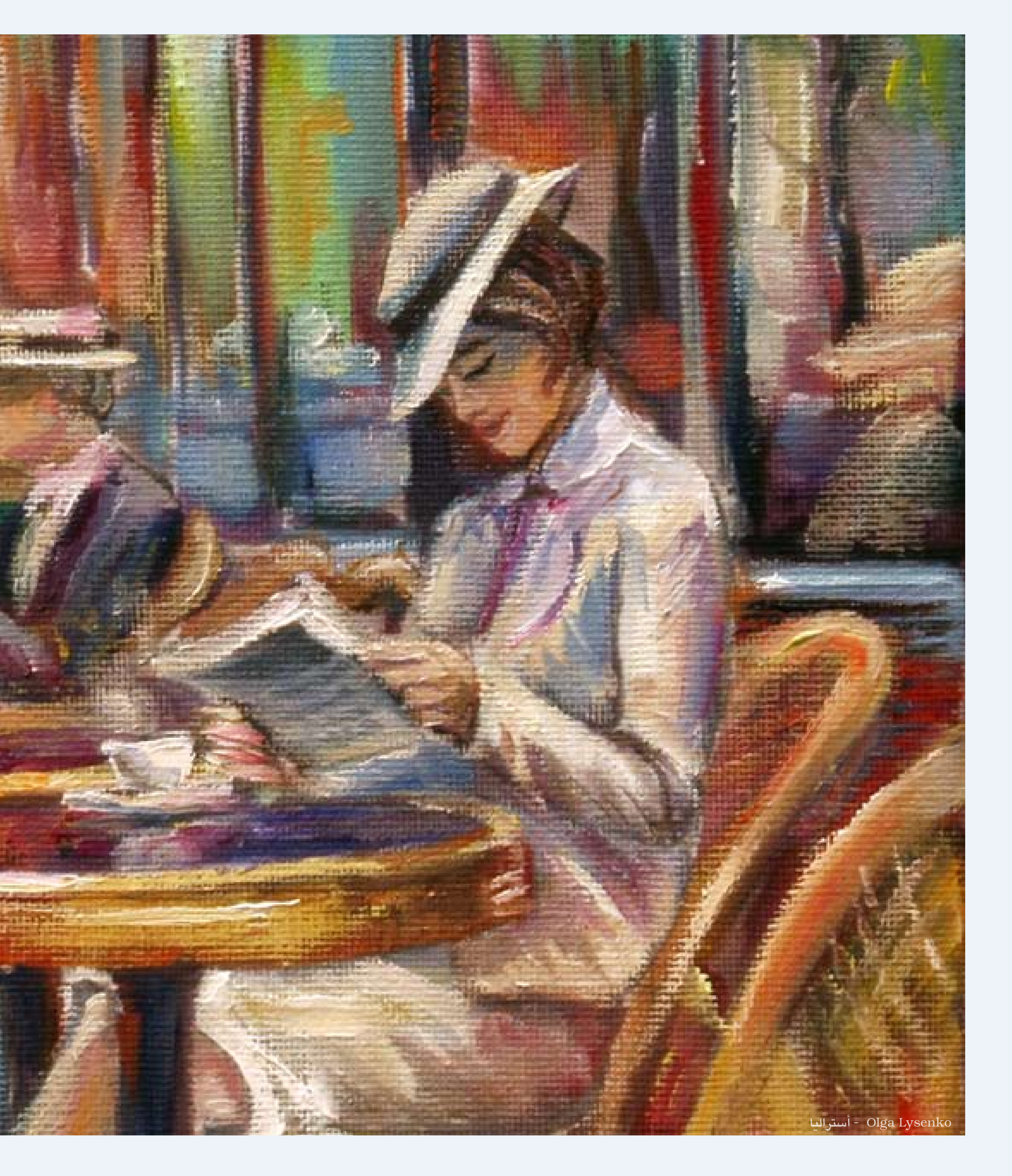
تعتقد أنها ما تزال تتكلم الفرنسية.. آه لروزيتا وهي تتذكر بكثير من الحسرة أيام شبابها: كنت جميلة جداً وكان الشباب يطاردونني .. يحاولون لمسي وتشير بيدها إلى صدرها وتعقّب: آه كم كان رائعاً ذاك الزمان! لقد مضى، مضى الشباب.. آه يا للشباب! وأسالها: هل لحقت موسليني في إيطاليا أيام الحرب؟ وتقول: آه موسولّيني .. موسولّيني رائع، رائع.. أنا أحبّ موسليني.. رأيته عندما كنت صغيرة في روما في الساحة العامّة وهو يطل من شرفة قصر المدينة ويحيي الشعب.. موسولّيني طيّب.. طيّب، موسليني طيّب جدّاً.. كان يحب الشعب، كان يحبّ الفقراء.

وتغوص روزيتّا من بعدها في اللغة الإيطالية ولا أستطيع متابعتها وأريد أن أسألها عما تقول ولكنها تستمرّ في مونولوغ لا ينتهي.. وهي تظنّ أنّي ما أزال أتابعها. هكذا هي مشاعر روزيتا شعبية بسيطة وصادقة ولا بدّ لي أن أنزع من دماغي كلّ تلك الأدبيات السياسية التي قدّمت لنا موسوليني كفاشي فقط.. وأدركت تلك اللحظة كم هو البون شاسع بين الحقيقة المعاشة، بين مشاعر الناس الحقيقية في لحظة تاريخيّة ما وبين التصنيفات الأيديولوجيّة وما يكتب المؤرخون.

أما جيوفاني زوجها فلا تراه، فهو ومنذ سنين يغادر بيته في الفجر للصيد صيفاً كان الفصل أم شتاءً، نادراً ما ألقاه وهو يدخل أو يغادر بيته منحنياً حاملاً قصبة وأدوات الصيد.. ظلت صورته لسنوات صورة ذاك الرجل القصير الذي يسير في انحناءة كبيرة إلى أن توفي ودخلنا بيته للعزاء فإذا بنا وهو مسجّى في فراش الموت نكتشف أنّه طويل.. طويل، ورجلاه تكادان تتجاوزان السرير..

أحبّ أن أزور آرل في الخريف عندما تكون الشوارع خالية وزرقاء، وريح الميسترال التي تهب عليها تزيد الجوّ وحشة رومانسيّة.. يأوي الأرليزيون إلى بيوتهم؛ لا أحد في الشوارع سوى بعض من تخلّف من السياح الأوروبيين والأميركان تلقاهم في ساحة الجمهورية أمام بوابة كنيسة القديس تروفيم ذات النحوت الأخرويّة وكأنها تجسيم حجري لجحيم دانتي من قبل أن ينحت رودان جحيم دانتي في بوابته العظيمة، هكذا كانت كنيسة العصر الوسيط ترهب الناس بالنيران الأبديّة.. أو تراهم (هؤلاء السياح) يجلسون في جماعات على أرصفة مقاهي شارع ديليس الذي يلف آرل القديمة.. يمنحون المدينة شيئاً من احتفاليّة الصيف الذي يمضي إلى الاضمحلال وسط رياح الميسترال التي تهزّ الأشجار وتدفع بأوراق الخريف الصفراء في زوايا الأرصفة وتموّج سطح الرّون النيليّ.

يمتدّ شارع ديليس من أمام حديقة المسرح الروماني حيث تمثال فان خوخ وذاك النبع الرومانسي المختفي بين الحجر وتحت شجرة اللبلاب المعترشة في جداره.. هنا مرّت أجيال من الشعراء والكتاب.. أشعار كثيرة أنشدت في ظلال هذه الأشجار وتحت أقمار فرنسا الباردة منذ القرن الثامن عشر، من أيام روسو وروايته وهيلويز الجديدة التي دشّنت العصر الرّومانسي.. لا أدري لماذا يذكّرني هذا المشهد كلما مررت به برواية آلام الشاب فارتر لولفغانغ غوتة، فأرى شابّاً نحيلاً ضارباً إلى صفرة بذقن سوداء خفيفة وقبّعة سوداء مستطيلة وعصا في يده تحت شجرة زيزفون وهو يبوح بحبّ يائس إلى حبيبته التي لا تأبه بكلّ ما يقول.. ويسيل الدمع في صمت على وجنتيه.



Olga Lysenko - أستراليا

القراءة طعم الحب



في 17 نوفمبر/تشرين الثاني من عام 1965 نادت اليونسكو بتخصيص يوم عالمي للقراءة والتحصيل، سرعان ما بدأ الاحتفال به للمرة الأولى في 8 سبتمبر/أيلول 1966، وفي عام 1995 قررت اليونسكو تحديد يوم 23 إبريل/نيسان يوماً عالمياً للكتاب وحقوق المؤلف. عيدان للكتاب، لكنها مصادفة جيدة أن يسبق الاحتفال بالقارئ الاحتفال بالكاتب الذي يحظى في العادة بالتكريم والشهرة، على الرغم من أن المتعة والمعرفة شراكة بين الكاتب والقارئ.

لا يكتب المؤلف على صفحة خالية، لكنه يرسل بما يكتب إلى قارئ يضيف إلى النص من خياله ومعارفه السابقة ومزاجه في اللحظة التي يتلقى فيها الكتاب.

كاتبنا العربي عمر فاخوري (الذي قدمنا كتابه الفصول الأربعة مع عدد سبتمبر من الدوحة) يعتبر الكاتب والقارئ مسافرين على راحلة واحدة، أما العبقري الأرجنتيني بورخيس الذي كان يحلم بجنة على هيئة مكتبة فينقل عن قس فيلسوف من القرن الثاني عشر هو القس بيركلي: «إن طعم التفاحة ليس في التفاحة نفسها، ولا في فم آكلها، وإنما في اجتماع الاثنين».

هكذا تشبه القراءة متعة السفر ولذة الأكل وإشراقة الحب، فهي فعل يحتاج إلى شريك. لا الكاتب ولا القارئ وحده يحدد قيمة الكتابة وطعمها. وهي كذلك فعل يوسع الحياة ويعمقها، ويجعل من العمر الواحد أعماراً بإضافة تجارب وخبرات الآخرين إلى أعمارنا. وعلى الرغم من أننا نقف في ذيل قائمة الأمم التي تعرف لذة القراءة، فقد تأذت المتعة الخجول كثيراً خلال عام الربيع العربي، لأن الجائع والخائف والغاضب لا يقرأ.

وهذا الملف محاولة من «الدوحة» للاحتفاء بالمتعة المنسية التي إن تمسكنا بها لا يبقى معها على ظهر أرض العرب من مستبد.

تاريخ الحرية

«قال أبو عمرو بن العلاء: قِيل لنا يوماً: إنّ في دار فلانٍ ناساً قد اجتمعوا على سَوءة، وهم جُلوسٌ على خميرة لهم، وعندهم طُنبُوْر. فتسوّرنا عليهمْ في جماعةٍ مِن رجالِ الحيّ، فإذا فتىً جالسٌ في وسط الدار، وأصحابُه حوله، وإذا همْ بِيضُ اللّحَى، وإذا هو يقرأُ عليهم دفتراً فيه شعر. فقال الذي سعى بهم: السّوءة في ذلك البيت، وإنْ دخلتموه عثرتم عليها! فقلت: واللهِ لا أكشف فتىً أصحابُه شيوخ، وفي يده دفترُ علم، ولو كان في ثوبه دمُ يحيى بنِ زكريّاء».

من مقدمة كتاب «الحيوان» للجاحظ

| محسن العتيقي

تضفي القراءة ضوءاً على معارفنا، فيتراءى لنا أننا قادرون بشكل أفضل على التعبير عن أفكارنا وعواطفنا، وبشكل تراكمي تشق قراءاتنا طريقها إلى شعور بغبطة التكلم. في القراءة أيضاً نكتشف إلى أي حد أننا في تماس مع الآخرين، وينتابنا شعور غريب عندما نواجه عالماً يشبه العالم الذي نكتشفه لحظة القراءة، نموذج الحياة نفسه، رغبات واحدة، مصير متكرر، وكثيراً ما نتساءل أين كنا حين نرفع أعيننا عن صفحة، وأحياناً بعد شرود تعترينا نروة خاطفة. مجرد كلمات مطبوعة في كتاب قادرة على استنساخنا، فنتمنى لو يطول حلم اليقظة هذا.

إننا نؤمن على حياتنا بالمعرفة على حد تعبير نيتشه: «أليست غريزة الخوف ما تدفعنا إلى المعرفة؟ أليست البهجة التي يشعر بها من يحصل على المعرفة بهجة الشعور بالأمن؟». وبناء على هذا غدا العالم مرآة لتجارب وحقائق المعرفة الإنسانية، فنجد في تجارب الآخرين حياة مختصرة لحياتنا، لنتأمل استعارة أندريه جيد: «اعرف نفسك بنفسك! يا لها من قاعدة قبيحة وضارة! فكل من يبادر بملاحظة نفسه يتوقف عن النمو، ولو حاولت دودة الفراش أن تعرف نفسها جيداً لما أصبحت أبداً فراشة». أن تكون لكل قارئ قدوة دودة الفراش من المؤكد أن التحليق ينطوي على أجنحة بصرية، في نظر أوغسطينس العين بوابة الدخول إلى العالم، الحاسة البصرية هي الأهم، يقول اللاهوتي الإيطالي توما الأكويني، وبها نستطيع الحصول على المعرفة.

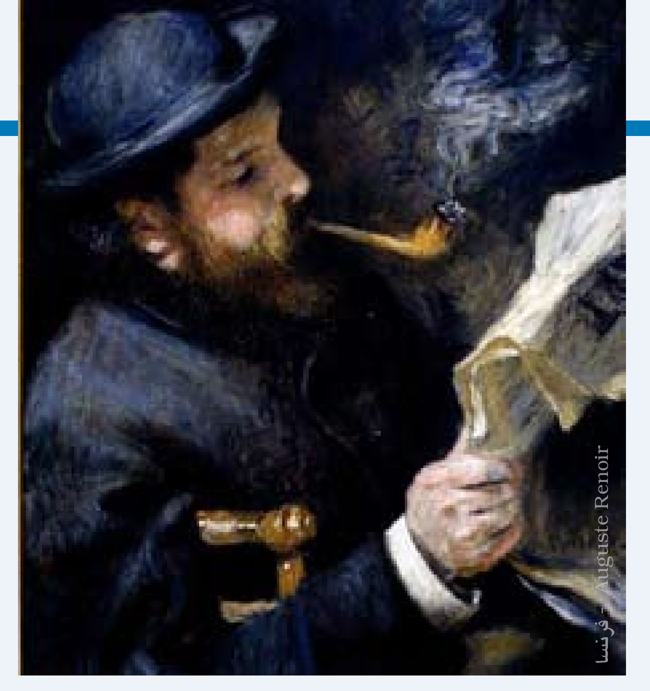
في عام 1781 وصف الفيلسوف والكاتب الفرنسي دنيس ديدرو الخطة الممتعة التي شفيت بها زوجته نانت من كآبتها: «بدأت أقرأ عليها بالاعتماد على الوصفة التالية: تناول ثلاثة أقراص من جيل بلاس يومياً، وعندما ننتهي نبدأ بـ «الشيطان على العكازتين» و«أعزب سالامانكا»، بعد مرور بضع سنوات وقراءة مئات الكتب اكتشفت أخيراً أنها مفيدة للغاية ضد الكآبة». وصفة ديدرو هاته تتماثل مع بلسم هنري كينغ حين كتب بعد وفاة زوجته الشابة: «يا للخسارة لقد غادرت باكراً، وواجبي هو التأمل، تأملك، تأملك، إنك الكتاب، غرفة القراءة التي أبحث عنها، وإن كنت أشرفت على العمى».

وهنا فرانسيس بيكون يضع مفهوماً جيداً للأكل: «بعض الكتب يجب التلذذ بها، وغيرها يجب أن تلتهم، وأخرى تمضغ جيداً وتلتهم»، الشهية البصرية نفسها، نعثر عليها في نص مسرحية «من الحب من أجل الحب» للشاعر الإنكليزي ويليام كونكريف (1670 - 1729) حين يقول الخادم: «تناول الغذاء عبر عينيك، أغلق فمك واجتر كتل الفهم، إن المرء يسمن كثيراً من الحمية الورقية هذه».

حين نلتهم الكتب بنهم يتحقق إشباع تقنف فيه حياتنا، وكثيراً ما نكون عنواناً متكرراً لكتبنا المفضلة، وعندئذ فنحن نمتلكها بإصرار وحرص، وهنا جانب من علاقاتنا المريرة بالكتب، يعبر عنه هنري ميللر: «أحد الأشياء التي أربطها بقراءة الكتب هو الصراع الذي خضته من أجل الحصول عليها». وعلى هذا الحرص هناك كتب نحب أن نعينها ناطقة رسمية باسمنا، وهذه إحدى الحالات التي وقع فيها الشاعر الألماني راينر ماريا ريلكه وهو مقبل على ترجمة أعمال لويزه لابيه، فقد وجد فيها سيرته الطفولية البائسة. وقبل اندلاع الحرب العالمية الأولى كتب في إحدى رسائله «أنا لا أفكر في العمل، بل فقط في استعادة صحتي تدريجياً بواسطة القراءة والتأمل».

حتماً ليس في مستطاع القارئ إلا أن يبحث عن مرآته في كتاب، إعلان التماهي هنا مأثور عند فرجينيا وولف: «القراءة فن معقد، الامتحان الأصعب لحواسنا كما نلمس كقراء، وفي المجمل فإن الكتاب الذين يمنحوننا جل ما عندهم يسببون لنا أزمة مع كبريائنا.. ليبقى الحكم معلقاً إذ لا نعرف ما الذي سيأتي بعد.. وعليه ربما يبقى البحث عن النهاية مستمراً»، وعلى هذا النحو اتخذ سيغموند فرويد من فعل القراءة جلسة للتحرر من التوترات داخل أنفسنا، حيث «ينطلق التلذذ الحقيقي الكامل بالعمل الأدبي.. إننا نقرأ لأننا نريد العثور على النهاية».

وإذ يبدو تاريخ القراءة هو تاريخ علاقتنا بها، فهو من الناحية الأدق تاريخ البحث عن الحرية، وهكذا بدأ ملكوت الكلمات الشاهدة على إرادة الحياة. إن ما جعل العبيد خلال مئات السنين



يعرضون حياتهم للخطر هو تعلم القراءة سراً، مجرد التفكير في «شعب أسود» متعلم كان يبعث في مالكي الرقيق الخوف من احتمال عثور عبيدهم على أفكار انقلابية. مثل هذا الحذر مثلته المؤسسات الدينية على مر العصور، ليس فقط في منع انتشار الكتب بين العامة، بل في فرض نمط واحد من القراءة لا يخرج عن «كلام الله».

وبشكل متلازم كان بعض العقائديين يصادرون التطور الذي حصل عند الانتقال من القراءة الجماعية بصوت مرتفع في الأديرة إلى القراءة الصامتة في المنازل وعلى الأسِرّة؛ إذ إن القراءة الصامتة كانت حسب اعتقادهم تشجع على أحلام اليقظة وأنها مكمن الانزلاق في الشهوات الحسية، واعتبر الكتاب المقروء بصمت في غنى عن الاستفسار الفوري والمراقبة من قبل مستمع آخر، لذا فإن القراءة بصمت كانت تسمح بقيام اتصالات بعيدة عن شهود العيان، في الوقت الذي كانت فيه المؤسسات الدينية تصب اللعنة على قراء «الهرطقة» الذين كانوا يعثرون في الانزواء مع الكتب غير الدينية فسحة للتحرر من قيود العصور الوسطى. ونتيجة لقلة الذين يحسنون القراءة في هذه الفترة فإن القراءات العامة كانت أمراً منتشراً، حتى أنها أصبحت شكلاً من أشكال النشر.

وكما ارتبطت القراءة الصامتة بالانفلات من رقابة الأديرة، ارتبطت كذلك بتطوير اللغة بعد إضافة التنقيط والفواصل، ومن داخل الكنيسة نفسها كان القديس إسحق السوري يمتدح منافع القراءة الصامتة قائلاً «إنني أتمرس على الصمت من أجل أن تملأني النصوص التي أقرأها فرحاً وحبوراً». وهكذا أصبحت القراءة والانفراد بالكتب مألوفاً في حياة العامة، وبشكل ذائع مع اختراع الطباعة، حيث عممت الكتب بعدما كانت محتكرة في طبقة الأرستقراطيين ورجال الدين. وابتداء من القرن 14 أصبحت حيازة الكتب والأسِرّة الفاخرة مؤشراً على مكانة اجتماعية، وأضحت الأسِرّة والكتب ترهن ويوصى بها للعائلة، إلى أن أصبحت القراءة في التقاليد الفرنسية خلال القرن 18 نوعاً من الإكرام للضيف في مقابل قلة الذوق لدى العائلة التي لا تمارس هذه العادة. كما انتشرت القراءة في السرير في هذه الفترة إلى الحد الذي جعل القس الفرنسي جان بابتيست دولاسال يحذر من الخمول الذي يبعث على ارتكاب المعصية وأوصى الناس بأن لا يحاكوا «أشخاصاً يشغلون أوقاتهم بالقراءة في الفراش دون أن يكون ذلك بغرض النوم». أما معاصره الأديب الإنكليزي الساخر جوناثام سوفت فقد اقترح بأن الكتب التي تقرأ في الفراش يجب أن تعرض للتهوية. في حين أن هذا الموقف لم يكن يعني عند الفيلسوف الإنكليزي جوفري شوسر سوى حرمان من لذة القراءة التي عبر عنها في مؤلفه «الدوقة» بكون القراءة في الفراش أكثر متعة من لعبة الشطرنج.

وكما كان للقراءة أعداء باسم القيم الرسمية، كان لها أنصارها الذين فتحوا شهية الكتاب للقراء.

ومن بين أبرز المحرضين أوائل القرن 19 نجد رائد الحركة الترنسندالية الفيلسوف والشاعر الأميركي والدو إمرسون الذي كان يحث القراء بضرورة تبادل وجهات النظر حول الكتب، معتبراً أن القراءة مسألة خاصة وانفرادية محضة «إن الكتب تعبير سام عن ضمير العالم وتعني بالنسبة إلى حياتنا اليومية أكثر من مجرد التقويم السنوي أو الصحف اليومية، غير أنها يجب أن تقرأ موضوعة على الركبتين وأنت جالس في دورة المياه، وما تتضمنه من رسائل يجب أن تعطى أو تؤخذ بواسطة الشفاه ونهاية اللسان، بل من توهج الوجنتين والقلوب الخفاقة». وللروائية الأرستقراطية الأميركية إيديث وارتون حكاية مع غرفة نومها، إذ وجدت فيها المهرب الوحيد من بروتوكولات القرن 19، حيث كانت تستطيع أن تقرأ وتكتب في سريرها حتى أنها احتفلت بأعياد ميلادها في الفراش في مراحلها الأخيرة، وكانت تسمي سريرها بمكان «الوحدة السامية». أما هنري ميلر فكانت أفضل انزواءاته بالقراءة تحدث في دورة المياه، هذا المكان الهادئ المخصص لاستعمالات خاصة ومبتذلة، هو في الواقع بالنسبة له مكان «لجميع انشغالاته التي كانت تتطلب وحدة خالية من التشويش». لكن البوح الأكثر جنوناً وخلاء ذلك الذي عبرت عنه الكاتبة الإنكليزية ماري شِلي «إن عاداتي هي أن أتعرى وأن أجلس على صخرة جرداء لأقرأ هيرودوتس إلى أن يتوقف العرق عن التصبب».

وفي مكان آخر أكثر حميمية وشاعرية كان الروائي الفرنسي مارسيل بروست بمجرد ما تغادر عائلته المنزل في نزهة العطلة الصيفية، يلجأ إلى المطبخ، حيث أصحابه الوحيدين الذين يحترمون القراءة فقط «الأطباق الملونة المعلقة على الجدران، والتقويم الذي اقتطعت منه تواً ورقة البارحة، والساعة والموقد.. ساعتان كاملتان قبل أن تظهر الطاهية».

بين الأمكنة الأكثر خلوة إلى الأكثر غرابة أو اعتيادية، تعيش القراءة سيرتها بالتماس مع قدرتنا على التحرر والحلم بحياة أخرى في روح الكتب، وسواء قرأنا في هذا المكان أو ذاك، يبقى فعل القراءة تكريساً للحرية والبناء المجتمعي.

القراءة حتى الملل

المدرسة العربية شرعت تدريجياً في التّخلي عن دورها في تثقيف المجتمع. صارت غير مباليّة بتجديد مناهجها وتحديث طرائق تلقينها لذّة المطالعة وغواية النّص. مجلة «الدوحة» أجرت استطلاعاً شاملاً وسبرت آراء طلبة وأساتذة ومختصين حول واقع المطالعة.

| الدوحة- **مراسلون**

الهمّ يبقى واحداً في كثير من الدّول العربية: كيف نستطيع إقناع الطفل أو المراهق بأهمية المطالعة؟ بين ماضوية النصوص المدرجة في المناهج والتي لا تمت للراهن بصلة، وفشل بعض المدرسين في التواصل الحسن مع التلاميذ، يفقد الفرد العربي، من سنة لأخرى، علاقته بالكتاب.

في لبنان تعوّد التلاميذ على عدم إتمام قراءة أي كتاب يلتقطونه، بحسب ما تقول كارين (16 عاماً) التي تتابع تعليمها في مدرسة خاصة: «إلى جانب سريري، ترقد كتب كثيرة، أبدأها وأسأم منها، فلا أنهي أيّاً منها.. أراها في الصباح وأشعر بالذنب». تلك العادة تحوّلت إلى ظاهرة. أما في صف الأدب العربي، تتيقّظ فقط قلّة من التلاميذ وتغفو الأكثرية. يعود ذلك، بحسب رامي، وهو أحد الغفاة المزمنين، إلى «ضعف الغالبية بالقواعد» ويضيف: «كرهت القواعد منذ الطفولة، فبت أسأم في صفوف الأدب، لأنني أخطئ كثيراً في القراءة».

تحديث المنهج الرسمي في لبنان يعتبر مسألة دائمة الحضور. كما أن الظروف السياسية المتقلبة والأوضاع الاجتماعية الصعبة التي يعرفها البلد صارت تطغى على تفكير الأساتذة والمدرّسين أكثر من التفكير في أهمية تحسين أداء التلاميذ وتوطيد علاقتهم بالقراءة. «في الجامعة، الوضع سيئ جداً اجتماعياً» تقول الأستاذة الشابة مهى، التي تخرّجت من «جامعة القديس يوسف» وقررت أن تعلّم في «الجامعة اللبنانية» كجزء من «النضال الذي يتوجب عليّ أن أؤديه تجاه وطني، وتجاه الجيل الجديد!». الجو الذي ينفرها يتمثل في التعصّب السياسي والطائفي المستشري بين الطلاب. أضف إلى ذلك «الوضع الإداري القائم على بيروقراطية غير منتجة». وتنكّر بأن «الأساتذة، ليسوا كلهم كذلك.. لكن الجو العام يساعد على الفساد، والسأم من الرسالة».

على حافة السّياسة

كان العرب يتداولون في السابق عبارة «القاهرة تكتب، بيروت تطبع، وبغداد تقرأ». أما اليوم فقد صار أبناء بغداد يبتعدون شيئاً فشيئاً عن همّ القراءة. شغلتهم السياسة وحالة اللااستقرار التي يعرفها البلد، منذ سنوات، عن رغبة التمعن في الكتب. كما أن الأساتذة في المدارس يبدون غير عابئين بتوطيد علاقة التلميذ مع متعة اكتشاف النص.

سلام مكي، طالب في كلية التربية- جامعة بابل، يرى أن مادّة المطالعة غير مرغوب فيها من قبل أستاذها ومن قبل الطلبة أيضاً، بالرغم من أهميتها التي توازي أهمية مادّة النحو، كما أنّ واضعي المنهج الدراسي، جعلوا من المطالعة مادّة ثانوية، ويواصل: «الأستاذ لا يعترف بالمطالعة، فنراه يأخذ دورها في الحصص الدراسيّة لحساب مادّة أخرى.. من جانب التلميذ، تظل المطالعة غريبة عليه، لا يفهم منها سوى أنها راوٍ لبطولات النظام، ومجال للأقلام المأجورة لصالحه.. بمعنى أن وضع منهج للمطالعة كان له غايات سياسيّة، أكثر منها تربويّة، وإلا كيف نفهم اقتصار مواضيعها على أدب الحرب بشكل خاصّ؟ حتّى أن النصوص التاريخيّة اختيرت من تلك التي تتلاءم وتوجهات السلطة». مكي لفت الانتباه إلى ملاحظة لم يستجب لها واضعو المناهج الجديدة وهي أن «مواضيع المطالعة مازالت تراوح مكانها، فالأدب العالميّ في تطوّر مستمرّ، وفي كلّ فترة يتمّ ابتكار أنماط جديدة للكتابة، ومع كلّ جيل، يظهر أدباء جدد، بينما نجد مناهجنا تركّز على الأدب الكلاسيكيّ، تاركة الحديث منه خلف ظهرها». من جانبها، ذكرت الطالبة في ثانوية بغداد للبنات سارة طاهر أن «مادّة المطالعة من الموادّ المهملة جدّاً في المدارس العراقيّة بحيث أن طلبة كثيرين سمعوا باسمها مجرّد سماع أو أنها مجرّد كتاب يقتنونه في خزانة كتبهم المدرسيّة، وكأنّه أمانة لديهم.. حتّى لا يعرفون ما فيه من مواضيع، وكلّ همّ مدرسي مادّة اللغة العربيّة أن يكملوا المنهج المقرّر لهم وفقط». أما مدرس اللغة العربية في «الغربية المتوسطة» ببغداد نافع مطر، فيدافع عن مادته: «الطلبة الذين أدرسهم هذه المادّة يحترمونها ويعطونها اعتباراً، بل إنهم يرونها مادّة



Ronald Brooks Kitaj - أميركا

مشـوّقة فيها قصص وحكم، إضافة إلى أنّ النصـوص الأدبيّة ومـا تتضمنه من شـعر ونثر وخطابة ومقالـة يرى فيها الطالب مادّة ممتعة ومسلية على خلاف مادة النحو». لكنّه يؤكد أنّ طريقة تقديم هذه المادّة تختلف من مدرس إلى آخر، فالبعض يوليها اهتماماً والبعض الآخر يستبدلها بمادّة ثانية.

اجترار النص

بالتوجّه إلى اليمن لن يختلف الحال. أزمة المطالعة تتسبب فيها بعض العوامل المتداخلـة فيمـا بينها. ولكن المسـؤول الرئيسـي عنها يتجسد في وزارة التربية واضعة المنهج الدراسي.

يقول أحمد الماوري، تلميذ في الصف التاسع الأساسي، إنه غير مرتاح لنوعية النصـوص التي يحملهـا المنهج الخاص بالمطالعة، حيث تهيمن عليه نصوص لا تدفع الطالب للتعلق بها، مشـيراً إلى أن غلبة طابع الملل عليها هو ما يدفعه لعدم الاهتمـام بها. ويضيـف: «هي نصوص لا تشـبه تلك النصوص التي نجدها في الكتـب الخارجيـة والمجـلات الخاصة بالشـباب والتي نجد فيها مـادة جاذبة ومحفـزة لمتابعتها والاسـتفادة منها».

ويعتقد علي محسـن العكبـري، مدرس مادة القراءة في إحدى المدارس الثانوية في صنعـاء، أن المدرسـين لهذه المادة يجدون أنفسـهم مجبرين علـى التعامل مع كتاب لا يمّـس على نحو جاد رغبات التلاميـذ وميولهـم أو حتى المسـتوى الثقافـي الـذي يتقاطعـون معـه عبـر وسـائل الميديا المختلفة والتي تطورت بشـكل كبير. ويصر المتحدث نفسه على ضـرورة أن تتوافق المناهـج الخاصة بالقـراءة معهـا. ويضيـف العكبري أن هناك حالة من القطيعة بينهم كمدرسين لهذه المادة وبين المشـرفين على عملية وضـع المناهج الخاصة بهـا في وزارة التربية والتعليم.

تعتقد وفاء مقبل الشرجبي، أسـتاذة الأدب المقـارن بكليـة الآداب، جامعـة صنعاء، أن إشـكالية القـراءة والطلبة وعلاقة سوء الفهم المتلازمة بينهما تكمن بدرجة أولى في مسألة عدم وجود تراكم معرفي من المفترض أن قاعدته الأساسية تبدأ من المراحل الدراسية الأولى. يضاف إلـى ذلك أن المنهج القائـم على التلقين ينأى عن طرح النصـوص الثقافية التي باستطاعتها جنب الطالب ودفعه للتعلق بالقـراءة مـن منطلـق ذاتي بحـت غير مرتبط بواجب إلزامي عليه القيام به من أجل اجتياز مرحلة دراسية والدخول إلى مرحلة أعلى.

هـواة الخطـاب

لا ينحصر إشكال تراجع الإقبال على المطالعة في الجزائر في نوعية المناهج وفي أساليب تدريسها بقدر ما يتجسد في الهـوة الفاصلة بين المـدرّس والتلميذ، والتـي يتحـدث عنها محمد تحريشـي، عميـد كليـة الآداب واللغـات بجامعـة بشـار: «في الوقت الـذي يوظف التلاميذ تكنولوجيـات الإعـلام والاتصال ما زال المكوّنون يتمسكون بالوسائل التقليدية للمطالعة»، ويذهب تحريشي في رأيه إلى أن ما تطرحه كتب المطالعة في المدرسة والجامعـة قـد لا تسـتجيب لتطلعـات التلاميذ والطلبـة، ومن ثم فإن الأنترنت تتـراءى البديل المفضـل» ذلك ما يؤكده رائد بلغربـي، تلميذ في الطور الثانوي، حيـث يقول: «القليل جداً من يطالع كتباً. طوال الوقت وأنا أمـام أجهزة الكمبيوتر مـع رفاقي. نقضـي السـاعات إما على الفيسبوك أو في اللعب الإلكتروني أو في الشات. المطالعة لا تعنينا». وعن كيفية تعاطي الأسـاتذة مع المنهج الدراسـي لمـادة المطالعة والفوارق الواضحة بين كل واحد منهم، يجيب تحريشي: «تعامل الأستاذ مع مادة المطالعة يأتي في ثلاثة أنماط: فهناك من يتلقى المنهج ولا يتمكن من الاستفادة منه، لأنه لم يدرك الأبعاد الفلسفية والمرتكزات الفكرية والتوجهات الجمالية والفنية للمنهج، ومن ثم يصبح هو والمنهج خطيـن متوازيين. والنمط الثاني من يسـلبه المنهج ويسيطر عليه ولا يسـتطيع الفكاك منـه للوصول إلى مرحلـة الإنتاج والإبـداع انطلاقاً من هذا المنهج أو ذاك. ومن ثم يصبح مسلوب الإرادة. والنمـط الثالـث من يسـتطيع اسـتيعاب المنهـج والسـيطرة عليـه، فيوظفـه توظيفاً مبدعاً ليسـمو به نحو غايات قرائية تستلهم التراث والمعاصر في آن واحد».


إيمان مالكي - إيران

بعد الديكتاتور

نور محمد الريطي، طالبة الثانوية العامة في مصر، واحدة ممن عانين من ضعف منهج مادة المطالعة، تخبرنا: «نشأت في بيت يحبذ القراءة ويقدر قيمة الكتب. لكن في مراحل الدراسة المختلفة، أدركت أن الطريقة الوحيدة المناسبة لهذه المناهج هي الحفظ، فأغلب المواد الدراسية لا تقدم لي الإفادة التي أحصل عليها من قراءة الكتب والأعمال الإبداعية الموجودة في بيتنا. أنا أذاكر وأحفظ المنهج عن ظهر قلب، وأحاول أن أحقق نهمي في القراءة، ولكن خارج المناهج الدراسية».

أما علي الدين سليمان علي، الذي يدرس في الأزهر الشريف صباحاً ويتعلم عبر مواقع التواصل الاجتماعي مساء، فيقول: «أتمنى أن تطبق في الثانوية كتب أنيس منصور ورحلاته وكذلك أحمد بهجت ومحمود السعدني وماركيز ونجيب محفوظ، بدلاً من المناهج التي لا تفيد التلاميذ في شيء. مواد جافة، مملة، ويبدو أن مؤلفيها لا ينتمون إلى عصرنا». من جانبه، يدافع محمد عبد المجيد عبد الرسول – ناظر مدرسة السلامنة الابتدائية جنوب مصر- عن المنهج الدراسي لمادة المطالعة، ويشير إلى أن التلاميذ لا يلتزمون بجدية مع المواد التي يتلقونها ولا يتحمسون للمطالعة التي يدفعهم إليها الأساتذة.

مؤشرات المطالعة في الوطن العربي جد متدنية مقارنة بما هي عليه في أوروبا وفي آسيا. مع ذلك، البعض يتمسك بخيط الأمل ويعتقد أن التغيير قادم، وأن الجيل الذي صنع ربيع الثورات سيحمل معه نظرة ورؤى تجديدية، ومترابطة مع تحولات الراهن. العرب يحفظون جيداً مقولة «شعب يقرأ شعب لا يجوع ولا يستعبد». فمتى سيطبقونها على أرض الواقع ويغيرون علاقتهم مع القراءة نحو الأفضل؟.

القراءة بوصفها عادة متأصلة في سلوك الناس وتقليداً راسخاً في طبعهم، تسهم في توسيع رؤيتهم للعالم، وتطوير قدراتهم و مؤهلاتهم. وهو ما ينعكس إيجاباً على مسيرة المجتمع وحركيته وأدائه، ويؤدي إلى تحسين صورته ونمو مرافقه الاجتماعية والاقتصادية.

عن التلقين ومآسٍ أخرى

د. محمد الداهي- الرباط



تعتبر القراءة، على مر الأزمان، مطلباً ملحاً لتكوين المواطنين وتثقيفهم وصقل مواهبهم وتنمية مهاراتهم. وهذا ما يستدعي دَمقْرطة الثقافة والتعليم حتى تصبح القراءة مكسباً يتمتع به جميع المواطنين دون تمييز أو إقصاء.

تلعب المدرسة دوراً كبيراً في حفز المتعلم على القراءة وتنمية معارفه وقدراته. وفي هذا الصدد نثير الملاحظات الآتية:

أ-يعاني الوسط المدرسي من آفات تسهم في تفاقم الأمية، ومن ضمنها الانقطاع عن الدراسة، والهدر المدرسي، وإخفاق البرامج التربوية في تحقيق أهدافها واستجلاب المردود المتوخّى. كما يعاني هذا الوسط أيضاً من قلة المكتبات الوطنية (10 % على الصعيد الوطني) والفضاءات التي يمكن أن تسعف المتعلمين بالقراءة والقيام بأنشطة ثقافية وفنية موازية. ومما يؤسف له أن أغلب الخزانات المدرسية عبارة عن قاعات غير صالحة وغير مجهزة، وتتعرض للنهب والسرقة، وتسير غالياً من لدن قيّمين غير أكفاء، ولا تتوصل بالكتب الجديدة، ولا تشملها حملات التفتيش إلا نادراً جداً لتقويم محتوياتها وتعرف أحوالها . و يستفحل وضع القراءة بالمؤسسات التعليمية أكثر إذا ما اعتمدنا مؤشرات جديدة لقياس مدى توافر المتعلمين وغيرهم على مؤهلات لغوية ومعرفية ومنهجية وتقنية لبناء مجتمع المعرفة.

ب- يُعتمد في أغلب الحصص، رغم موجات التجديد التربوي، على الإلقاء وهو ما يحرم المتعلم من تطوير قدراته على مختلف أنماط القراءة (على نحو القراءة الكلية (Approche globale) والقراءة التفاعلية (Lecture interactive) والنقد والبحث والمساءلة ومعالجة المعلومات والتحليل والتأويل والتركيب. ويحوله إلى آلة خاملة تكتفي باستظهار المحتويات الملقنة واجترارها. وفي السياق نفسه، تعتمد نسبة كبيرة من الطلبة على المقررات الدراسية، ولا تدعمها بالرجوع إلى مراجع أساسية يمكن أن تسعفها على توسيع مداركها، وتنمية معارفها، وصقل مؤهلاتها المنهجية. ومما ترتب على هذه الوضع ركود السوق الثقافية نتيجة عدم إقبال

الطلبة على اقتناء الكتب لعوامل كثيرة نذكر منها ما يلي: غلاء الكتب، وعدم التعود على القراءة، وعدم إرشاد الطلبة إلى المراجع الأساسية، وضعف الخدمات المكتبية في الخزانات البلدية والجامعية، وإقبال الشباب المتزايد ولفترات طويلة على شبكة الانترنيت وإن كانوا لا يستثمرون إلا النزر القليل منها «الدردشة، واللعب، والتعارف».

ج- رغم صدور كثير من المنكرات التي تشجع على تكوين أندية في المؤسسات التعليمية سعياً إلى تحسين جودة الحياة المدرسية ، وإعداد المشروعات البيداغوجية الملائمة؛ فهي مازالت قليلة وغير مجهزة من الناحية اللوجستيكية (انعدام وسائل العمل ، والتجهيزات، و فضاءات الاشتغال، والموارد المالية، وعدم وجود حوافز مادية ومعنوية) وغير مؤهلة لأداء دورها التربوي والثقافي لتبادل الخبرات والتعلّمات، والانفتاح على المحيط الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، والسعي إلى تزويد المتعلم بمهارات جديدة يكون لها الفضل على نمو شخصيته وصقل مواهبه.

وفي خضم موجات التجديد التربوي اضطرت المدرسة المغربية إلى مراجعة مناهجها التعليمية حتى تغدو منسجمة مع المستحدثات البيداغوجية ، ومواكبة سيرورة التنمية المستديمة. وفي هذا الإطار تم تعزيز مادة المؤلفات بالتصورات البيداغوجية المناسبة (الكفايات المستهدفة، مراحل القراءة وسبل تنفيذها، التقويم) واقتراح ما يناسبها من محتويات تتماشى والمستوى الإدراكي والتعليمي للمتعلمين سعياً إلى تطوير مؤهلاتهم الثقافية والمعرفية والتواصلية ، وتدريبهم على «القراءة المنهجية»*، بهدف اكتساب عادات ومهارات جديدة في التعامل مع الكتاب سواء داخل الفصل الدراسي أو خارجه.

واختار واضعو البرامج التعليمية المنظورات الستة لحفز المتعلم على قراءة الرواية على سبيل المثال من زوايا مختلفة (موضوعاتية، ونفسية، وسيميائية، واجتماعية، وأسلوبية. .). وهي، في مجملها، عبارة عن مداخل أساسية لتهيئ المتعلم نفسياً ومعرفياً قصد التغلب على المصاعب التي يمكن أن تعترض سبيله إن تابع دراساته العليا في شعب الآداب. ومن مزايا هذه المقاربة المتعددة أنها تلحّ، في بعض مراحل تنفيذها، على العمل الجماعي(يقسم الفصل الدراسي إلى ست مجموعات. تكلف كل مجموعة على حدة بمنظور قرائي محدد) بهدف تدريب المتعلمين على قراءة النص بطريقة منهجية، وإعداد بطاقات القراءة التي تعكس الأداء التواصلي والمعرفي للمجموعة، وتبين مدى حصولها على القدرات اللازمة لمنافسة المجموعات الأخرى وإحراز المراتب الأولى.

ورغم ما عرفته المدرسة المغربية من تطور فيما يخص تدريس المؤلفات والحفز على القراءة الحرة، فقد اعترضتها كثير من المصاعب حالت دون وصولها إلى النتائج المرضية. ومن ضمن هذه المصاعب نذكر أساساً ما يلي:

أ- يعتمد أغلب المدرسين على تلقين محتويات المؤلفات دون مراعاة ما تحث عليه المنكرات الوزارية من توجيهات تهم أساساً اعتماد الطريقة الحوارية في بناء الدرس. وهو ما يحرم المتعلم من اكتساب مهارات جديدة في مجال القراءة المنهجية، ومن تحسين قدراته على التواصل الكتابي والشفاهي. ويتذرع المدرس في عدم الامتثال للمنكرات الوزارية والوصفات البيداغوجية المطلوبة بتفاقم ظاهرة اكتظاظ الفصول الدراسية، وطول البرامج التعليمية وتكدس محتوياتها، وعدم انتظام سيرورة الزمن المدرسي، وتفاوت المتعلمين في مستوياتهم وقدراتهم الاستيعابية والإدراكية، واستفحال ظاهرة تنزيل محتويات جاهزة من شبكة الإنترنيت، وعدم انتظام برامج التكوين المستمر لتمكين المدرسين من مهارات مهنية متطورة، وتمكينهم من مواكبة المستحدثات البيداغوجية والمنهجية. وهذا ما ينعكس سلباً على تطوير مؤهلات المتعلم على النحو الأمثل، ويعيق اكتسابه للمهارات الضرورية لمتابعة دراسته بنجاعة وفاعلية، وتنمية شخصيته وذوقه وإحساسه، وتأهيله لممارسة مهنة في الحياة.

ب- عرفت الجامعة المغربية سلسلة من الإصلاحات حرصاً على استجلاب المردود والجودة المتوخَّيَيْن، وتطوير مؤهلات الطلبة على الإبداع والإنتاج والبحث. ومن بين الملاحظات السلبية التي أدت إلى تعثر كثير من المبادرات الإصلاحية البناءة هو عدم تحقق الملاءمة بين الغايات المنشودة وبين إرغامات الواقع. وما يهمنا، في هذا الصدد، هو خيبة أمل كثير من الأساتذة بسبب تراجع المحصول القرائي لطلبة اليوم مقارنة بأندادهم فيما سبق. يرشد الأستاذ، على جري عادته، طلبته إلى قراءة مراجع معينة بهدف توسيع محصولهم الإدراكي، وتنمية رصيدهم اللغوي والمعرفي. لكن أغلب الطلبة يؤثرون الميسَّر والجاهز، و يحبذون استظهار ما أملي عليهم خلال مجزوءة دراسية(Module). لا يطلعون على المراجع المطلوبة بدعوى تكلفتها الباهظة، وكثرة المواد الدراسية، وعدم

يعتمد أغلب المدرسين على التلقين دون مراعاة ما تحث عليه المذكرات الوزارية من اعتماد الطريقة الحوارية في بناء الدرس



توافر المهارات الأساسية للتعامل مع مرجع ما والاستفادة من محتوياته.

ومما يحرض الطلبة على عدم قراءتها هو تركيز أغلب الامتحانات على المحتويات المدرسة وليس على مجمل البرنامج الذي ينبغي أن تُستوفى جميع عناصره ومكوناته خلال مدة زمنية محددة (المجزوءة). وقلما ترد الامتحانات في شكل أسئلة تركيبية، أو تضع الطالب أمام وضعية-مشكلة (situation-problème). وهو ما يستدعي من الطالب، في هذه الحالة، أن يبرز مؤهلاته الشخصية، ويمتحن قدراته المنهجية والتواصلية في مواجهة وضعية شائكة وعويصة بالنجاعة والفاعلية المنشودتين.

مما تقدم يتضح حجم المصاعب التي تحول دون دَمقْرطة الثقافة وتوسيع قاعدة القراءة في المغرب(مقارنة مع الدول المتقدمة) بسبب انتشار الأمية، وتفاقم مشاكل التعليم والتربية، وانحسار السوق الثقافية وضيق بنياتها الاستيعابية، وتراجع الاستثمار في مجال النشر، وضعف نسب اقتناء المصنفات المطبوعة أو تحميل المصنفات المرقمنة، وقلة البنيات التحتية (بالنظر إلى عدد الساكنة المغربية) وضعف تجهيزاتها باستثناء حالات محدودة.. وهو ما يتطلب إصلاحاً شمولياً يمس جميع القطاعات لتحسين الظروف المعيشية للمواطنين، وتمكينهم من الخدمات الضرورية (بما فيها الخدمات الثقافية والمعرفية)، والارتقاء بنوقهم ومستواهم التعليمي والثقافي. كما يستدعي من جميع الجهات المتدخلة أيضاً إعداد مخطط وطني للقراءة والثقافة يشخِّص المشاكل الكبرى، ويقدم مقترحات عملية للتغلب عليها وتذليلها على نحو يسعف على إنعاش سوق النشر والكتاب، ويدفع الناس، على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والثقافية، إلى اقتناء المصنفات، بمختلف دعاماتها وأنواعها وأجناسها، وتداولها والاستفادة من محتوياتها.

هامش:

* «هي البناء التدريجي لمعنى النص انطلاقاً من فرضيات القراءة التي يُتأكَّد من صحتها بتأنٍّ» ص 8 - 9. «لا يعنى بالقراءة المنهجية استخلاص معنى النص بطريقة آلية.. إن القراءة تستدعي، بشكل أساسي، نشاط القارئ الذي يحول عناصر النص وجزئياته إلى مؤشرات دالة» ص9. بالجملة ، تعتمد القراءة المنهجية على مراحل مضبوطة، وخلفيات واضحة، وأنشطة هادفة لحفز المتعلم على تمييز النص بالنظر إلى شكله وطبيعته، وعلى بناء محتوياته وتركيبها واستثمارها. انظر في هذا الصدد: Michel Descotes et autres, Lire méthodiquement des textes, .Bertrand-lacoste,1995

البركة في اللّوح

عبدالله ولد محمدو - موريتانيا

وراء الحفظ المنهل الذي امتاز به كثير من العلماء الموريتانيين أو الشناقطة أسرار كثيرة وروايات عدة، من الإجحاف اختزالها في عامل أحادي، لكن ثمة عنصراً بارزاً، كان له الأثر العظيم في تنمية قدرة الحفظ لدى طلاب مدرسة الكُتاب التقليدية الموريتانية «المحظرة» هو ذلك الرفيق الذي اتخذه الدارسون وسيلة للقراءة والحفظ في الطرف الغربي من الوطن العربي، حيث توجد بداوة عالمة، بخلاف المعهود من غلبة الأمية في العصور السابقة على بادية أغلب البلدان العربية، خاصة قبل انتشار المدارس الحديثة، ولا تزال هذه الوسيلة منتشرة في مدن موريتانيا الكبرى وباديتها حتى اليوم، تلك هي



وسيلة اللوح الذي حمل في الثقافة الشعبية الموريتانية دلالات رمزية كثيرة أبرزها استعماله كمرادف للثقافة نفسها. وفي العادة يختار الدارسون حجم هذا اللوح، طولاً وعرضاً، تبعاً لمستوى نموهم الجسمي والعقلي، أو بناء على قدر همَّتهم في التحصيل،، وهو عبارة عن لوح خشبي سميك ذي شكل مستطيل وقاعدة مستوية، أعلاه نصف دائري، تُستَعمل جهتاه لكتابة درسين: جديد حديث ؛ يسمى «الوجه»، وقديم دارس، يسمى «الدرس»، يكتب فيه كل يوم محتوى دراسي، يتناسب مع قدرات المتعلم في الحفظ والفهم، بداية من مستوى التهجية لمراحل الطفولة الأولى إلى مراحل التخصص للراشدين، وتصنع الأقلام المستخدمة في الكتابة على هذه الوسيلة من أعواد نباتية صلبة، تبرى بموسى، لتستعمل كقلم حبري ملائم للألواح، ويصنع مداد الحبر من الفحم والصمغ ممزوجين في ماء بمستوى مركز، وبعد قراءة الطالب مادته العلمية المناسبة له واستظهارها عن غيب يغسلها بماء، ليكتب مكانها درساً جديداً، وغالباً ما يقرأ الطالب في المحظرة لوحه في فترتين صباحية ومسائية، أو ثلاث فترات في أوقات الصباح الباكر والظهيرة وبعد المغرب، متخذاً من وسيلة التكرار القرائي للوحه وصلة لحفظ مادته، وتتكون بين الطالب القارئ في هذا النظام الدراسي وبين لوحه المقروء ألفة ومحبة تتولد من طول العشرة.

وينهب كثير من شيوخ المحاظر الموريتانيين إلى أن في اللوح بركة ليست في سواه من وسائل التعلم، فهو في اعتقادهم الراسخ يُسَهِّل الحفظ والفهم على القارئ منه، ويستدلون بالآية الكريمة «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ».

ولذا يؤمن كثير من القائمين على الكتاتيب أو «المحاظر» - كما يسميها الموريتانيون - بوجود سرٍّ كامن في هذه الوسيلة الطبيعية، يساعد القارئ في تمثُّل ما قرئ منه، ويثبت في ذهنه حفظه بيسر وسهولة، لا يتهيآن لقارئ الدفاتر أو الكتب الورقية، ويستدلون بتخرج علماء حفاظ كبار من مدرسة الألواح، يستظهرون من المتون والكتب ما يسحر الألباب، فما هو السر وراء هذه المزية ؟

لا شك أن ندرة وسائل الإغراء في البيئة المحظرية معين على تفرغ ذهن الدارس لمقروئه، فليس في مخيلة القارئ فيها من الأشكال والألوان ما يزاحم ذاكرة بشرية تركز كل طاقاتها الاستيعابية للحفظ والفهم، بعيداً عن وسائل الإغراء السمعية والبصرية المتواردة على ذاكرة الطالب في الفضاء المدرسي الحضري.



صور ألواح وحبر مستعمل في الكتابة عليها

لقد تغنى باللوح كثير من الشعراء الشناقطة كاشفين تأصل الخلة والمودة الناشئة من معاشرة اللوح الذي أبى الشاعر ابن حنبل الحسني الوفي للوحه المغرم به أن يلتفت إلى من يلومه في طول الانشغال به، فلديه ظمأ إلى المعرفة لا يطفئه غير طول صحبة هذا اللوح الحامل صنوف الثقافة العربية الإسلامية، لقد شغفه حباً، ولم يعبأ بصوارف الرغبة في الثراء المادي أو الميل إلى الاتصال بالغواني الجميلات، يقول هذا الشاعر:

عِمْ صبحاً أفلحت كل فلاح
فيك يا لـوح لم أطع ألف لاح
أنت يا لوح صاحبي وأنيسي
وشفائي من غلتي ولُوَّاحي
بك لا بالثرا كلفت قديماً
ومحياك،لا وجوه المِلاَح

وبالرغم من التطور الذي نال وسائل التعلم والتعليم لا يزال اللوح وسيلة قرائية مفضلة لدى الموريتانيين حتى يوم الناس هذا، رغم انتشار وسائل أخرى كثيرة من دفاتر وكتب وغيرها، غلبت على المدارس النظامية في العصر الحاضر، وإذا كان ابن حنبل قد أفصح بالأمس عن ارتباط وثيق بلوحه صنع من شخصيته العلمية قامة ثقافية سامقة في التراث العربي الإسلامي لهذا البلد، فهل تقفو الأجيال اليوم أثره طلباً للتميز والنبوغ ؟

خرافة البراءة

د. أحمد يوسف علي - جامعة قطر

هل هناك قراءة بريئة ؟ وما معنى البراءة؟ وإذا كنا نقصد بالكتابة - وهي تجسيد القراءة- التعبير عن موقف فكري أو أخلاقي أو استكشافي، فكيف نتقبل القول الشائع في حياتنا الفكرية وهو الكتابة المحايدة أو القراءة المحايدة بمعنى أن الكاتب يقف على مسافة متساوية من الأطراف الذين يكتب عنهم، أو أنه يتجرد من مخزون عقله ووجدانه وملابسات انتماءاته السياسية والاجتماعية حتى وإن لم يكن له انتساب معلن لجماعة من جماعات الرأي أو الفكر أو العمل السياسي؟. لو تقبلنا ذلك وصدقناه لفتحنا باباً واسعاً من الوهم والضلال ودعونا الناس إليه لتصديقه. فحياد القراءة مثل حياد الكتابة خرافة وهذا هو ما نعنيه من التساؤل الذي طرحناه في صدر السطر الأول. وتاريخ الكتابة / القراءة يؤيد ما نقول ويدحض خرافة الحياد الذي نعيش في ظله ونروّج له عندما يتملكنا الإعجاب بما يصنعه أحد منا لسبب أو لآخر.

إن القراءة بمعنى أنها انتخاب فردي لما يريد القارئ تفرضه ظروفه في زمنه وحاجته إلى المقروء ومدى وعيه بالعلاقة الفارقة بين الماضي والحاضر وبين ترتيب القيم في السلم الاجتماعي ومساحات التوافق والاختلاف والأشباه والنظائر. هذه القراءة فعل إنساني يمارسه العقل والوجدان معاً وفي آن واحد ويؤكد خرافة مقولة الحياد، ويكشف الزيف كما يكشف الأصالة في المقروء، كما يبين عن عدالة عين القارئ فيما يرى وفيما يغض الطرف عنه، وقد يكون هذا المغضوض عنه الطرف أولى بالتركيز عليه والإعلاء من شأنه.

ومن طريف هذا الفعل في عالم الشعراء ما صنعه أبو تمام في قراءته لمن سبقه من الشعراء إذ لم يشأ أن



إسبانيا - Pablo Picasso

يتــرك نتاج قراءتــه رهنــاً لتقديرات قارئي شعره لكنه لم يذكر كل الشعراء الذين قرأ لهم واكتفى بمن نالوا رضاه واتفقوا مع أسـلوبه في كتابة الشعر وخاصة بناء الصورة الشـعرية التي تضافرت فيها خيوط معرفية عديدة مع اتجاهه الفلسـفي ومع يقظة الحواس وصحوة العقل، فجمع خلاصة قراءته في (حماسته الكبرى والصغرى) ولم يكن موضوع قراءة أبي تمام بعيداً أو مفارقاً لهموم أبي تمام الشاعر والمفكر مـن جهة وأبي تمـام القريب من بلاط صانع القرار السياسـي والاجتماعي مـن جهة أخرى. لقد كان أبو تمام قلقاً مؤرقاً بسـبب رؤيته النافذة إلى عمق الأوضاع الإنسانية وخوفه من انفلات التعبير الشـعري المصور لمأسـاة ما يـرى ويعايـش، وفي الوقت نفسـه يتحرى الصدق فيمـا يصور ويصوغ. من هنا كانت قراءته للتراث الشـعري قـراءة محفوفـة بظلال هـذا الموقف الفكـري والشـعري ومحكومـة بما يستجيب لهموم هذا الموقف وقضاياه من نصوص الشعراء السابقين عليه، وهــذا ما دعاه إلــى الانتخاب والفرز، والانتخـاب والفرز أول خـرق لفكرة الحياد وهدم لمسـألة البراءة ودحض لشائعة الموضوعية.

وبعـد الانتخـاب والفـرز يأتـي تفسـير المقروء وتوظيفه في سـياق جديد ليس هو السـياق المنتج للنص المقروء بل هو السياق المبشر بموقف مغاير في واقع جديد.(فالدهر المغفل) و(الزمن الحمـار) كما يـرى أبو تمام ليـس هو(زمن القرود) كمـا يرى أبو نواس، وليس هـو الزمن المراوغ كما يرى عبـد الصبور. فهـؤلاء جميعاً لم يفارقهم الإحساس بوطأة الزمن وثقله على النفـس وإن تباينت صورهم في التعبيـر عن هـذا الإحسـاس، لكنهم كانـوا قـراء كباراً لما سـبق عصرهم مـن المفكرين والشـعراء ولم يكونوا

براءة القراءة مثل براءة الكتابة خدعة لها وجهان: وجه سلبي، ووجه إيجابي

أبداً مثل الأطفال- إلا في الدهشة وهي أسـاس المعرفة- لهم ذاكـرة بيضاء وعقول محايـدة كالمرآة، بـل كانوا مثل عين الصقر تلتقط الأشياء من بعد وتعرف كيف تضعهـا في مكان مغاير لمكانها الأول.

وبراءة القــراءة مثل براءة الكتابة خدعة لها وجهان: وجه سلبي، ووجه إيجابي. أما السـلبي فيتمثل في إهدار اسـتقلال الموضوع المقـروء ظناً من القارئ أو الكاتـب أن الذات لا تنفصل عن الموضـوع بمعنـى أن الأثر الذي يقـرؤه لا وجود لـه ولا تأثير إلا عبر الذات القارئة التي تمنحه وجوده كما تمنحه حياته عبر انتشاره من جديد بين الناس. وما أكثر هذا الفعل من القراءة في حياتنـا المعاصرة.فمـن يعادون التقدم والتطور فـي الواقع المعاصر لا يعترفـون أبداً بـأي إنجاز علمي أو اقتصادي أو اجتماعي لأنهم في حقيقة الأمر يمارسـون القراءة السـلبية لما يقرؤون من نصـوص التراث العلمي أو الديني وهـم منحازون بالضرورة لفكرة مسـتقرة فـي أذهانهم عن زمن سـابق ولا وجود لها في الواقع. هذه الفكرة هي أن السابقين قد أحرزوا كل تقدم وحققوا كل سبق.

وهذه الأزمنة هي أزمنة المسلمين الأوائل. فإذا قرأنا فـي مناهج البحث عن أهمية فكرة الشـك المنهجي التي قدمهـا ديكارت، كان الـرد جاهزاً عند ممثلي القراءة السـلبية فـي أن فكرة الشك المنهجي ليسـت جديدة أبداً فقد تحدث عنها الغزالـي في كتابه(إحياء علوم الدين) وإذا ما أنجز طه حسـين قراءتـه الكاشـفة عن انتحال الشـعر الجاهلي مسـتخدماً المنطـق العلمي القائم على الشك ومناقشة المنقول من الأدلـة والنصوص المنسـوبة للعصر الجاهلي، وكان شـجاعاً في مواجهة الكسـاد العقلي والرضـوخ لمقولات الأسـلاف والتصديق المطلق للأبطال من الرواة والشـراح والكتاب كان الرد على هذا الإنجاز جاهزاً لدى أهل القراءة السلبية الذين يصدقون ما في عقولهم بقولهـم إن هذه الدراسـة مبنية على مقولات المستشرقين الذين استخدموا طه حسـين رأس حربة لهـدم التراث الشـعري، وأن طه حسين لم يراع ما هو مقدس وطعن فيه وأسـقطه. لكن أحداً من هؤلاء لم يقم بدراسة مناقضة لدراسة طه حسين، ولم يقدم فروضاً جديدة يمكن أن تؤدي إلى نتائج جديدة تضيف إلـى هذه القضيـة ولا تنقص منها، ولم يشـغل نفسـه بالموضوع المبحوث بل شـغل نفسـه بشخصية الباحث وعقيدته وعلاقاته وسخر كل طاقته في إسـقاط الشـخصية، وظل الموضوع المبحوث كما هو وإن أصابه بعض الشـرر والتعتيم والعجيب في الأمـر أن ما ذاع وانتشـر بين الناس- بسـبب القراءة السـلبية- هـو ما قيل عـن الباحث وعـن بحثه. أمـا البحث ذاته فقد صودر وظل محظوراً نشـره وتداوله وكأنه عورة من العورات. أما الوجه الإيجابـي لخدعة براءة القراءة والكتابة فيتمثل فيمـا يمكن أن نطلق عليـه (صـراع القـراءات) وتعني أن الموضـوع المقروء هو مـدار التأويل والتفسير. وتظل فكرة براءة الكتابة أو القراءة فكرة لا أسـاس لها من الصحة وأن قيمتهـا رهينـة بمواقع أصحابها في السـلم الاجتماعي وليسـت رهينة بقيمة العلم والفكر عبر التاريخ.

العاشق والمعشوق

| د. مريم النعيمي - جامعة قطر

القــراءة هم عربي مــؤرق، إليه يُردّ اتجاهنـا القهقـرى فـي حلبة السـباق الحضاري المزدحـم بأمم قارئة، أدارت الأرض بتقنيتهـا المهيمنـة، وارتقـت إلـى الفضاء برؤاها الطامحة، لتبسـط سـلطانها على كواكب عديـدة بطاقاتها القرائيـة، تاركـة خلـف غبارهـا أمماً نبـذت القراءة وراء ظهرهـا، لتهبط بما جنت على نفسـها فـي دركات التخلف، ممعنة فـي الإعراض عن مصـدر الرقي والانصراف عن مدار النهوض الذي يمكن تلخيصه فـي أزمة مركزيـة كبرى هي أزمة علاقتها بالقراءة.

ولعل القـراءة في العصـر الحاضر أصدق معيار للتطور والرقي الحضاري والثقافي، وإحصـاءات معدلها مصدقة لذلك، فقد كشفت اليونسكو في بياناتها عن نسـبة مزرية لمقدار مقروء الإنسان العربي موازنة بنظيـره الغربي، حيث يُقـدر متوسـط مـا يقـرأه العربي في السـنة بسـت دقائق مقابل اثني عشـر ألـف دقيقة للغربـي! وطبيعي أن تتبع ذلـك إحصاءات أخـرى مرتبطـة بهذه النسبة المنحطة أكثر إزراء وانحطاطاً، كنسب النشر والترجمة والتوزيع للمادة المقروءة.

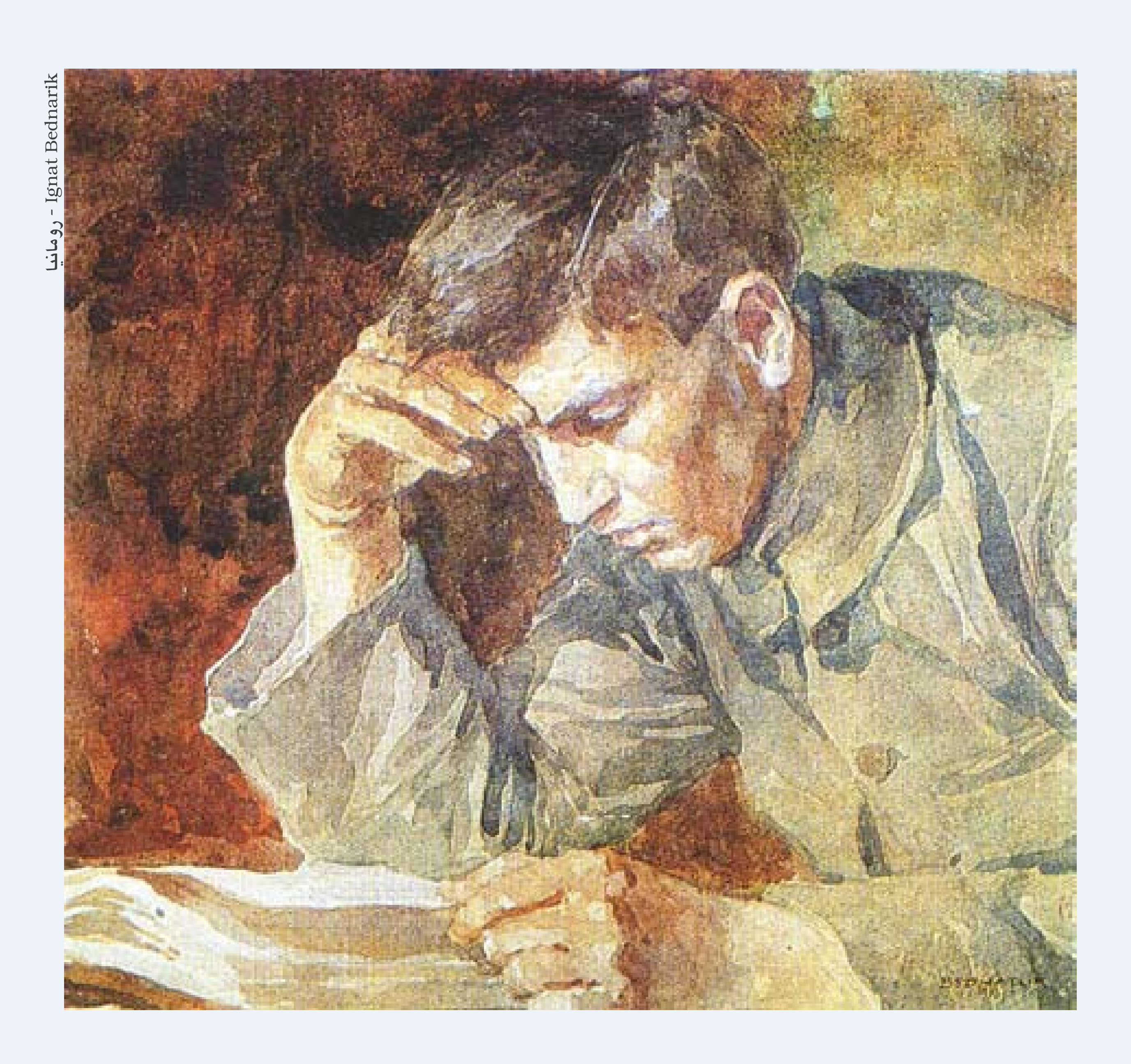
ولا شـك أن وراء هذه الأزمة بواعث بنيوية فـي التكوين الثقافـي والتفكير السـائد فـي المجتمعـات العربية، ولا يمكـن حصرها في عامل أحـادي، وإن كان المقروء نفسـه حامـلاً أوفر نصيب من هـذه البواعث المثبطة للنمو القرائي الثقافي في وطننا العربي.

إن القارئ يقوم بعملية شديدة التعقيد، متشـابكة الأدوار، متعـددة الأطراف، وحين تنسجم جهاتها الأساسية المكونة لها انسـجاماً تفاعلياً قائماً على الرغبة الذاتيـة والإرواء الفكري لظمأ الشـوق الروحي والاسـتجابة لحاجات ومطالب القارئ تكون ممارسـة إنسـانية راقية لمعنى من أجل معاني الحياة، وتحقيقاً لجوهر وجود البشر في أسمى دلالاته.

ولعل مكمن الخلل ومناط القصور في الأزمة القرائية لدينا راجع لاختلال شبكة العلاقات المؤسسة لنظام القراءة، فمتى كانت القراءة مجردة من الشـغف الذاتي والتوق الوجدانـي والارتباط الروحي، خالية من معنى إنسـاني نبيل، ضئيلة العائـدات والمنافـع المادية لم ينشـط إليهـا متحمس ولم يتحرك إليها مندفع، وانطلاقاً من هذا المنظور نسـتطيع أن نقول إن القراءة كحوار وجداني روحي ذي قطـوف ماديـة لم يبق مـن مجدها العربي الإسـلامي غير ذمـاء يحتضر، فـلا المكتبـات التي شـيدت في عصور أمة «اقرأ» الإسـلامية الزاهـرة تجد لها في عالمنـا العربي اليوم امتداداً، يحفظ لتراثها ألقـه، ويعيد إليـه مجده، ولا المقـروء المبدَع كان لـه من الحضور ما ينتسب لتلك الأيام المضيئة من تاريخنا العربي المجيد.

> العلاقة بين القارئ والمقروء تصل إلى مستوى من التلاحم يبلغ مرتبة الذوبان في وحدة وجودية

في النـص المقروء المبدع مغناطيس جذاب يأسـر قلب القارئ، ويملك عقله، لتتحـول العلاقة بيـن القـارئ المحب والمقـروء المعشـوق إلى مسـتوى من التلاحم والانسجام، يصل درجة الهيام، ويبلغ مرتبة الذوبان في وحدة وجودية أقرب إلـى ما يعـرف بوحـدة الوجود أو الحلـول لـدى الصوفية، ومـن أراد أن يفهـم هذه العلاقـة الروحية القائمة على العشـق المتأصل في الذات القارئة لمادتهـا المقـروءة يطالع حيـاة الأمم القارئة في مسـارح حياتهـا المتعددة، فهو واجد فيهـا من الارتباط بين القارئ العاشق وبين المقروء المحبوب ما يبهر لبه ويثير حاسة الاستغراب لديه، فلولا هـذا الارتباط الروحي لمـا كان المقروء لـدى الأمم القارئة الراقيـة حاضراً أمام عيون القراء في حلهم وترحالهم، فلا هم يصبـرون عن وصال النص المقروء في سفرهم وإقامتهم، وكأن القراءة سياحة يروّح فيها الإنسان عن نفسه في لحظات الخلوة، ويشـغل بها مواقيـت الفراغ، لتعمره نفحات الإشـراقات المتجلية من وراء السـطور، ويشـع نـور الحقائق الكونية في حياة هذا الإنسـان القارئ، ويتحول مـن مغرم بالمادة الحسـية إلـى محب للثقافـة بمفهومهـا المتكامل


Ignat Bednarik - رومانيا

الـذي يرقـى بالنفس إلى حيـاة مثلى، يمتـزج فيها الروحـي بالمـادي، وإذا كانت المراقـي الصوفية تمر بمراحل من الرياضات الروحية، تنتهي بالنفس إلى التوحد وفق الرؤية الفلسـفية الصوفية بيـن طرفين فـإن القارئ يعبُـر مدارج الرقـي نحو الاندماج بالنـص المقروء، يشـده الشـوق إلى نور الكلمة والتعلق بحقيقة المعاني الكامنة وراء السطور، وبقدر ما ينجح كُتاب الكلمة ومسـطرو النص المقروء في خلق مشوقات آسرة لوجدان القارئ جاذبة لعقله يتم اختصار المسافات حتى يقترب القارئ من النوبان الصوفي والفناء العشقي، في ذات النص المتجلية إشـراقاته في صور من السمو والرقي والتشويق، يحول عملية القراءة إلى فعل سحري، يصيب سويداء مرتاد مدارجها، ليتم تفاني القارئ في مقروئه والإمحـاء والنوبـان فيه وفـي النهاية تتحلى إشـراقات المقروء الساحرة في حياة الإنسان سمواً ورقياً.

مـا أحوجنـا إلـى تغيير فلسـفتنا القرائيـة وإعـادة التفكيـر فـي مادتنا المقروءة حتى نرتقي بالقارئ إلى درجة العشق الصوفي لمادته المقروءة، ولعل من أخصر السـبل إلى ذلـك إحياء روح الإبداع في نصوصنـا المقروءة، وبعث قيم الغنـاء والثراء فيهـا لخلق جوالب التشـويق حتى يرجع للقراءة وهجها، وتعود أمتنا إلى الريادة والقيادة قارئة كما كانت في عصورها الأولى، تبدع من المادة المقروءة ما يميل القلوب، ويأسر العقول، ويمهد الدروب لصناعة نسـخة من الثقافة والتقانة تضاهي منتوج الأمم الأخرى السـباقة في مضمار ركب النماء والتطور في عصرنا الحاضر.

لا أحد يحتسي القهوة الافتراضية

| جهاد بزي - بيروت

الشابة العشرينية الجالسة وحدها إلى طاولة مقهى الرصيف، تقرأ وتشرب من فنجان قهوتها ببطء ومتعة. هي ليست منفصلة تماماً عن مكانها. تعلم أنها مرئية. ملامح وجهها وخصلة شعرها التي ترفعها عن جبينها وألوان ثوبها الخريفي وخواتمها وأساورها. كل ما فيها مرئي، وهي، كما معظمنا، تريد أن تطمئن إلى أنها تترك انطباعاً ما عند الآخرين، ولو كانوا غرباء. تترك أثراً ما في عابرين لن ترى وجوههم.

غلاف الكتاب الذي تقرأه يدل إلى ما تريده لصورتها. ما تقرأه هو ما تكون. وإذ تقرأ في هذه في المساحة العامة، تفعل ما هو أبعد من القراءة. إنها تعلن عن هوية.. هويتها.

لنبدأ من هنا: من أنها إذا كانت تقرأ في كتاب إلكتروني، فقد خسرت الأمل الصغير اللطيف بأن يثني أحدهم، ولو بنظرة سريعة متبادلة على اختيارها، كتاب ميلان كونديرا، «خفة الكائن التي لا تحتمل».

غير أن الجهاز الذي يبذل جهداً كبيراً كي يكون كتاباً، يؤمن لها مزايا كثيرة أخرى. الجهد الذي ستقوم به لابتياع الكتاب بسيط، ويمكن كل عارف بأمور الإنترنت أن يقوم به في دقائق هي الفترة الكافية لدفع ثمنه وإنزاله من موقعه، ما لم يكن مجانياً، والمكتبة المفتوحة المواقع على الإنترنت تضم، حرفياً، ما لا يحصى من الكتب. والنسخة الالكترونية ستظل موجودة، بلا حجم، في مكانها، إلى الأبد، بانتظارها، لتعيدها إلى الشاشة متى شاءت لتقرأها من جديد.

القراءة الإلكترونية ستكون أسهل: حجم الخط الملائم. الترجمة الفورية للكلمات. كما إمكانية معرفة كل ما يتعلق بأي مكان، أو زمان، أو زي، أو حتى شخص، بمجرد نسخ الكلمة المنتقاة من النص ورميها في غوغل. هكذا، لن يبقى لقارئتنا المُتخيلة أي غامض في النص بين يديها. هنا إن لم تسحبها كلمة «براغ»، مثلاً، إلى الغرق في آلاف الصفحات والصور، والأفلام القصيرة، وكل ما قيل عن المدينة، وتاريخها.. حتى إذا ما عادت إلى حيث تركت الصفحة، باتت مرهقة وقد تشتت ذهنها، وشعرت بالاكتفاء من «القراءة» لهذا اليوم، مع أنها، على الأرجح لم تقرأ شيئاً.

بلا أي انتباه إلى الحنين، يذهب القارئ الإلكتروني إلى الهدف مباشرة: القراءة. هو لا يعير اهتماماً، (ولا يستطيع أصلاً) لكل تلك الطقوس والعادات التي يدمنها محبو الكتب. القراءة عند هؤلاء تبدأ قبل وقت كثير من الجلوس إلى المقعد وفتح الكتاب. تبدأ، ربما، من المشي على رصيف الشارع المفضل، والدخول إلى المكتبة، وبذل وقت طويل بين الكتب، حملها، وتقليبها بين اليدين، وتحسُّس أغلفتها وفلفشة أوراقها، وفي حالات كثيرة شم الرائحة الطازجة للكتاب الجديد. الاختبارات التي يخضعها كل واحد منا للكتب على طريقته هي جزء أساسي من متعة القراءة.. كذلك حيّزها في المكتبة، كذلك الملاحظات بالخط الصغير على أطراف الكتب. الصفحات المطوية في أعلاها لمن لديه مثل هذه العادات المكروهة عند آخرين. تكويمها في طبقات تضيق بها الغرف لتترك لدينا ذاك الشعور الغامض بالرضى عن أنفسنا لأننا قرأنا. نسيانها لسنوات، ثم تذكُّرها، وفَتْحها، والتفرُّج على كل ما فيها. ملاحظات الهوامش، وصل شراء غرض وضعناه هناك كي نعود إلى حيث انقطعنا عن القراءة، وصل يتبين أنه كان لقميص ما ربما، أو للعبة أطفال. إهمالها لسنوات، ثم فتحها من جديد على توقيع لشاعر كبير راحل على طبعة أولى. كتب أُهديت إلينا، وأخرى أهديناها. كتب أعرناها ولم ترجع إلينا. كتب ندمنا لأننا اشتريناها، لكننا، وبسبب ولعنا الغريب بالحنين على الأرجح، لا نرميها، كتب مفككة بسبب صمغها السيئ، كتب أنيقة بغلاف قاس وورق فخم. أخرى مجانية، ثالثة لم تفتح يوماً، إما لخوف من صعوبتها، وإما لأننا لم نتحمس لها. كتب ننتظر بشوق أن ينتبه إليها أطفالنا إذ يكبرون. كتب نشبهها وتشبهنا.

العالم الإلكتروني مُصِرّ على قتل الزمن. والوقت لا يمر على الكتاب الإلكتروني لأنه غير موجود حقاً. هو مجموعة من الإشارات الكهربائية التي يمكن استنساخها بعدد مرات



الولايات المتحدة - George F. Fishman

لانهائي. كما أن لا شكل حقيقياً لها: يمكنها أن تكبر وأن تصغر بحسب الشاشة المستخدمة. يمكننا استعادتها من مخبئها مئات المرات، ولن تصاب أطراف أوراقها بذاك الاهتراء الذي يترك لنا أثراً علينا. قد نستطيع وضع ملاحظاتنا بقلم إلكتروني عليها، وقد ندَّعي أننا طوينا أعلى الصفحات فيها، لكن هذه محاكاة. الكتب الالكترونية ستعيش معنا لعشرات السنين ربما، وننقلها من جهاز قراءة إلى آخر، ولن نرتبط بها وترتبط بنا بأي علاقة تُذكر. لن تكون لنا حقاً، وربما لن نشعر بأي خسارة، إذا محوناها عرضاً، لأننا قادرون على جلبها، هي نفسها، بلا أي عناء. هي موجودة، لكنها ليست موجودة تماماً، افتراضية على ما سمِّي كل شيء إلكتروني، لكنها تشق طريقها الافتراضي للسيطرة على سوق الكتب في الغرب على الأقل، والشرق سيلحق بالركب على عادته، وإن متأخراً.

إنها ليست مسألة قراءة فقط، بل أسلوب حياة. رفوف المكتبة في البيت، وفضول الاصدقاء، كما فضولنا في المقابل، في التفرج عليها، وفتح أحاديث حولها، والتعبير عن الود بالتخلي عن كتاب لكسب صديق، كل هذا لن يتم بين شاشتين، كما أن إهداء نسخة من كتاب الكتروني لن تعني شيئاً لأحد. كما أن معرض الكتب سيكون بلا جدوى، ولا كتب فيه، بل شاشات. ليست القراءة وحدها. إنها كل ما يحيط بها أيضاً، ولا يمكن خلقه افتراضياً.

قد لا يخسر الكتاب الورقي حربه مع الكتاب الإلكتروني لهذه الأسباب، ولغيرها. غير أنها حرب صعبة. يكفي أن صار هناك من يشاركه في اسمه الاول، وللتعريف عن الكتاب، بتنا بحاجة لتمييزه بأنه «ورقي». بتنا في عالم جديد.

الشابة العشرينية المتخيلة التي ابتدئ بها النص، جالسة في مقهى من ثلاثة أبعاد، وقهوتها ليست افتراضية. هي تحتسي قهوة طازجة ساخنة، وها هو الفنجان ينقلب بما بقي في قعره على كتابها. في الاحتمال الأول، الإلكتروني، ستحترق الآلة وتخسر الشابة ثمن الجهاز. لكن لا بأس. ستجلب واحداً جديداً وتنزل نسخة الكتاب، وتتابع من حيث توقفت. أو أنها ستمسح الجهاز بفوطة ويعود كما كان. كأن القهوة لم تسكب.

في الاحتمال الثاني، ستتبلل بضع صفحات من كتاب كونديرا الورقي بالسائل الأسود. تجفف الشابة الورق ما أمكنها، وتتابع القراءة. وبعد سنوات، بعد سنوات بعيدة، تسحب السيدة الأربعينية الكتاب من مكتبتها، وتقلب أوراقه، وحين ترى البقعة الباهتة للقهوة، تقرّب الكتاب من وجهها وتشمه. تعيدها الرائحة إلى مقهى الرصيف، تجفف أوراق كتابها، ورجل ما ينظر إليها، وعلى خدّها عذوبة البرودة الخفيفة لهواء المدينة الخريفي، يحتفل بشبابها.

جدل الكتابة والقراءة والتنظير

الجوع للواقع

د. صبري حافظ - جامعة قطر

نادرة هي الكتابات النظرية، أو التنظيرية التي تصل إلى قائمة أكثر الكتب مبيعاً وخاصة في بلد مثل أميركا مغرم بالسطحية والإثارة السريعة، ومعاد للتفكير الجاد والتنظير المعمق إلى حدّ ما، حيث تحولت فيه الضحالة إلى فن رفيع. فإضافة أميركا الأساسية للفكر الفلسفي هي البراجماتية، وهي أقصى ما يمكن توقعه من ثقافة «رعاة البقر» التي لايزال لقاموسها وقيمها ورؤاها سحره في المجتمع الأميركي حتى اليوم. أقول نادرة وليست غائبة، لأن ثمة كتب نظرية أو حاولت التنظير وصلت في أميركا إلى قائمة أكثر الكتب مبيعاً، بل وبقي بعضها على هذه القائمة لعدة شهور، وأحياناً أعوام. منها على سبيل المثال كتاب بول كينيدي Paul Kennedy «نشوء وسقوط القوى الكبرى The Rise and Fall of the Great Powers» ، 1989 الذي بقي على قائمة اكثر الكتب مبيعاً لأكثر من عامين عند نشره. والذي جاء في لحظة حرجة من الحرب الباردة، وقبل سقوط الاتحاد السوفياتي، يحذِّر أميركا بأن عليها أن تتصرف بسرعة، وإلا فإن إمبراطورتيها على وشك الانهيار.

ومنها كتاب (نهاية التاريخ The End of History and the Last Man) 1992 لفرانسيس فوكاياما Francis Fukuyama الذي بدأ كمقالة كتبها عام 1989 عقب سقوط الاتحاد السوفياتي، وحوَّلها إلى كتاب حظي بشعبية كبيرة، لأنه بدد هواجس نظرية كبرى أثارها كتاب كينيدي حول مستقبل أميركا، وهدهد الثقة الأميركية الرعناء بانتصارها في الحرب الباردة، وانفرادها بقيادة العالم. ومنها أيضاً كتاب صامويل هنتنغتون Samuel P. Huntington (صراع الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي Clash of Civilizations and the Remaking of World Order) الذي بدأ هو الآخر كمقالة عام 1993، بتكليف من أحد مراكز المحافظين الجدد البحثية، «المشروع الأميركي -Amer

المملكة المتحدة - Harold Knight

can Enterprise» في ندوة عن كتاب فوكوياما، ثم تطور ليصبح كتاباً من أوسع الكتب مبيعاً عام 1996.

لكن ما يجمع بين هذه الكتب التنظيرية ليس عمقها أو إضافاتها النظرية المهمة للفكر الإنساني، بأي حال من الأحوال. فباستثناء كتاب بول كينيدي، وهو باحث بريطاني وليس أميركياً، استقطبته جامعة ييل Yale الأميركية الشهيرة بسبب كتابه هذا ومنحته كرسي التاريخ والعلاقات الدولية فيها، فليس في الكتابين الباقيين ما يمكن اعتباره إضافة جادة للنظرية في مجاليهما، بل إن سيرة تأليف كل منهما والتي بدأت كمقالة ثم أدت غواية شغف الأميركيين بها إلى تحويلها إلى كتاب، تكشف لنا بعض أسرار ضعفهما. وكيف أنه لن يكون لأي منهما أهمية خارج فترة الصلاحية القصيرة. فنحن في مجتمع الوجبات القرائية السريعة، والتي تنتهي قدرتها على الإشباع عادة مع انتهاء فترة الرواج الافتراضي، وظهور كتاب جديد يستحوذ على الانتباه الذي يتسم هو الآخر بقصره الزمني.

على العكس من كتاب بول كينيدي الذي لايزال قابلاً للقراءة والجدل حتى الآن، ولا تزال كشوفه قادرة على التنبؤ بمصير أميركا الوشيك، برغم كل الجهود المضنية لتأخير هذا المصير وتأجيله. وإنما ما يجمعها، وربما يكشف لنا سرّ رواجها في الوقت نفسه، هو قدرتها على استخدام قدر من العمق والمنهجية والجدية لطرح مقولات تلمس الوتر الأميركي الجمعي الحساس، والذي يتمحور حول نرجسية أميركا، وحرصها على أن تكون الأقوى والأهم. وأهم من هذا كله قابلية تلك التنظيرات للتعميم السريع في أجهزة الإعلام، وإشباع الرغبة السريعة والوقتية للجدل الذي يفضي إلى طمأنة الأميركيين على وضعهم المتميز في العالم، أو يساعد صنّاع القرار على اتخاذ قرارات دولية مرغوبة أو على تسويقها في عالم يقاومها ولا يقتنع بها.

لذلك يبدو صعود كتاب نظري، أو

سحر القراءة في عالم تتسارع فيه الحركة، وتزداد فيه الرغبة في الكبسولات الصغيرة

تنظيري، مغاير لهذا السياق العام إلى قائمة أكثر الكتب مبيعاً في أواخر العام الماضي 2010 ثم وصوله إلي بريطانيا ليحظى برواج مماثل نسبياً فيها هذا العام 2011 من الأمور النادرة حقاً. لأن كتاب (الجوع للواقع: بيان Reality Hunger: A Manifesto) لدافيد شيلدز David Shields ليس كتاباً في السياسة وإنما يمكن اعتباره، تجاوزاً، كتاباً في النظرية الأدبية. بل إن بعض من كتب عنه قال عنه «إنه يمكن أن يكون الكتاب المحدد لجماليات مرحلة بدايات القرن الحادي والعشرين والتعريف الجامع لها». لذلك يلزمنا، وقبل التعرُّف إلى أطروحات هذا الكتاب الذي لا يطرح جماليات مرحلة بدايات القرن الجديد فحسب، وإنما يضيء لنا بعض جوانب سحر جدلية القراءة والكتابة في عالم تتسارع فيه الحركة، وتزداد فيه الرغبة في استهلاك الكبسولات الصغيرة المعلبة، أن نتعرف مسيرة كاتبه، أو بالأحرى أن نقدمه للقارئ العربي الذي غالباً لم يسمع به من قبل.

فقد بدأ دافيد شيلدز المولود في لوس أنجيلوس عام 1956 حياته كأي كاتب أميركي معاصر يتبع الطريقة الأميركية التقليدية المعتمدة. فدرس الأدب الإنكليزي والأميركي في إحدى الجامعات المرموقة (جامعة براون) وتخرج فيها عام 1978، ثم حصل على ماجستير من ورشة الكتابة الإبداعية بجامعة أيوا عام 1980، فقد أصبحت الكتابة الإبداعية منذ زمن في أميركا موضوعاً للدراسة الجامعية التي تساعد على اختصار طريق النجاح، وتجنيب الكاتب للطرق المسدودة التي لا تفضي لشيء ذي بال. ثم بدأ في كتابة روايته الأولى (أبطال) التي نشرت عام 1984، ثم نشر روايته الثانية (لغات ميتة) عام 1989 دون أن تلفت أي منهما الأنظار، ولكنه حينما اكتشف طريقة جديدة في الكتابة في روايته الثالثة (دليل عملي للغرق: رواية في قصص Handbook for Drowning: A Novel in Stories) عام 1992 والتي خرج فيها على طريقة الكتابة السردية التقليدية، واتخذ من «الكولاج» بين صيغ كتابية مختلفة، وانتهاك الحدود الفاصلة بين السرد والمقال والسيرة والمزج بين تلك الأجناس جميعها في توليفة جديدة، بدأ يلفت الأنظار.

وسرعان ما استجاب، بحسّ أميركي خالص، لاستجابة الجمهور لهذا التغيير فأمعن أكثر في الابتعاد عن السرد التقليدي في كتابه التالي (نائياً: تأملات عن الحياة في ظل شخص مشهور Remote: Reflections on Life in the Shadow of Celebrity) عام 1996، وأخذ في المزج بين تجربة واقعية، ووقائع وأحداث وتقارير صحفية حول عالم الرياضة ومشاهيرها في الولايات المتحدة الأميركية بطريقة تجمع بين التحقيق الصحفي، والسرد القصصي، والنص الوثائقي والتأملات الشعرية. ثم واصل نفس النهج في كتبه التالية حتى وصل كتابه الأخير، والسابق على الكتاب الذي نتناوله هنا، وهو (المؤكد عن الحياة هو أنك ستموت في يوم من الأيام The Thing About Life Is That One Day You'll Be Dead) عام 2008، إلى قائمة أكثر الكتب مبيعاً.

وربما كانت مسيرته الإبداعية تلك، والشغف بمعايير النجاح والتوزيع وهو شغف أو بالأحرى استحواذ أميركي، هي التي قادته لكتابة هذا الكتاب/ البيان (الجوع للواقع) الذي يوشك أن يكون منطلقه هو سؤال مضمر لابد وأنه طرحه على نفسه

كثيراً: لماذا نجحت كتبي الأخيرة، ولم تنجح رواياتي الأولى؟ لأن السؤال الذي ينطلق منه هذا الكتاب الغريب/ الفريد في شكله ومنطقة وبنيته هو: هل تستطيع الرواية، بصورتها التقليدية القديمة، أن تشبع جوع قارئ القرن الحادي والعشرين الجديد للواقع؟ أو بالأحرى ما شكل الرواية القادرة على إشباع هذا الجوع بعد أن تغيرت كل مواضعات اللعبة؟ لعبة الكتابة ولعبة القراءة والتلقي معاً. لأن الكتاب يعي أن الكتابة لعبة لها أصولها، وقواعد نشرها القانونية، ولذلك فقد قرر أن ينتهك قواعد تلك اللعبة ويحافظ عليها في الوقت نفسه، بأن يكتب كتاباً 70 % منه كتبها الآخرون، وليست له، ولكن دون أن يقع تحت طائلة دفع حقوق تأليف لأي منهم تحول دون استفادته هو المادية من الكتاب. بمعنى أنه يحرص على أن تكون مقتطفاته قصيرة نسبياً، قد لا يتجاوز أي منها الصفحة، ولكنها قد تقصر إلى حد عدة أسطر، ولكن تظل في حدود الفقرة الواحدة، حتى لا يقع تحت طائلة دفع أي حقوق تأليف لأصحابها.

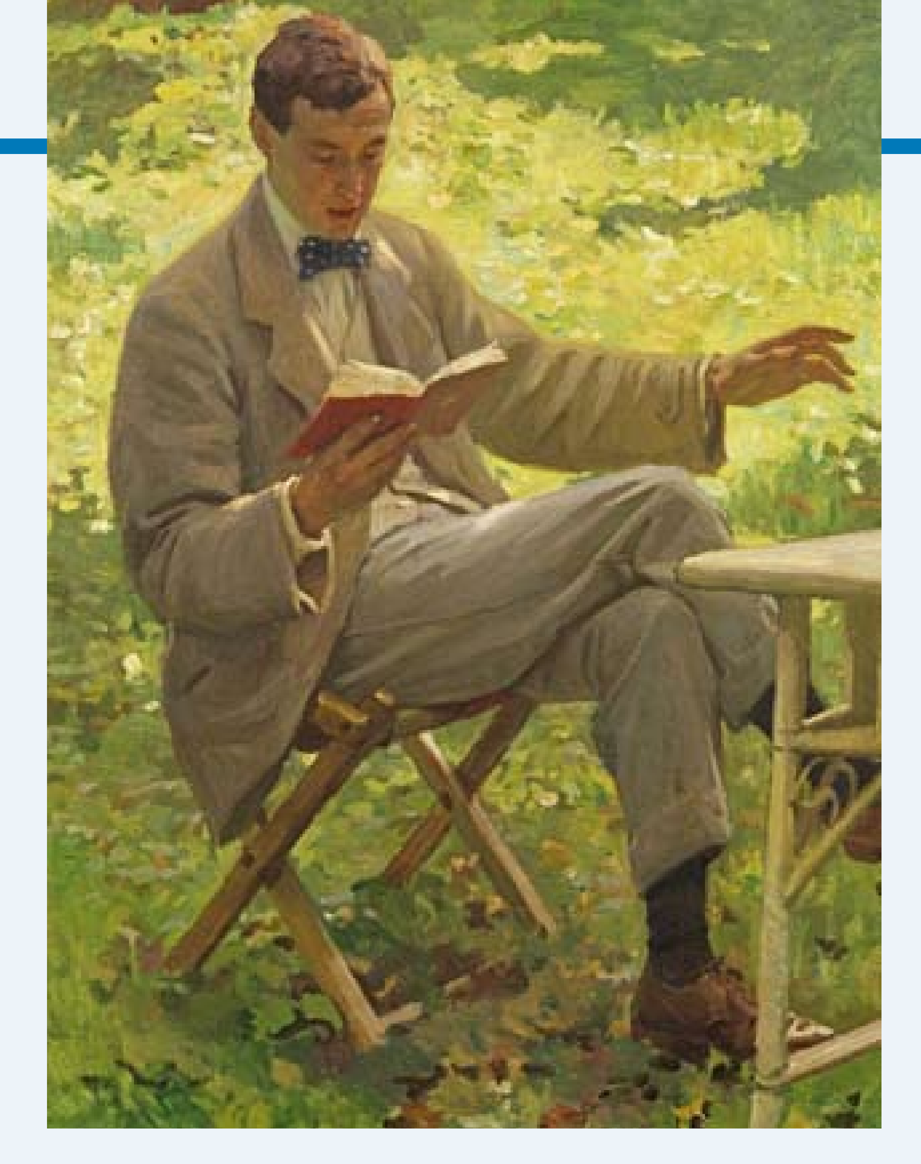
ومع ذلك فإن الكتاب، وهو منظم على مستويين: مستوى ترقيم المتن إلى فقرات، حيث يتكون الكتاب كله من 618 فقرة متفاوتة الطول، منها 415 فقرة لكتّاب آخرين وليست له. هذه الفقرات التي تشكل أكثر من ثلثي حجم الكتاب يقدم قائمة بها في نهاية الكتاب، وينسب كل فقرة لصاحبها، حسب الأصول. ثم يقترح على القارئ أن يقطع هذه الصفحات الأخيرة من الكتاب، وقد جعلها قابلة للقطع من الكتاب بتخريمه لها حتى يسهل قطعها، ويلقي بها بعيداً، ولا يعود إليها كي يستمتع بقراءة الكتاب، وكأنه عمل واحد متصل.

وقد كتب هذه الفقرات كتاب وشعراء ورسامون ومخرجون سينمائيون ومفكرون ومؤرخون ينتمون إلى فترة زمنية عريضة تمتد من المؤرخ اليوناني الروماني بلوتارخ حتى العصر الحديث، وإن كان أغلبهم من العصر الحديث بالطبع، ومن مختلف الجنسيات وإن غلب عليهم الأميركيون بالطبع أيضاً: فالكتاب يعج بأسماء كثيرة شهيرة، مثل إميرسون، وهيرمان ميلفيل، ولورنس شتيرن، وجوته، وفلوبير، وبورخيز، وثورو، وإيميلي ديكنسون، وجيفرسون، وت. س. إليوت، وعزرا باوند، وييتس، وجون كيتس، وميخائيل ليرمينتوف، وفيتزجيرالد، وجورج أورويل، وفيرجينيا وولف، وصول بيلو، وتوماس بينشون، ورالف إليسون، وأ. م. فورستر، ود. ه. لورانس، ودافيد ماميت، وجون فاولز، وف. س. بريتشيت، ومايكل مور، وبيكاسو، وفرانك أوهارا، ونابوكوف، ونايبول، وروبرت لويل، وجور فيدال، وإليزابيث باوين، وفريدريك بارثيلميو، ولورين آدامز، ومارك ويليس، وجون دآجاتا، ووليام جاس، وجوناثان رابان، وتشاك كلوسترمان، وفيفيان جورنيك، وكيفين كيلي، وتشارلز سيميك، وفيليب روث، وجيم بول، وجوف داير، وروبرت واينر، ووليام جيبسون، ودوروثي جالاهار، وجوناثان ليثام، وأوتو بريمينجر، وودي آلان، وورنر هيرزوج، وديبورا آيزنبرج، وألان روب جرييه، وجون كوتسيا، وبيتر بيلي، وغيرهم. وهناك أيضاً نقاد ومنظرون وفلاسفة من عينة نيتشه وكيركيجارد، وتوكفيل، ومونتاني، ورولان بارت، ووالتر بنيامين، وأدورنو، ورايموند ليامز، وليونيل تريلنج، ووالتر بيتر، وروبرت ماركوز، وجون راسكن، وفيكتور شكلوفسكي، وغيرهم.

أما المستوى الثاني لتنظيم الكتاب فهو تنظيمه في فصول، بعدد حروف الأبجدية أي 26 فصلاً. حيث أن الفصول مرقمة بالحروف حسب ترتيبها الأبجدي، ويحمل كل منها عنواناً يبدأ بفصل عنوانه «استهلال»، ولكنه يستخدم هذه المرة المفردة الخاصة به في الموسيقى Overture وليس أي من المفردات الخاصة به في الكتابة، وينتهي مع حرف Z بفصل معنون هو الآخر «خاتمة»، ولكن بالمصطلح الموسيقي أيضاً Coda، مما يوحي بحرص الكتاب على أن يوصل لقارئه أنه يقدم له معزوفة شارك فيها الكثيرون، كما ذكرت، ولم يقم المؤلف بغير دور المايسترو فيها. فما الذي يقدمه المؤلف في معزوفته تلك؟

من البداية لابد من الاعتراف بأننا بإزاء كتاب يستعصي على التلخيص والتصنيف، وربما أنه يستعصي على التلخيص بسبب استعصائه على التصنيف. فهو ليس دراسة أدبية، وإن به منها شيئاً، وليس نظرية أدبية وإن طرحت استقصاءاته حدوساً جمالية مهمة، وليس مجرد كتاب مقتطفات، وليس مقالة أدبية وإن كان يضمر بنيتها، لأن له بنيته وموضوعه الموحد. لكننا بإزاء كتاب يعي مؤلفه جدل المبنى والمعنى، ويدرك أن لشكل الكتاب نفسه محتواه الدلالي المهم الذي يعتمد على الكولاج والمزج بين الخطابات والأصوات ليخلق عبر الصوت الجمعي مصداقية مقولاته. وربما كان قدر كبير من سر غواية هذا الكتاب يعود إلى طريقة كتابته، وإلى هذا المزيج الشيق من «الكولاج» وهو من أبرز تقنيات الفن البصري المعاصر، وأحد فنون السينما المهمة، وهو فن «المونتاج» الذكي الذي أحال مقتطفاته العديدة من مئات الكتاب والمصادر إلى سرد شيق سلس يجذب القارئ في شبكته المغوية، ويخرج به عن جفاف التنظيرات الأدبية بالرغم من أن التنظير هو موضوعه الأساسي.

لكنه يعي أيضاً أنه ينظّر هنا للرواية، وهي أكثر الأجناس الأدبية رواجاً في العصر الحديث، ويريد لتنظيره لها أن يكون نفس رواج الفن الذي ينظّر له. وأنه ينظّر لواقع يتسم بالتشظي، فيجعل من التشظي نفسه بنية لكتابه ولتنظيره معاً. لكن أهم محتويات شكل هذا الكتاب المضمرة، واتخاذه من «الكولاج» و«المونتاج» أداتين لبناء نصه، هو الإعلان عن أن كلاً من الفن التشكيلي وفن السينما قد



سبقا فن الرواية في الاستجابة للجوع للواقع الذي يرى أن على الرواية أن تشبعه. فمن أهداف الكتاب المعلنة، لا المضمرة هذه المرة، أن يكون بياناً «مانيفيستو» كما يقول عنوانه عن حال الرواية في واقعنا المعاصر. ولذلك فإنه يبدأ بعد فصله الاستهلالي بفصل B عن «المحاكاة Mimesis» يكشف لنا فيه من خلال 29 فقرة أن أصل الكتابة منذ أقدم التواريخ هو الحكاية/ محاكاة الواقع، ولكنه يكشف لنا في الوقت نفسه أن أصل الرواية مع أنها أكثر الأشكال انطلاقاً من مبدأ الحكاية/ المحاكاة، هو التجديد والتملص من أي انصياع لقيود المحاكاة.

حيث يقدم لنا تعريف جون كوتسيا (كاتب جنوب إفريقيا الشهير والحائز على نوبل) لها «بأن كلمة رواية Nov-el كان لها أشد الدلالات غموضاً حينما دخلت للغات الأوروبية، إذ كانت تدل على نوع من الكتابة لا شكل له، ولا قواعد تحكمه، ويقوم باستمرار بصناعة قواعده عبر مسيرة تطوره». هنا يسعى كوتسيا لتقديم أحدث تعريفات الرواية في واحدة من أكثر نصوصه/ رواياته وعياً بروائيتها ومناقشة لفن الرواية نفسه (إليزابيث كوستيللو) بالزعم بأنه أقدمها، وبأنه جنس القواعد المفتوحة والمتحولة. لكن الكتاب يلمس أيضاً وتراً حساساً في مجتمع ما بعد الحداثة، ذلك الذي يقول عنه وين كويتنباوم في مراجعته للكتاب: «إن هذا هو الكتاب الذي يحتاجه مجتمعنا المريض حتى النخاع، الكتاب الذي يوجه له لكمة كهربائية صادمة كي يفيق».

وينطوي هذا الكولاج على هدف أساسي هو نقد الأنماط التقليدية في الأدب والفن، وانتهاك الحدود الصارمة التي تفصل بين الأجناس الأدبية المختلفة، وخاصة تلك الحدود بين السرد/ القص وغيره من الأجناس الأدبية. لأن شيلدز ينطلق من أنه يجد أن من المستحيل عليه شخصياً أن يقرأ رواية معاصرة تقدم نفسها دون وعي بروائيتها أو نصيتها، على أنها رواية، حيث لا يستطيع أن يفهم كيف يمكن لمثل هذا النص أن يعكس ما يعيشه الإنسان المعاصر. لذلك فإنه يدعو في كتابه هنا، عبر تلك الجوقة الكبيرة من الأصوات والتبريرات المختلفة إلى التخلي عن الشكل الروائي التقليدي بدعوى تكلّسه وعدم قدرته على الاستجابة لمتطلبات القارئ الحديث، أو بالأحرى عدم صلاحيته للتعبير عن حساسيته الأدبية، وعن جوعه الشديد للواقع، في زمن تهتز فيه رواسي هذا الواقع جميعها من تحت قدميه. فالجوع للواقع نابع من التضاؤل المستمر لخبرة الإنسان الحديث بالواقع، والذي جعلته الحياة المعاصرة يعيشه بسرعة وسطحية، ولا يجد الوقت الكافي ليسبر تجربته به، أو لتكون له خبرة حقيقية بتجلياته. وكأن استيعاب الفن لأجزاء متنامية من الواقع في نسيج الأعمال الفنية والأدبية هو تعويض ضروري عن نقص تلك الخبرة به. وكأن على الفن أن يوفر له ما حرمته الحياة منه.

فقد تحوَّل الشكل الروائي عنده إلى شكل اصطناعي بعد أن عرت الروايات المتتابعة كل استراتيجياته النصية للقارئ، ولم يعد ثمة جديد يشده فيه. خاصة وأن القارئ الحديث عنده قارئ كلبي ماكر تهكُّمي، أرهفت الوسائط الحديثة قدراته النقدية على السخرية من كل ما يراه. وزاده إيقاع الواقع وشره معاً إحساساً بالقلق وعدم الرضا عن كل ما حوله. لذلك يدعو إلى أن يستبدل الكاتب الجديد بالرواية التقليدية هذا المزيج «الكولاج» من المقالة الشعرية، وقصيدة النثر، وأمشاج السيرة، والمشهد الوثائقي، والتحقيق الصحفي، والتأملات. حتى يستطيع النص الجديد أن يستوعب غنى الواقع الجديد وتنوع إيقاعاته، وأهم من هذا كله تشظي بنيته في عصر مابعد الحداثة. كي تظل الرواية هي الفن القادر دوماً على التحول واستيعاب متغيرات الواقع.

وجبة من التوابل للقارئ العجول

الأكثر مبيعاً

علي النويشي

على الغلاف الأخير لكتب «ستيفن آر. كوفي» المؤلف الأميركي الشهير جملة تقول: بيعت أكثر من 20 مليون نسخة من كتبه وترجمت إلى 83 لغة مختلفة.

أما المؤلف دان براون وهو من مواليد 1964 وأشهر كتبه: شفرة دافنشي، ملائكة وشياطين، الرمز الضائع، الحصن الرقمي وقد حققت أعلى المبيعات في العالم، ووصفته مجلة تايم بأنه واحد من أكثر من 100 شخص أثروا في العالم سنة 2004.

والسؤال: ما هي الرواية الأكثر مبيعاً؟.. ولماذا تصبح كذلك؟

هل لأنها تقدم شكلاً أدبياً مميزاً، أم لأنها تحمل عناصر التشويق والإثارة لما فيها من كسر للتابوهات المعروفة في السياسة والدين والجنس.. أم لأنها كتبت بشكل جديد فيما يطلق عليه الآن الكتابة الجديدة.. أم أن هناك أسباباً أخرى وظروفاً مختلفة تؤدي لأن يصبح هذا الكتاب الأكثر مبيعاً؟.

في تاريخ الثقافات العالمية، لم يبع ناشر من الكتب مثلما باع الناشرون من روايات أجاثا كريستي عن الجريمة.. فمنذ بداياتها وحتى الآن طبعت مئات بل آلاف الطبعات وبيعت بالمليارات، لكن المفارقة أن المؤلفة نفسها قدمت خمس روايات بعيداً عن عالم الجريمة الذي اشتهرت به، وباسم مستعار، فلم توزع من هذه الروايات إلا أعداد قليلة.

« العراب » صاحب الرواية المنهلة للمؤلف ماريوبوزو التي كشفت عالم الجريمة السري، الذي كان يسيطر على حركة المال والاقتصاد والسلطة، بيع منها عشرات الملايين من النسخ.

وهناك روايات شديدة الرصانةتباع بشكل مستمر، وتصل في النهاية للأكثر مبيعاً مثل رواية «الغريب» لألبيركامو التي تحتل دائماً قائمة القصص الفرنسية.

ربما يكون عنصرا التشويق والإثارة الفكرية هما اللذان يدفعان بكتاب ما ليحتل قائمة الكتب الأكثر مبيعاً، بالإضافة إلى الخلفية التي يتمتع بها الكاتب، فالمعلومات والتفاصيل الكثيرة والعمق الذي لا يتنازل عنه الكاتب لحظة واحدة في كتاباته، كلها عوامل تجتمع في النهاية لتعطي مؤشراً واضحاً وصريحاً لاحترام الكاتب لعقلية قارئه.

فرواية « شيفرة دافنشي »، تعطيك انطباعاً بأن الكاتب لا يملي عليك رواية ولا يلقي إليك بأحداث، بل هو يطرح أسئلة، يطرحها كل قارئ معه.

ويقول براون: «لم أتوقع أبداً أن يستمتع كل هؤلاء الناس بقراءة الرواية، لقد كتبت هذا الكتاب في الأساس كمجموعة من الشخصيات المختلفة التي تحاول استكشاف أفكار، كنت أنا نفسي متشوقاً لاستكشافها».

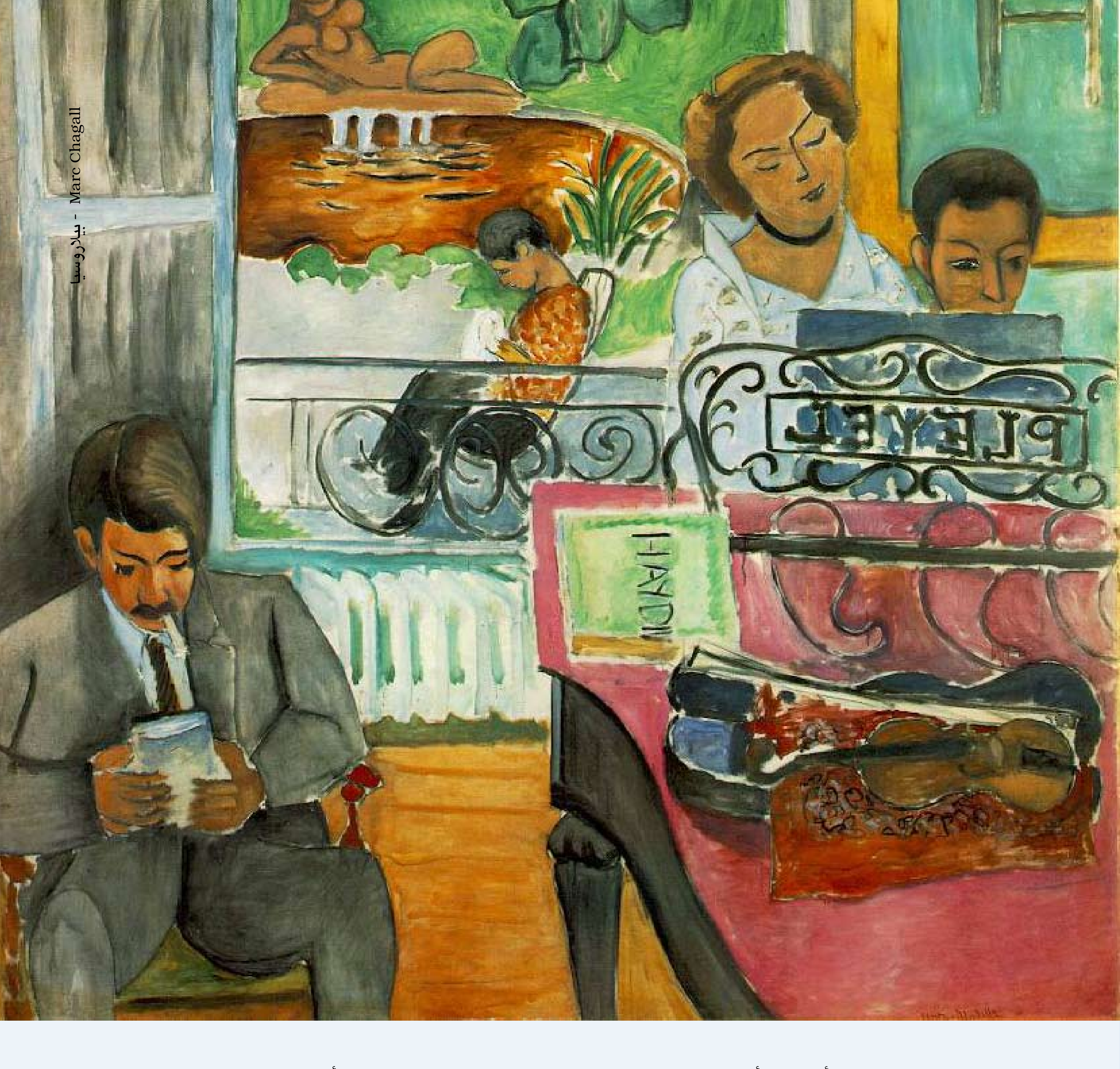
بل استطاع الكاتب بصدقه وعمق أفكاره أن يساهم في زلزلة كثير من الثوابت الأساسية في معتقدات المسيحيين أنفسهم.

والكتاب الذي يباع في أميركا ويحقق مبيعات أقل من 150 ألف نسخة لا يسمى الأكثر مبيعاً، لكن في عالمنا العربي الصورة مختلفة تماماً.. فالكتاب المطبوع لا يوزع أكثر من 3 آلاف نسخة، بل قد يوزعهم على سنوات.. ولا يوجد ما يسمى بالأكثر مبيعاً في عالمنا العربي، حتى لأكبر الكتاب وأكثرهم شهرة، ونجيب محفوظ نفسه لم يفز بالأكثر مبيعاً، وحسنين هيكل كذلك.

ولكن هناك قائمة «الأكثر مبيعاً» هي في الأساس «الأكثر شنوذاً»، فالعمل لا يوزع لقيمته، بل للظروف المحيطة به.. ولم يحظ الأدب العربي بتلك التسميات إلا في مرات قليلة: أولاها «المصادرة» والثانية: «كسر التابو». فعندما تم حظر نشر رواية «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ أنشأ الناشرون لها سوقاً رائجة للطباعة والتهريب وبيع منها ملايين النسخ.

وعندما تكسر الرواية ثالوث الجنس والدين والسياسة تحقق أعلى المبيعات، ومع ذلك فهي مازالت بعيدة عن قائمة الأكثر مبيعاً.

مرات قليلة فقط هي التي لمست فيها بعض من تلك الروايات حافة «الأكثر مبيعاً» فعندما نشرت رواية «وليمة لأعشاب البحر» للكاتب حيدر حيدر طبع منها ثلاثة آلاف نسخة وزع منها 1200



نسخة وخزنت بقية الأعداد إلى أن حدثت الأزمة وتمت مصادرة النسخ المطبوعة، وفي ساعات أصبح الكتاب الذي لم يجد من يقبل عليه قبل الأزمة بجنيهين يباع بمئة جنيه، وتسابقت دور النشر على طبعه في السر، وكانت الوليمة هي «الأكثر مبيعاً سراً»، بسبب المصادرة والضجة التي أثيرت من حولها.

أما الروايات الثلاث التي طبعتها هيئة قصور الثقافة بمصر عام 2001 وكانت تحمل عبارات إباحية، فقد قدم عضو الإخوان المسلمين بمجلس الشعب د. جمال حشمت طلب إحاطة للوزير ترتب عليه مصادرة الروايات وإقالة عدد من قيادات الوزارة على رأسهم علي أبوشادي رئيس الهيئة، وترتب على مصادرة الوليمة والروايات الثلاث أن احتلت قائمة الروايات الأكثر مبيعاً في القراءة العربية.

رواية «عمارة يعقوبيان» لعلاء الأسواني وطبعت عدة مرات في شهور قليلة وأصبحت من الروايات الأكثر مبيعاً لأن موضوعها كان فضح فساد المسؤولين الكبار.

أما رواية «عزازيل» ليوسف زيدان فهاجمت ثوابت في الفكر الديني المسيحي، وفجرت غضب الكنيسة والقراء لتقف في قمة البرج العاجي للروايات الأكثر مبيعاً، جنباً إلى جنب مع رواية «الخبز الحافي» لمحمد شكري.

ولكن لا يغيب عن الأذهان أن الكتب الأكثر مبيعاً في عالمنا العربي ينتمي أكثرها إلى نوع الكتب الدينية السلفية، وكتب الطبخ.. وكذلك الكتب المتخصصة في قراءة الكف.


René Magritte - بلجيكا

القارئة اللئيمة

| **هدى بركات** - برلين

قالت أمي: هذه البنت مريضة! وأجبرتني على ملازمة الفراش، ثم انصرفت إلى تجهيز أختيّ الصغيرتين للذهاب إلى المدرسة.

حين عادت إليّ وجلست على فراشي، راحت وقبل التحرّي عن حالتي الصحيّة، تؤكّد لي - أنا المجتهدة الخائفة من تبعات التغيّب - أو الخائفة دوماً من أيّ شيء - أنّ للمرض أحكاماً، وأنّي لا بدّ سأحصل على ملخَّصات ما فاتني، كالعادة كلما أقعدني التهاب اللوزتين في الفراش.

ثم راحت أمي، حين رأت أن لا شيء بي من عوارض ذلك الالتهاب، تسأل بقلق عن مكامن ألمي. ثم قررّت أن احمرار عينيّ إنما هو الدليل على إفراطي في الدرس ليلاً..رغم تحذيراتها المتكررة من عدم ثقتي بنفسي (أو ضعف شخصيتي وخوفي من المعلّمات...).

أعتقد أن هذا ما حصل. ذلك أني، وأنا في فراشي ذاك لم أكن أسمع ما تقول أمي. ولعلّي الآن، وأنا أسترجع صباح ذلك اليوم من ذاكرتي، أؤلّف ولا أتذكّر. ما أتذكّره هو حالة تشبه الذهول.. والحقيقة أني لا أجد لها حتى اليوم اللفظ الملائم أو الدقيق.

هل كان ذهولاً؟ أم غياباً؟ أم انتقالاً بالمعنى الصوفي للكلمة، ذلك المستعمل عادة في قواميس القدّيسين، هؤلاء الذين يغادرون أجسادهم إلى أمكنة «أخرى»؟ لا أذكر شيئاً عن ذلك الصباح بل أرجّح أو أتخيّل حكايته. ذلك أني، وأمي على فراشي، كنت قد غادرت البيت عند الفجر. وغادرت المدرسة أيضاً. الآن أعرف ذلك.

أحتار اليوم ولا أتذكّر كيف «سقطت» رواية «مولن الكبير» بين يديّ. كنت في الثانية عشرة. أعرف ذلك لارتباط عمري آنذاك بصفّي، وببدء اهتزاز خلاياي مع كل نسمة تمرّ بالعالم الصغير. لم تكن الرواية تلك من الكتب المصنّفة للتكميلي الثاني.

لا أعرف من أين أتيت بها؟ لا يعني هذا أنها كانت محظورة علينا. فقط لم تكن في مخصصّات الصفّ التكميلي الثاني من المكتبة المدرسية. لم يكن في الكتاب الأحمر الزوايا ما يمنع وصولي إليه بسهولة. لم يكن من النوع الذي تسعى الزميلات الجريئات، المتمرّدات على أعتاب المراهقة، إلى سرقته والمفاخرة بقراءته.. ذلك أيضاً لأني لم أكن جريئة متمرّدة في شيء. كنت شديدة الميل إلى الطاعة والامتثال أملاً بأن ينساني الآخرون.. كلّ الآخرين.

هكذا رحت اقرأ «مولن الكبير» دون حذر أو تحسّب أو ارتياب من أخطار ما.

وتابعت كمن ينزلق على فراش وثير. ليس من مقاطع جنسيّة أو إشارات مستفزّة من أي نوع كان. إنه عمل أدبي، على ما يصنّف واقعي - ريفي وفي أحيان أخرى رومنطيقي - شاعري. وليس فيه، في كلّ الأحوال أيّ كسر لمحظور. ولم تلق الرواية إثر صدورها - عام1913 - حفاوة تذكر. لكنها، وهي وحيدة كاتبها، بدأت تحقّق مبيعات معقولة بعيد مقتل واضعها ألان فورنييه الشاب في معارك الحرب الأولى..إلى أن انتشرت بملايين النسخ، واعتُبرت إحدى الروايات الفرنسية العشرة الأكثر أهمية والأكثر تأثيراً.

لكن هذا عرفته بعد سنوات عديدة...

وأنا لم أعد مرّة إلى قراءة «مولن الكبير» رغم أني اشتريت الكتاب مرّات عديدة. أضع النسخة في مكان بائن وأقول سأعود يوماً إلى قراءة هذه الرواية، ولا أفعل..ثم أنساها أو أضيّعها. لكني، وأنا أسترجع ليلة القراءة اليتيمة تلك، أستردّ إحساسي، طازجاً كاملاً، في فجر يبدو اليوم كأن مقطوعاً عمّا سبقه. وأخمّن أنه كان - بشكل ما -عتبة خروجي من العمر الطفل إلى غير رجعة.

كان إحساساً فيزيائياً بالتعطّل. يشبه الخوف، أو الذهول.لم يكن صدمة إعجاب، لا حزناً ولا فرحاً. أقرب إلى السقوط فجأة في مكان شديد الغرابة. أو كمن ينتقل من مكانه إلى مكان مجهول دون سفر، دون أن يرى الطريق ودون أن يتفقّد عقارب الساعة أو يتفرّج على المحطّات. هكذا - أيضاً - يصبح المكان الأول، بدوره مكاناً ضائعاً، يبعث على التوجّس وعلى الشعور الحادّ بالوحشة.. وعلى فقدان مفاتيح الإدراك السابقة.

لم أعد إلى قراءة «مولن الكبير» ولم أشاهد الفيلم المأخوذ عن الرواية رغم كل ما قرأت عن نجاحه في «نقل الرواية بإبداع أكيد». نسيت تماماً تفاصيل الحكاية وحبكتها السردية. مرّة واحدة أعدت قراءة الجملة الأخيرة فتأكّدت نهائياً أني لا أريد قراءة هذه الرواية. (ولا أقول إعادة قراءتها).

ربما لأني لا أريد كسر ذلك السحر، ربما لأني أخاف على «مولن الكبير» من القارئة اللئيمة التي صرت إليها، وأنا أتوجّس من محدوديّة «عبقرية» هذه الرواية...وربما لأني أحب كثيراً أن أحتفظ في قلبي بتلك الفتاة المريضة من القراءة ذات ليلة لم تنم فيها.

الليالي التي قرأت فيها ولم أنم تكرّرت في ما بعد كثيراً. قراءات هزّتني عميقاً وغيّرت وعيي لنفسي وللعالم، مثل «الغريب» ومثل «الساعة الخامسة والعشرون» ومثل «خان الخليلي» ومثل «هاملت» ومثل «الأيّام» ومثل «الرحل البلا صفات» ومثل «أحد عشر كوكباً» ومثل «أفول الأصنام» و...الكثير غيرها. لكني كنت دوماً أعود إلى هذه الكتب، أشرّع لها أبواب روحي وعقلي بقابلية وشهيّة من يستدعي النعمة..ثم برغبة وتأنّي المُريد، ثم بأناة وبحث التلميذ عن مكامن الجمال وأسرار صنعة الإبداع العجيبة... إلاّ «مولن الكبير». لن أعود إليها وسأحافظ بإصرار على نسيان ما في داخل دفّتيها. ذلك أن ما أحتفظ به من هذه الرواية هو ما يلزمني.

أوغستان مولن الذي - في السابعة عشرة - ويكبرني بخمسة أعوام سيصطحبني كما يفعل دائماً في متاهاته، في غبش المساء الخريفي البارد، إلى التيهان في غابات موحلة وفي أسرار وخيبات، حيث سنستمرّ في بحثنا عن البيت الجميل الذي لن نجده رغم أننا دخلناه وسمعنا فيه عزفاً جميلاً لن ننساه..

وفي كل مرّة أجلس إلى الكتابة يمرّ «مولن» على مقربة. وأحياناً يدقّ خفيفاً برؤوس الأصابع على زجاج نافذتي. ثم يغيب كالعادة. كعادته دائماً. يختفي...

هل كان تأثير هذه الرواية دافعاً، مفتاحاً للكتابة؟

الأرجح أنها كانت المفتاح الذي أقفل كل الأبواب الأخرى.

لعـل الكتــاب الأول في حياة الكاتــب مثل الحب الأول فــي حياة أي إنســان، والأولوية هنا لا تقاس بالسـبق الزمني، بـل بحجم التأثير، ســواء في نفس الكاتب أو وجدان المحب. ومن ثم أرى أن رواية «آسيا» للكاتب الروسي «إيفان تورجينيف» هي الكتاب الأول عاصف التأثير في حياتي كقارئ صار كاتباً، وكما أن للحب الأول عند العشاق غالباً حكاية استثنائية، فإن لهذا الكتاب عندي حكاية استثنائية.

تماماً كالحب الأول !

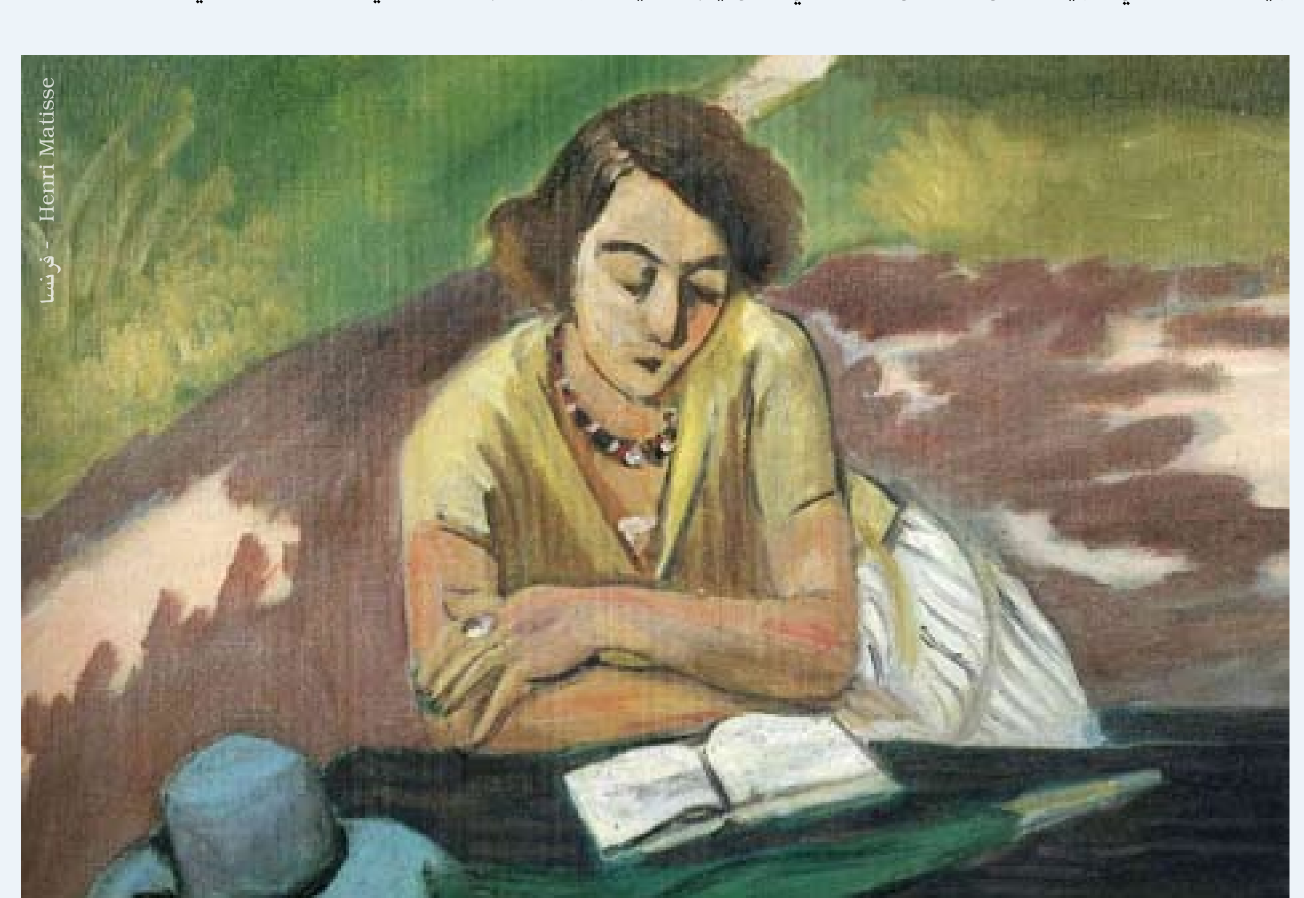
محمد المخزنجي - القاهرة

كنت في الصــف الثالث الإعدادي، في عمر الخامسة عشرة إلا قليلاً، ومنذ وقت أبكر من ذلك كنت ولــداً «من طبعتين»، طبعة وديعة ومتأملة يمثلها صبي هادئ صمـوت يقرأ قصص المكتبـة الخضراء ويحـب التمشـي طويــلاً على شــاطئ نيل المنصورة الجميل، ينسـج قصصاً للحب والترحال يعيشــها بخياله، وولد جِنّي، يخرج من القمقـم بعد عودته من المدرسة، ليشـتعل في الشوارع، عراك وركـض وعبث وضحك ومشاكسـات لا تنتهي حتى يهبط الليـل. والتحاقاً بهذه الطبعة الجنية كان الفتى الرياضي بطل المحافظة في الجمباز.

في فاصــل من فواصــل الولد الجني كنت في القاهرة أشــارك في منافسـات بطولــة الجمهورية المُقامــة على أرض نادي الجزيرة، أو مركز شباب الجزيرة، لا أتذكر بالضبط، لأنني بتحريض جِنّي ســحبت فريــق محافظتنــا وجعلت عدة فرق أخرى تلحق بنا، عندما لمحت سرباً من بنات رائعــات الجمال يمتطين رهطاً مــن الخيول البديعــة، ويتهادين بها في مضمار قريب، وهنا لا يمكن أن يكون إلا في نادي الجزيرة، آنئاك!

كادت المباريــات تتوقف عندما لاحظ المشــرفون على البطولــة حالة النزوح الجماعي هذه مــن الملاعب، وراح منيع المباريــات يصــرخ منادیــاً اللاعبين أن يعودوا وإلا تم شــطبهم مــن البطولة، ولم يشــطبونا على أية حــال، فقد عدنا سريعاً، لأن ســرب الفارسات الجميلات روعهــن الظهور المباغــت الصاخب لنا، فأطلقن العنان لخيولهن مبتعدات.

كنــا نعــود مــن مباريــات البطولة قــرب الغــروب، وكانــت «اللوكانــدة» التي يُنزلوننا بهــا في منطقة «العتبة»،



وهناك حدث أن الولد الجني تنحى للولد الحالم، حيث تكشّف لي كنز للكتب زهيدة الأسعار على «سور الأزبكية»، وجذبني مجلد عنوانه «آسيا، وجداول الربيع» تبينت أنه روايتان عن الحب لكاتب روسي اسمه تورجينيف، عباراته مرفرفة بأجنحة حب شفافة، وحوار المحبين فيه ينوب حناناً ورقة. وأتذكر أنني اشتريت هذا المجلد بـ «تلاتة تعريفه»، أي قرش ونصف !

في أماسي البطولات، يتوجب على اللاعبين أن يناموا مبكراً حتى يكون تركيزهم ولياقتهم في الذروة عند الأداء في النهارات التالية، لكنني في ذلك المساء وجدتني مشتبكاً مع رواية «آسيا»، وتسللت من غرف اللاعبين في الظلام بعيداً عن عيني المدرب ومشرفي الفريق، وانتحيت ركناً قصياً لم يطفئ أنواره في اللوكاندة قبعت فيه، ولم أنهض منه إلا قرب الفجر بعد الوصول إلى خاتمة الرواية التي عصفت بكياني الطالع، وما أن انسست تحت الأغطية حتى انفجرت في بكاء كنت أكتم نشيجه بمشقة بالغة، فقد كان بكاء حرقة قلب غض على حب بديع ضيعته كلمة لم يقلها المحب لمحبوبته، وكانت الجملة الختامية في هذه الرواية على لسان المحب المهجور كاوية تماماً، فالحبيبة سافرت مجروحة منه، ولم يفلح في العثور عليها برغم محاولاته المضنية للحاق بها، لم يعد يراها ولا يعرف حتى إن كانت على قيد الحياة، وكل ما بقي منها قصاصة ورق بخطها وزهرة جيرانيوم ظلت تفوح بشذى خفيف. أما الجملة الختامية على ما أذكر فقد شقت قلبي آنئاك، إذ يتساءل الكاتب الراوي عن يد الحبيبة التي أهدته الزهرة، أين تكون، «من يدري، لعلها حفنة تراب في زاوية من قبر مهجور»! فبكيتها بالدمع الثخين الكتيم حتى الصباح !

لقد وقعت في هوى تورجينيف بتلك البداية، وفي المباريات وقعت في خطأ جسيم بسبب قلة التركيز وأرق الليلة العاصفة، فمنيع البطولة وقد لاحظني على جهاز «الحلق» ممشوقاً في حركة «بالانس بالانش»، أي وقوف على اليدين الممسكتين بالحلقتين بأذرع مفتوحة، حتى أذاع في حماس: «أنا شايف لاعب ممتاز من إسكندرية في بالانس بالانش على الحلق» وما أن نطق بذلك حتى اندفع زملائي الخمسة في الفريق يصرخون في نفس واحد «المنصورة.. المنصورة»، ولعلي كنت أريد أن أنتصر لمدينتي مثلهم، فبدلاً من النزول البطيء من هذه الحركة الثابتة، نزلت نزولاً جنِّياً سريعاً في «جراند سيركل»، أي دورة هوائية واسعة، وكان أن انفلتت الحلقتان من قبضتي، وطرت في الهواء، وسقطت على رأسي في رمال «الفرشة» على الأرض فلم تنكسر رقبتي، وإن طارت مني البطولة. لكنني مكثت أحلق في أجواء تورجينيف حتى سنوات قليلة خلت.

قرأت لتورجينيف: الحب الأول، وأبناء وبنون، ورودين، وبيت النبلاء، ومكثت أتعقب كتاباته وسيرته على مدى سنوات امتدت عمراً من القراءة كان الأدب الروسي في مركزها بفضل هذا الكتاب الأول لتورجينيف. كانت كتابته متينة السبك والحبكات وذات نفس رومانسي قوي، جياشة العاطفة برغم واقعيتها دقيقة التقصي، وصار كل هذا نبراساً لي وطموحاً في الكتابة، وبرغم انتقالي مع الوقت من هذا المربع إلى مساحات مختلفة ومفتوحة ومغايرة فيما أظن، إلا أن عبق كتابة تورجينيف لم يغادر ذائقتي، ليس بمعنى المحاكاة المتوهمة أو المزعومة، فالكاتب الناشئ عندما يقرأ كاتباً كبيراً لا يكرره، بل يتخذه أداة سحرية ليفتح بها نوافذ روحه هو، ليطلق عصافير روحه هو، في سماء الإبداع، ومن هنا يحدث التشابه الملتبس، إلى أن ينتحي الكاتب الشاب ويأخذ اتجاهاً واضحاً لغصنه الخاص نحو شمسه الخاصة فيواصل النمو والإثمار.

لقد مكثت أتيه بتورجينيف حتى ثلاث سنوات مضت، خاصة وقد اكتشفت أن جنونه في الحب على أرض الواقع يشفع لجنونٍ مماثلٍ كان عندي، فتورجينيف كان مفتوناً بمحبوبة لم تكن له، تزوجت وهاجرت إلى باريس، فهجر حياته في روسيا ومضى في أثرها، سكن في البناية التي تسكن فيها، وكان لا يريد أي شيء منها، ولا حتى كلمة، فقد كان يكفيه أن يحس بها قريبة منه، وأن يراها صدفة بين الحين والحين، ولا أكثر !

ظل تورجينيف عندي أيقونة الكتابة الكلاسيكية العالمية، خاصة وقد تابعت كتابات نقدية تثبت أستاذيته لكتّاب فرنسيين كبار تأثروا به أثناء وجوده في باريس التي عاش فيها سنواته الأخيرة حتى رحيله، منهم فلوبير وزولا وموباسان. لكن مع قراءتي الجديدة لدوستويفسكي التي شملت سيرة حياته وسيرة كتاباته، وجدتني أرفع أيقونة تورجينيف لتحل بمكانها أيقونة دوستويفسكي، فقد كانا نموذجين مفترقين في الصميم، فتورجينيف يمثل أرستقراطية الكتابة بترف الحياة وتأنق النثر والتحليق السابح فوق سطح النوات البشرية، بينما دوستويفسكي يعبر عن الكدح النفسي والروحي في كتابة أعمق وحياة أشق وغوص بعيد في أعماق ظلمات الأرواح الإنسانية المتحرقة شوقاً لبصيص من النور يواسي عذاباتها، ولم يكن هذا كله يتيح لدوستويفسكي أناة الصياغة المتأنقة ولا إحكام البناء الروائي، ومع ذلك أراه الأعظم !

أتحيز لعظمة دوستويفسكي الآن في قراءة شاملة جديدة بدأتها منذ سنتين، بعد خبرة السنين والمعرفة المهنية بشيء من علم النفس والطب النفسي التي أرى أن دوستويفسكي كان رائداً فيها، ومكتشفاً لأغوار سحيقة لم يسبر غرائبها أحد مثله ولا قبله، وهذا يجعلني، بصراحة انقلابية، أخجل حالياً من رومانسية تورجينيف الأرستقراطية المتأنقة، وإن كنت أدين له بالفضل في حب الكتابة الجميلة حيثما كانت، ثم الانتقال إلى الانشداه بالكتابة الرهيبة عند دوستويفسكي، وإن ظلت لرواية تورجينيف «آسيا» مكانة الكتاب الأول، كما الحب الأول: قوة الذكرى !

القراءة في الستينيات

طارق الطيب – ڤيينا


Jean Baptiste - فرنسا

لا أتنكر متى بدأت القراءة، لعلي كنت في الخامسة حين أرسلني والدي قبل منتصف الستينيات إلى كُتّاب الشيخ علي في عين شمس بالقاهرة. لم يكن في ذاك الوقت أي حضانات للأطفال في حيّنا أو أي «كي جي» ممّا يوجد الآن. كانت خلفية المسجد في الدور الثاني حيث تصلي النساء هي كُتّابنا اليومي.

وأتنكر جيداً حين كان يأتي والدي للبيت حاملاً معه الجرائد المصرية اليومية: الأهرام أو الأخبار أو الجمهورية، ونادراً ما يأتي بجريدة المساء، إضافة إلى المجلات الأسبوعية مثل روز اليوسف والمصوّر وصباح الخير وآخر ساعة، أو الشهرية كالعربي أو منبر الإسلام. يخلع ملابسه ويستلقي على السرير فاتحاً الجريدة قارئاً إياها بامتداد ذراعيه العملاقتين في انتظار غداء «العصرية» المتأخر. كنت أرمي نفسي إلى جواره مقلداً شكله وطريقته، محاولاً أن أفتح الجريدة، الجريدة المصرية أيام الستينيات بحجمها الكبير، فلا أستطيع. أجاهد وأثني الجريدة على صفحة واحدة فأستطيع، ثم أبدأ في تقليده في القراءة بتحريك وجهي من اليمين لليسار، مزايداً عليه بإخراج أصوات غريبة كأنها نطق للمكتوب. كان يضحك فأضحك معه حتى ننام لتوقظنا أمي مخرجة إيانا من بين صفحات الجرائد التي تغطينا حتى نجتمع للغداء.

قبل الدخول للكتاب كنت ألمّ الحروف وأُلِم بها بصعوبة، لكني تمكنت من معرفة رسم اسمي ورسم اسم أبي، ولأن أبي كان قد جمع الروايات وجلّدها في مجموعات ورقّمها بتسلسل، اعتقدت جازماً أن أبي كاتب وأنه صاحب كل هذا الكمّ من الكتب. لم أكن أعرف أنه على غلاف كل كتاب توجد أسماء كتّابها. اكتفيت بالاسم الموجود على كعب كل مجلد بحروف ذهبية جميلة وأقنعت نفسي بأن أبي هو صاحب وكاتب كل

هذه المؤلفات بكل تأكيد، وعشت على أمل وأمنية أن أصير مثله يوماً من الأيام، بكتب مجلّدة ممهورة باسمي: طارق الطيب.

في السابعة كنت أجدت القراءة وأتذكر أنني أمسكت أحد هذه المجلدات واخترت رواية من بينها، لا أتذكر تماماً، ربما كانت «شجرة اللبلاب» لمحمد عبد الحليم عبد الله. ظللت ما يقارب الأسابيع الثلاثة أنحت في قراءة هذا الكتاب- الضخم على عمري- نهاراً وليلاً، حتى أنهيته. كنت سعيداً سعادة لا حدود لها أن أنهي رواية كاملة، فهذا فعل لا يفعله إلا الكبار. وقتها لم أفهم شيئاً من الرواية وتعطّلت مخيّلتي عن فهم الكثير من الجمل واستغلق عليّ الوصف، لكنني تابعت للنهاية في مارثون القراءة الذي نويته وأنجزت قراءة أول كتاب ضخم للغاية، ربما مائتي صفحة: «يا للهول!». ماذا كانت تحكي الرواية وما أحداثها، لم يهمني. كل ما أهمني هو معرفة اسم كاتبها وعنوانها وعدد صفحاتها، لأتحدث أمام أبي عن هذا الإنجاز غير المسبوق.

الجدير بالذكر أنه في فترة الخمسينيات والستينيات كان جهاز التليفزيون شيئاً نادراً ولم يدخل بيتنا إلا وأنا- تقريباً- عند العاشرة أو الثانية عشرة، وهذا ما جعل مجال القراءة لي متاحاً لوقت أطول. دخولي للمدرسة متأخراً لعام كامل لأسباب تتعلق بالميلاد جعلني أعود صاغراً لكُتّاب الشيخ علي وأعيد قراءة قصار السور وحفظ سور جديدة وتلاوتها، فأصبحت القراءة لي يسيرة جدًا والكتابة أيضاً، لذا صارت المدرسة الابتدائية في سنتها الأولى مُمِلّة للغاية. في اليوم الأول للمدرسة قرأت كتاب المطالعة كاملاً بعد أن استلمته من المدرسة. ثم قرأت كل قصص الناشئة التي كانت موجودة في ذلك الحين. كنت أتبادلها مع أقراني بسرعة خيالية وأحاول أن أتبادل مع أختي عزة الأكبر مني بسنتين وأستسمحها أن تستبدل قصتها مع

كنت سعيداً سعادة لا حدود لها حين أنهي رواية كاملة، فهذا فعل لا يفعله إلا الكبار

قريناتها لأقرأ أنا. كنت أحب القصص المصوّرة، ففي الكُتّاب لم تكن هناك «صور» بل فقط «سوَر»، وكان الشرح بالفعل تصويريًا وخلق خيالاً مهمًا فيما بعد، لكن الترهيب كان شديداً وحزمة الأخلاق التي نبتلعها يوميًا كانت أكثر ثقلاً على أعمارنا الصغيرة.

في المدرسة الابتدائية أعجبني في كتاب القراءة والمطالعة الصور الموجودة فيه، على الرغم من محتواه الذي بدا لي ضعيفاً، لم تهمني هذه السطور البسيطة جدًا: (عادل وسعاد في الحديقة- عادل يزرع الفول- سعاد تسقي الورد). كنت قد تعلمت كلمات أهم وجملاً أصعب وأستطيع شرحها، وسوراً أجمل أحب أن أشرحها مثل: «وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً».

فيما بعد كان أبي يأتي بمجلة العربي وبها ملحق منفصل اسمه «العربي الصغير» شغفت به. كنت أنتظر صدور العدد بفارغ الصبر لأقرأ العربي الصغير وأتصفح العربي «الكبير» مشاهداً الصور الملونة المصقولة الموجودة به وقراءة القليل لأكون مع الكبار.

مرة طلبت من والدي أن يأتي لي بمجلتي «سمير» و«ميكي» الأسبوعيتين للأطفال. وعدني بذلك في مقابل أن أنتظم في الصلاة. وافقت وكنت أصلي بالفعل. كنت أضاعف الصلوات حين أراه صاعداً للبيت، أهرع وأفرش السجادة فوراً في مكان مرئي له وأنكب في صلاة مظهرية جهورية لأبي الداخل فوراً للبيت. تماماً مثلما تعودت حين يدخل أبي بحلويات أو بفاكهتي المحببة، أن أتوقف فوراً عن الأكل بكلمة زاعقة: «الحمد لله!»، حتى لو كنا في بداية الأكل. أسرّت أمي لأبي أن يخفي الحلويات أو الفاكهة مستقبلاً حين يدخل حتى أتم طعامي، لكن هيهات، أنفي المدرب كان يساعدني على النطق الفوري السريع بـ «الحمد لله!»، وانتظار ملهوف مني حتى تنتهي العائلة من أكلها البطيء لأستمتع بالحلو والفاكهة.

أحببت حصة القراءة والمطالعة في السنوات التالية في المدرسة، بسبب تدريبي المبكر على القراءة وبفضل مساعدة جارنا في الدور الثاني، الدكتور عبد الغفار إبراهيم عميد كلية الحقوق فرع الخرطوم فيما بعد، الذي تعهدني بشرح الكثير من قواعد اللغة والنحو والاستماع لي في القراءة.

كانت موضوعات التعبير والإنشاء من أجمل ما أحب في المدرسة الابتدائية، خصوصاً أن أكتب في موضوع بنفسي أنا مؤلفه بالكامل.

أعتقد أننا كنا نقرأ كثيراً في ذاك الزمن، زمن الستينيات. كانت حوارات الكبار في صالونات البيوت تتناول موضوعات أكثر ثقافة. الرجال كانوا يحكون عادة في السياسة الداخلية وموضوعات عربية مصيرية مثل موضوع فلسطين وحرب اليمن ويعرجون على أحداث عالمية. كانوا يقرؤون جميعاً ويتواصلون بالأحاديث عمّا قرؤوا. كنت أسمع ولا أفهم كثيراً سوى الرئيس جمال عبد الناصر. موضوعات النساء في هذه الفترة كانت أكثر تشويقاً. قضيت طفولة سعيدة بين الموضوعات الخشنة والموضوعات الناعمة كلاهما شكّل وجداني ومصيري.

بكيت حتى قرأت!

| عبد العزيز الخاطر -قطر

بكيت كما بكى جيلي نكسة حزيران/يونيو 67، عندها لم أكن أتجاوز الثانية عشرة من عمري، شكلت لي تلك المرحلة وعياً جديداً بأهمية القراءة على المذياع، قبل هذه النكسة وأحياناً تسمى النكبة إيماء لفداحتها على الأمة، وكان المذياع هو مصدر التلقين الرئيسي وبالذات «صوت العرب» و«أحمد سعيد ومن بعده محمد عروق» الذي أصبح فيما بعد مديراً لها. كما كانت برامج مثل «أكاذيب تكشفها حقائق» ونداء الافتتاح الصباحي لكل العرب المصاحب بأغنية «أمجاد يا عرب أمجاد» لكارم محمود هي زادي الثقافي اليومي. كان المد القومي الناصري في أوجّه وكان خليجنا العربي الهادي يتلقى الإشارات من قلب الأمة العربية في القاهرة، والعزف على لحن القومية وأمجادها كان جميلاً في تلك الأيام، في قطر لم نكن نشعر بالاستعمار ولا نحس بوطأته، فلم يكن لبريطانيا سوى الشأن الخارجي، ولكن استطاع المد القومي يومها دمج المشاعر العربية بعضها ببعض حتى كنا نتظاهر من أجل الجزائر ونادي بعروبة «الأحواز» على الشاطئ المقابل في خليجنا العربي. كان صوت الزعيم عبدالناصر هو ثقافتنا ومصدر إلهامنا وتطلعاتنا للمستقبل. هنا هو النسق الثقافي السائد والذي عايشته في شبابي الأول «ثقافة الصوت الوطني». لا أستطيع هنا أن أعيب تلك الثقافة اليوم ولا ملكة الفكر لدى جيلي في تلك الأيام، فالعصر له خطابه وكانت تلك الثقافة خطاب ذلك العصر وتصور الحكمة عند النظر للماضي من بعيد تصور سانج لأنه طبيعي وفي سياق الطبيعة الإنسانية. بعد النكسة اختلف الوضع بالنسبة لي، فبقدر ما هي نكسة على الأمة كانت بالإضافة إلى ذلك صدمة بالنسبة لي، لم أعد أثق بالمذياع ولابالمنيع ولابالإذاعات العربية. من هنا بدا لي خيط آخر هو خيط القراءة والبحث في الورق عن الحقائق. كان أخي الأكبر «خالد»(1) يأتي بصحف من المملكة العربية السعودية التي كانت على ما أظن توزع مجاناً في قطر مثل صحيفتي «الندوة» و«البلاد»، لم تكونا صحيفتي رأي، بل كانتا عبارة عن صور وأخبار للنظام السعودي حينذاك أيام المغفور له الملك «فيصل»، ولكن أخي بعد ذلك أحدث تطوراً نوعياً في مطالعاته عندما أحضر كتاباً لأحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الأسبق واسمه «حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء العرب»، وهو من عدة أجزاء أذكر أنني قرأته كله بأجزائه الثلاثة على ما أعتقد، ثم أطلعني على كتاب آخر اسمه «الإسلام في وجه الزحف الأحمر» وثالث بعنوان «من هنا نعلم» وهما للشيخ محمد الغزالي رحمه الله.

بعد تلك الفترة حصل تحول نوعي في ذهني، لم أعد ببساطة المتلقي الصافي الذهن، بل بذهنية التأجيل حتى يتبين الأمر، أو الشك الإيجابي إذا أمكن التصور. وأذكر أنني كنت أشتري مجلة تصدر من الكويت اسمها على ما أذكر «صوت الخليج» ومحررها على ما أذكر يسمى «باقر خريبط» على الأقل أنا متأكد من الاسم الثاني وهي أسبوعية، كانت تنشر صوراً لنكسة العرب الكبرى في حينه ولكن بصور مقلوبة ومعنونة بالتالي «هذا ما فعلنا بإسرائيل» وهي مجموعة صور للدمار الذي أصيبت به إسرائيل وهو لا ينكر بما ألحقته بنا. الوعي بالقراءة لديّ جعل من ردة الفعل عندي بطيئة وليست فورية كما كانت أيام الاعتماد على المذياع ونبرة الصوت. بعد ذلك كنت حريصاً على إقتناء الصحف المصرية «آخر ساعة» و«المصور» بشكل أسبوعي، ولم يكن هناك بدّ من نقد الذات والبحث في أسباب الهزيمة، فكنت قارئاً نهماً لصحوة الشارع المصري من إغواء الإعلام الزائف، وكنت متابعاً لمحاكمة المشير عامر حتى انتحاره أو مقتله، كم يشار إليه بعد ذلك، وكنت محايثا لعودة عبد الناصر ولكن بأقل كارزماتية في النفس من ذي قبل مع كل الحب، ولكن موضوعية القراءة جعلت مني أميل إلى التصور مني إلى حماسة الخطاب وعاطفيته. لم تكن الدوحة ساعتئذ قبلة للصحافة ولا لدور النشر، اللهم سوى عدة مجلات مصرية ولبنانية أذكر منها الحوادث وكويتية وبعض الصحف العربية اليومية التي تصل متأخرة وتفقد بالتالي قيمتها الخبرية، وعيت كذلك من خلال القراءة بوجود ما يسمى معارضة، وبالخلاف السعودي -


إيمان مالكي - إيران

المصري قبل الأزمة وأسبابه، كل هذه الأمور لم تكن واضحة لي قبل القراءة بالشكل الموضوعي، كان خطاباً واحداً موجهاً نحو مواطن عاطفي أسرته الكاريزما وملك الحلم العربي كل جوانحه. بعد تلك الفترة رجعت أبحث عن كتب قيمة كان لها تأثير لم نشعر به نحن هنا في هذه المنطقة ساعتها مثل كتاب «معالم على الطريق» لسيد قطب.

علمتني النكسة أن لا أقرأ باتجاه واحد ولا أتخذ موقفاً من خلال كتاب واحد ولا حتى من كتابين، لم أطلع على الآخر المخالف ليتكون لديّ الرأي من وضوح الطرفين والحجتين، علمتني النكسة أن أقرأ مجتمعي قراءة نقدية لذا درست علم الاجتماع، علمتني النكسة أن أقرأ الأسباب لا النتائج، علمتني القراءة كذلك ألا أحكم على الأمور دائماً بالصح أو بالخطأ، علمتني القراءة أن هناك حكماً آخر هو الحكم الاجتهادي الذي يؤخذ فردياً كاجتهاد فلا نتقاتل والأمر لا يتعدى كونه اجتهاداً. بعدها أصبت بداء القراءة فكنت أقرأ حتى صفحة الوفيات والأفراح والمفقودين وأن أبدأ بالصفحة الأخيره قبل الأولى لإيماني بأن الأمور بخواتيمها. قرأت ما كان ممنوعاً في مدارسنا ساعتئذ مثل النظرية الماركسية ووجدت لو أنها تُركت لتقرأ لقل وربما اختفى بريقها. ماذا بعد.. هل أشكر النكسة التي جعلت مني قارئاً ومن ثم كاتباً وهل كان بكائي حينها بداية لمرحلة من الوعي الجديد بالرغم مما فيه من لوعة وألم. تعلمت أن أحترم التاريخ وشخوصه وأن أحكم عليه بظروفه. لقد كانت فترة مصيرية بالنسبة لي على الرغم من تكلفتها الكبيرة على الأمة فلذلك أنني ما أزال أعيش وخز الضمير الذي ربط تحول حياتي بجرح الأمة الكبير إلا أن التاريخ درس لمن يستلهمه في أي ساعة وتحت أي ظرف.

1: أخي خالد: نائب رئيس مجلس الشورى السابق

ما تبقى من الدار الكبيرة

| الحبيب السائح - الجزائر

أقـرّ أن كل مَن جـاءت بهم أقدارهم إلى الكتابة الأدبية غَووْا، في مراهقتهم خاصـة، تعلقوا بأكثر من كتاب قرأوه فـي مكتبـة المدرسـة الإكماليـة أو الثانوية.

أو أعارتهم إياه مكتبة عمومية وتلك كانت حالي مع «البؤساء» بترجمة منير البعلبكي، قبل أن أشتريه بعد سنين من ذلك، أو حصلوا عليه من صديق أو من أستاذ، أو سرقوه من مكتبة تجارية، أو اقتنوه من علـى رصيف أو من عند بائع كتب مستعملة، أو أشير عليهم به من جهة تنظيمية أو من شخص تابع لها كما كان الشأن بالنسبة إليّ يوم قدم لي أحد الأساتذة العراقيين من المتعاونين التقنيين، وكان شيوعياً، ما أعُده أهم كتاب نقلني إلى قلب الثورة البلشفية، إنه «عشرة أيام هزت العالم».

فَلِطريقـة كتابتـه المتأرجحـة بين السرد الصحافي وبين السرد الروائي، إلى حد التماهـي بينهما فيتحولان في ذهني شـريطاً أشاهد وقائعه كما على الشاشـة، بلغتُ درجةَ أن أتمثل نفسي جون ريد نفسـه الذي لم يكن فحسـب يحكـي، وعن بعد، وقائـع تلك الأيام التي حولـت العالم إلى قطبين، ولكنه يعيشـها في تفاصيلها لينقلها بكلمات الكاتـب وكاميرا السـينمائي وريشـة الفنان.

ذلـك مـا أدهشـني، إنه أسـلوب التداخـل بين سـرد الوثيقـة (مقالات الصحـف والمنشـورات والمراسـلات والصور) وبين سرد الشاهد اليومياتي الذي ينتهي إلى الأدبية.

وبرغـم أن الكتـاب ظـل خـارج التجنيس الروائي فإنه يكفي أن تُحنف منه المقدمـات والمؤخّرات ليظهر متْنه نصاً أدبياً، بامتياز!

الآن، وعلى بعد مسافة تقدر بحوالي قـرن من ذلـك، وفي ظل هـذا الحراك الذي يعرفه العالم العربي من الماء إلى الماء، أتسـاءل بأمـل: أيمكن للعبقرية العربيـة أن تبرهن أنٍ لها من الأفذاذ من يحفرون في رخامـة تاريخنا المعاصر هـذا التحول بكلمات سـتقرأها الأجيال القادمة بانبهار وإكبار؟

لعل «عشرة أيام هزت العالم» وفيلم المدمرة «بوتامكين» لمخرجه سيرغاي أنشتاين، ولاحقاً رواية «الأم» لمكسيم غوركي، هي مجتمعةً، كانت القبسـات الأولى التي سـتزرع فـي داخلي الحلم بأن أكتـب يومـاً عن فلاحـي الجزائر وعمالها وكان مشروع الخيار الاشتراكي قد بـدأ تنفيذه فـي سـبعينيات القرن الماضـي. ونظراً إلـى العلاقة الوثيقة جـداً بيـن الرواية وبين السـينما فإنه لا بـد من القول إن تأثير السـينما على جيلي (الجيل الثانـي من كتاب الرواية بالعربيـة في الجزائـر) كان له وقع لا يختلـف عن الرواية، بل كان أحد روافد ذلك التأثير في مسار التجربة كله.

خَصَصـت بالذكـر كتاب جـون ريد وفيلـم «بوتامكيـن» لتأثيـر خطابهما الفكري والجمالي، الذي سيتبلور عندي لاحقـاً خيـاراً أيديولوجياً، سـتدعمه الأدبيات الماركسية وكتابات الواقعية الاشـتراكية. وسـتصبح «البؤساء»، التـي كانت من قبـل أحد اكتشـافاتي لواقـع الفقر والظلم الاجتماعي والقمع والرذيلـة والفضيلة في فرنسـا القرن التاسع عشر خاصة، روايةً متجاوَزة إذ أقرأ، من مكتبة جامعة وهران، «الدار

باعتبارها رمز الحفاظ على الهوية والنسيج الأسري، برغم حالات اليأس التي كانت تبلغها تحت وطأة الفقر.

«الدار الكبيرة» هي التي ستسكنني أجواؤها أكثر من غيرها في الثلاثية نفسها أو في ما قرأته من حولها. وسيكون لتلك الأجواء انبعاثات في قصصي القصيرة، وفي بعض رواياتي امتداداتٌ رفيعة الخيوط من بناء مكانها المغلق الفضاء المفتوح الدلالات.

وكانت هي إذاً بؤرة هاجسي في القيم التاريخية التي صار يمكن لكتابتي أن تحمل بعضها. ومن ثمة، حدث الإغواء الذي تكون قد مارسته عليّ، دون أن أكون أدرك فعلاً أني مُغْوى بها.

لذلك، أعتبر أن هناك تضافراً تم، بفعل تقاطعات «البؤساء» و«عشرة أيام هزت العالم» و«الأم» مع «الدار الكبيرة»، لأجد نفسي يوماً دخلت، تحت تأثير ذلك كله بالتأكيد، في تجربة الكتابة الأدبية التي سيوجهها في البدء الوعي والالتزام السياسيان.

ثم، وبنضوج التجربة نفسها وتطورها وبتتالي الانكسارات النفسية والانهيارات الأيديولوجية، وعليه هدم بناء القناعات المكرسة، مع الحفاظ على ما يغذي الروح بالسخاء تجاه الإنسان والإنسانية، سيصبح بحثي عن الفضاء الخاص واللغة الجديدة والأسلوب المميز ومغامرة التجريب من بين أهم انشغالاتي لإضافة لمسة خاصة إلى شكل الرواية التي يوماً ما أغوتني. فصرت كأنما أنا ملزم بأن أقول ما كانت ستقوله «الدار الكبيرة» في زمني هذا، بعد أكثر من سبعين عاماً.

ذلك مني أهم تعبير عن الوفاء لعهد تلك الكتابة. وذلك ما يحاول بعضٌ من كتابتي اليوم أن يحاور به «الدار الكبيرة»، لأنها الرواية التي يوماً ما أغوتني.


Henri Matisse - فرنسا

الكبيرة» في نسختها الأصلية.

كانت، بحق، أول مفصل وأهمه، بالنسبة إليّ في ثلاثية محمد ديب، قبل أن أقرأها في ترجمة رائعة للأستاذ الكبير سامي الدروبي. فقد اكتشفت فيها، أدبياً وفنياً، واقع التفقير والتجويع والظلم والحرمان الاجتماعي والثقافي وكل أنواع الميز والفصل التي كانت المؤسسة الاستعمارية الفرنسية تمارسه ضد الجزائريين في المنتصف الأول من القرن العشرين.

فهي، «الدار الكبيرة»، التي كان لها عليّ التأثير السحري لعبقرية لغتها الفرنسية كيف تصور، خلافاً للفرنسية الأخرى، مقاومة الجزائريين الصامتة على بعد خمسة عشر عاماً من اندلاع حرب التحرير!

فشخصيات مثل الطفل عمر، الذي يكون شاهداً على ذلك الواقع المأسَوي فيعبّر لأمه في نهاية الرواية ببسمته عن أمل الخلاص الذي سيكون جيله هو من يحمل السلاح لتحقيقه. ومثل حميد السراج المعلم المثقف المناضل، أحد رموز الوعي الوطني. ومثل الأم للا عيني في خوض تجربة نضالها الشاقة المختلفة عن تجربة «أم» غوركي

تعلم كيف تقرأ

ثقافة القراءة وأولوية الكتاب

| د. صبري مسلم-نيويورك

تبدو تلك الكتب التي سبق أن اطلعت عليها في مراحل مختلفة من حياتي مثل إضمامة شموع متلألئة أضاءت عالمي، وكان لها الأثر الكبير في مسيرة حياتي الخاصة. وأذكر جيداً أن كتاباً استعرته من مكتبة إعدادية قضاء المسيب التابع لمحافظة بابل احتل مساحة مهمة من اهتمامي وأنا لم أكمل دراستي الإعدادية بعد، وعنوان هذا الكتاب «كيف تقرأ كتاباً؟» تأليف مورتايمر أدلر وجارلس فان دورين. وقد احتفظت في تلك الفترة المبكرة من حياتي بملخص للكتاب، وكنت أعود بين حين وآخر لهذا الملخص فأفيد منه كثيراً.

كان الكتاب مهتماً بالجانب التنظيري لفن القراءة والجانب الآخر التطبيقي أيضاً، لاسيما أنه يشير إشارة واضحة إلى أنك يمكن أن تتدرب على القراءة السريعة فتقرأ أربعة أضعاف ما تقرأه قبل التدريب على أن تستوعب ما تقرأه طبعاً. ويذكر الكتاب نماذج لمشاهير كانوا يقرأون في الدقيقة الواحدة ما يزيد على ست صفحات من القطع المتوسط ويستوعبونها. وإذا كنت ممن يستطيع أن يقرأ صفحة واحدة بالدقيقة الواحدة فيمكنك إذن أن تزيد قدرتك إلى أربع صفحات وربما أكثر بالدقيقة الواحدة دون أن تفقد الاستيعاب، بمعنى أنك في الأصل تستطيع أن تقرأ ما بين 220 - 250 كلمة في الدقيقة الواحدة، وبعد التدريب يمكن أن تقرأ مع الاستيعاب مابين 900 - 1000 كلمة في الدقيقة الواحدة. وقد جربت هذا بنفسي وتبين لي أنه صحيح تماماً.

ومما أذكره أيضاً أن هذا الكتاب يؤكد على مسألة التركيز في القراءة، فقراءة ساعة واحدة مع التركيز تعادل قراءة عشر ساعات بدون تركيز، بمعنى أن لا ينصرف اهتمام القارئ إلى سوى الكتاب الذي بين يديه، فهو بؤرة اهتمامه، وليس ثمة شيء آخر ينافسه. وإن كان بعض القراء ومع التدريب والممارسة يمكن أن يقرأ وينصرف تماماً إلى ما يقرأه دون أن يهمه المكان وإن كان يعج بالضجيج والضوضاء، في حين يحرص بعض القراء على الهدوء التام وربما على طقوس معينة أثناء القراءة كالموسيقى الهادئة أو أكواب الشاي والقهوة. مما يذكرنا بقول أبي الطيب المتنبي: لكل امرئ من دهره ما تعودا. وفي كل الأحوال يبرز دور الرغبة القوية في القراءة، فهي التي تشكل نقطة البدء، وهي مما يمكن أن يحفز القارئ نفسه عليها عن طريق تخيل ثمار النجاح.

ومن البديهي أن الكتب تختلف من حيث طبيعة المادة المقروءة، فقراءة رواية على سبيل المثال تختلف عن قراءة كتاب فلسفي أو تاريخي، وتبدو الفجوة أوسع حين يكون الكتاب علمياً كأن يكون في البيولوجيا أو الجيولوجيا أو الرياضيات. إذن فنحن أمام أنماط مختلفة من الكتب، كما أننا في الوقت نفسه أمام أنواع مختلفة من القراء أيضاً، فهناك القارئ العابر العارض الذي يهمه أن يزجي وقته وهو في باص أو قطار أو طائرة وربما في عيادة الطبيب ينتظر دوره. وثمة القارئ المتخصص الذي يعرف مايريده من الكتاب. وهناك الطالب الذي يهمه أن يؤدي امتحاناً في مادة كتاب ما. بيد أن ثمة خطأ عاماً يجمع بين هذه الحالات، فهم جميعاً يحتاجون إلى القراءة السريعة وذلك بالمرور السريع الخاطف فوق السطور من أجل أكبر كمية من المعلومات لتكوين الانطباع الأول عن هذا الكتاب ووضع اليد على المحاور المهمة فيه. ولا بأس بإشارات خفيفة بقلم الرصاص على هامش الكتاب إذا كنت تمتلكه، وفي سوى ذلك يفضل أن تكتب على ورقة منفصلة رؤوس نقاط مكثفة من وحي القراءة الأولى.

وتبقى القراءة من أجل الاستيعاب والقدرة على استرجاع مادته خطوة لاحقة. إذ يمكن أن يكتشف القارئ بعد القراءة السريعة الأولى أن هذا الكتاب لا يستحق أن يستمر في قراءته أو أنه

لا يدخل في دائرة اهتمامه، ولكنه قد يقتنع تماماً بأنه وجد ضالته في هذا الكتاب، إذن ينبغي أن يقرأه قراءة ثانية متأنية. وفي هذه الحالة لايستغني عن القلم والورقة حيث يثبت الأفكار الرئيسية للكتاب باختصار شديد مع الاستعانة بالأعداد 1 -2 - 3 أو الحروف أ- ب - ج.. وحين يعود القارئ للكتاب مرة أخرى يمكنه أن يقرأ ملخصه الذي أعده بنفسه ويكتفي به.

وثمة حقيقة أخرى مهمة في قراءة كتابك المنشود حين تقتنع بأنه مهم وأنه يمكن أن يضيف إليك جديداً وهي التكرار إذ ثبت أن التكرار من أشد أعداء النسيان، فإذا كررت الأفكار الرئيسية كل يوم فإنك لن تنساها ولا سيما في ساعات ما قبل النوم أو بعد أن تستيقظ مباشرة، وفي هذه الحالة تكون قد استعنت بما يسميه علماء النفس بـ(اللاشعور أو اللاوعي) ورسخت المعلومات التي كررتها بوعي منك لأهميتها. وهناك قاعدة مهمة أخرى في القراءة تستند إلى آلية الربط بين ماتقرأه في الكتاب الذي بين يديك وبين ما تعرفه أنت قبل قراءتك له، بمعنى أنك لا تدع معلومات الكتاب عائمة في فراغ وإنما هي امتداد لما تعرفه سابقاً، فيسهل عليك استيعابها. ومن الحقائق في هذا الشأن مسألة التعود على ساعات معينة للقراءة حتى أن بعض المؤلفين والكتاب حين يسافر يحس بالذنب لأنه لم يقرأ في الساعات التي اعتاد أن يقرأ فيها. وفي لقاء مع الكاتب العربي نجيب محفوظ ذكر أنه في بداياته كان عليه أن يقضي وقت القيلولة -المتاح له بعد ساعات الدوام في الوظيفة- إما في القراءة أو النوم، ولو أنه اختار أن يقضي قيلولته نائماً لما عرفنا كاتباً رائعاً مثل نجيب محفوظ.

ويؤكد الكتاب على ضرورة إشراك أكثر من حاسة في عملية التعلم ولاسيما في تعلم اللغات على سبيل المثال، أو حفظ النصوص التي تحب أن تستشهد بها عند الضرورة أو أن تحفظ القواعد أو الأسس التي في ضوئها تستطيع التطبيق. وفي هذه الحالة أن تقرأ هذه القواعد أو الأسس وأن تسمعها وأن تكتبها أيضاً أفضل من أن تقرأها فقط بمعنى أن لاتقتصر على حاسة البصر في عملية التلقي. ومن هذا المنطلق لا تخفى أهمية وسائل الإيضاح أو الوسائل التعليمية في عمليتي التعلم والتعليم كلتيهما، فهي مما لا يستغنى عنه.

ويبقى الكتاب مناراً ساطعاً ومعلماً فذاً على الرغم من منافسيه. ولعل أبرز منافسيه هذه الشبكة السحرية للمعلومات، وهي مما يمكن أن يؤازر الكتاب لا أن يلغيه إذ لا يمكن الاستغناء عن الكتاب ولا مناص من القراءة الجادة الهادفة، ولاسيما ذلك الكتاب الذي تحس بأنك شخص آخر بعد قراءته، وأنه أضاف إليك جديداً مؤثراً لايمكن أن تنساه ما حييت.



Pablo Picasso - إسبانيا

آلبرتو مانغويل
المهنة: قارئ

محسن العتيقي

في مكتبة «بيغماليون» ببيونس آيرس، كان المكفوف خورخي لويس بورخس رفقة والدته العجوز يقرّب الكتب من وجهه حتى يلامسها كما لو كان أنفه يستطيع أن يستنشق الكلمات. يذكر آلبرتو مانغويل أنه كان يعمل في هذه المكتبة بعد انتهاء المحاضرات، مكلفاً بترتيب ونفض الغبار عن الكتب، بل وسرقة ما أحب تملكه منها، ذات مرة سأله بورخس إن كان يقبل بأن يقرأ له. في كتابه «تاريخ القراءة» يبوح بأنه وافق دون أن يدرك الامتياز الذي حصل عليه: «عندما كنت أقرأ على بورخس لم أكن أشعر قط بأنني كنتُ أقوم بواجب ملقى عليّ، بل إن هذه التجربة كانت تبدو لي بمثابة الأسر السعيد». ممارسة أخرى إلى جانب القراءة لبورخس، كان مانغويل سارد أفلام، وفي المهمتين ابتلي بتعليقات لم يفارقه ظلها في معظم ما كتب. مانغويل كاتب مهنته الأساسية القراءة التي تلقى رواجاً في العديد من اللغات التي ترجمت إليها.

عاش بجوار كاتب عالي المخيلة، نفذت محصلته إلى ذاكرة عجيبة، لم يشتتها ركام الكتب، القراءة على بورخس رتبت كتباً جنب بعضها البعض في رف الكتب الوهمي الموجود في مخيلة مانغويل منذ الصبا، ومن غير انقطاع استمرت كاماسوتراه بين الكتب، حتى لنحسبه ماكينة قراءة تلتذ وتتداعى بين الرفوف. ومن إقامته في المكتبة موطنه الأرستقراطي، إلى سعة اطلاعه بيسر صداقاته الأدبية الواسعة، وجد مانغويل فجوة لنمط كتابة، غير مطروقة إلا لماماً، كتابته عن مكتبته اتخذت من القراءة موضوع تأليف موسوعي، يمزج فيه المخطوطات والنوادر القديمة، بتاريخ الأدب والفن، منفتحاً على مختلف بقاع المعرفة الإنسانية، بأسلوب متراوح بين سرد المقتطفات والموازنة بين أصحابها.

يروم مانغويل في تأليفه تنوق مؤلفات الماضي وتحيينها في مقابلات جدلية، فإذا جازت له فكرة كاتب يطابقها بمرونة مع أخرى، يقتاد المواقف إلى المفارقات والترادف، يتهكم بخفة على ما لا يوافق هواه ويترافع على ما يرغبه بتفتيش دقيق يسنده، مؤرخ مؤلفات، إذا جاز التعبير، تتراءى له الطبعات الأصلية من الحاملة لتقادم الزمن والمليئة بالأخطاء، والترجمات المزعجة، فلا يفوته النبش في المقروء لديه كلما دعت الضرورة التهكم أو إدانة المغشوش من الكتب: «وما كان بورخس لينزعج من مثل هذا الاعتبار: وهو الذي قال ذات يوم عن النسخة الإنكليزية لفاتيك Vathek، من تأليف بيكفور، باللغة الفرنسية، بأن الأصل كان غير وفي للترجمة». وباقتباس إيحائي مرتين في آن، يقتطف مانغويل ما يوافق هواه، فينهب تفكيره «إلى الأخلاقي المتزمت جوزيف جوبير الذي وصف شاتوبريان عادات المطالعة لديه: عندما يقرأ، يمزق من الكتب الصفحات التي لا تروق له، وهكذا أصبحت لديه مكتبة لاستخدامه الخاص».

أن تكون الكلمات على ورقة يعني أنها العالم. يذكر مانغويل في كتابه غابة المرآة: «يقول بورخس مستشهدا ببيت الشعر لدى تينيسون حول الزهرة في جدار متشقق بأنه ما من واقعة، مهما كان شأنها ضئيلاً، إلا وترتبط معها التاريخ الكوني»، يتمم مانغويل ما تعمده نقصاً مدسوساً بين قول بورخس واقتباسه، «ومن ثم تأتي مكتبة بابل الشهيرة التي يطلق عليها بعضهم اسم الكون». في سياقات أخرى يدفع مانغويل قراءاته، تارة نحو تجاوز المعهود من الشروحات: «نحن نقرأ ما نريد أن نقرأ، لا ما كتب المؤلف. في دون كيخوته، أنا لست مهتما، بشكل خاص، بعالم الفروسية، بل بأخلاق البطل، وفي علاقة الصداقة الغريبة مع سانشو»، وتارة أخرى يلقي القناعات في مضمار المواجهة محتفظاً بتفضيل شعري أو مذهبي لطرف على آخر مخطط له سلفاً: «يعتقد اللّاما أن كل عائق في طريقه سيُزال من تلقاء نفسه، بينما كيم يؤمن بأنه قادر على إزالته بنفسه، أو الدوران حوله. قرأت أمس في سيرة حياة ماكس برود أن كافكا كان يكره بلزاك، وقد انتبه مرّة إلى الشعار الذي نقشه بلزاك على عصاه: أنا أحطم كل عائق، عندئذ أضاف كافكا شعاره الخاص: كل عائق يحطمني».

يقصد مانغويل ما ينتقيه، أو يترك المصادفة للسياق بمراوغة تحيك

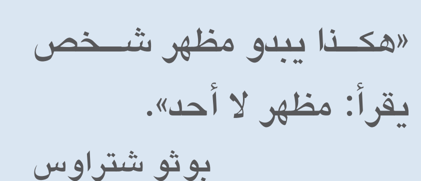
الكلمات والمقتطفات دون استطراد، يوجز بمكر خاطف ويُسلّط سمّ كتب بأكمالها بوخز متقون: «من الممكن إيجاد علاقة ماً بين البانجانة وجورج بوش، وعلى هذا الأساس يمكن بالتأكيد إيجاد علاقة بين حرب الخليج ورواية لبوتزاتي - يقصد صحراء التتر- قصة دروغو تروي أن شاباً يعين في القلعة في أطراف ما يدعى بسهوب التتر، يستحوذ عليه هاجس أن يبرهن نفسه جندياً في معركة مع تتر لا يظهرون أبداً. دورغو يؤمن أن التتر موجودون، وهم يشكلون تهديداً. إنه يحتاج أن يؤمن بوجود عدو. ما يحدث في رواية بوتزاتي يمكن تطبيقه على الواقع».

أسلوب مانغويل، في عمومه: توليد إشراقات معرفية وفضح ما بين السطور توأمان لتقنية واحدة، هي التنقل الفاخر بين الكتب والأسماء. تنقل، محسود عليه، يسترجع ويُحيّن، كما يؤصّل في غابة المرآة: « لقد أعلن ثورو، وهذا لافت للنظر، بأن الفعل القائم على المبادئ، والحصول على الحقوق وتطبيقها، من شأنه تعديل الأشياء والعلاقات. فالفعل هو في جوهره ثوري، ولا ينحصر كلياً بأي شيء كائناً ما كان، وهو لا يكتفي بشقّ الدول فحسب، بل هو يشق الأسرة. وحقيقة الأمر أنه يشق الفرد، فاصلاً في داخله الشيطاني عن الرحماني. وجيفارا الذي هو كما جميع المثقفين الأرجنتينيين في عصره، لابد أنه قرأ: (شق عصا الطاعة مدنيا)، كان على ما هو مفترض متفقاً مع هذه العبارة المحرّفة عن القديس متّى».

«طالما أعلنت بأن الغاية الدائمة للأدب هي عرض أقدارنا»، مقولة بورخس التي ما فتئ مانغويل يسوغها محرضاً قارئيه على القراءة في وصايا لا تنضب: «كلما اخترنا كتاباً لنقرأه في السرير، مساءً، نشق أيضاً طريقاً بين تنبؤات الفردوس ووعود الجحيم»، «اقرئي كي تحيا، رسالة غوستاف فلوبير» فاتحة مانغويل في كتابه «تاريخ القراءة»، «القراءة مثل التنفس، وظيفة حياتية أساسية». لكن القراءة كما يريدها مانغويل منهباً لفن العيش مقرونة عنده بالإيمان والثقة: إيمان بجهد طقوسي يشترط حس المتعة المراد بها، استعارةً، تحويل الكتان إلى خيطان من ذهب: ف«تساعدنا الكتب التي نقرؤها على تسمية الحجر والشجر، ولحظة الفرح أو القنوط، ولهاث من نحب أو صفير طائر، بإلقاء ضوء التجلي على شيء مرئي أو محسوس، وبمخاطبة أنفسنا قائلين هنا قلبنا موضع التأمل، وتلك أمواج مسحورة، وهذا هو الإنسان الحزين عند المساء». وأما الثقة فحرص وانتقاء: «كل قراءة فيها تخريب ومعاكسة للتلفيقات، ففي مثل هذه الحالات، تقدم القراءة لنا العون لصيانة الانسجام في قلب السديم، على ألا نثق في السطح البراق للكلمات، بل ننبش بحثاً في الأعماق. من الخطأ أن نعتبر القراءة نشاطاً قائماً على التلقي والاستقبال لا غير، على العكس: فمالارميه يقول بأن من واجب كل قارئ أن يعطي معنى أصفى وأنقى للكلمات».

لا تكاد صفحة واحدة من مؤلفات مانغويل تخلو من عشرات الكتاب والمقتطفات، إنه بطبيعة ما يسرده غربال كُتب. في «يوميات القراءة» و«غابة المرآة» و«تاريخ القراءة» تحديداً، تصلنا حكاية حب ولهاني بالمكتبة. آلبيرتو مانغويل يدرك أنه مروّج ميولات وزبدة مؤلفات حتى التخمة، ومهما تكن هذه الميولات، يبقى فضله المحمود تمجيد القراءة والتحريض عليها، وكتبه، بما تدخره من آلاف الكتّاب والكتب، يمكن وضعها على الطاولة دليلاً لا يخيب الباحث والقارئ معاً.





«هكذا يبدو مظهر شخص يقرأ: مظهر لا أحد».

بوتو شتراوس

قرأت حتى شُفيت

عبدالفتاح كيليطو

أحبّ القراءة في الفراش. عادة مكتسبة منذ الطفولة، لحظةَ اكتشاف «ألف ليلة وليلة».

كنت أرقد في غرفة جدّتي، على أريكة موضوعة أسفل سريرها. أثناء مرض من أمراضي - لا بد أنه كان من الخطورة كي تتأبّد ذكراه عند الأسرة - كنت على الدوام غائصاً في رقادٍ سُباتيّ. وفي اللحظات القليلة التي أستردّ فيها وعيي، أسمع أصوات الزائرات المستخبرات عن حالي. ما إن أدرك أني موضوع همسهنّ حتى أغوص ثانية في النوم.

عندما أخذت في التعافي، رفعن من صوتهنّ وتكلّمن عن هنا وذاك من الأشياء. لم أعد محور أحاديثهنّ. تكدّرتُ لذلك، فأخذت أتحسّر على المرض، لكن لا جدوى من التصنّع، كنت أعرف بالتجربة أن جدّتي لا تنخدع أبداً بأكاذيبي. وفي العمق، ما كنت بحاجة إلى المراوغة، فما زلت واهناً وانتكاسة قد تطرأ في كلّ لحظة.

في هذا الظرف جذب انتباهي كتابٌ موضوع بالقرب منّي، «ألف ليلة وليلة»، في طبعة بيروت، المسمّاة أيضاً بالكاثوليكية. ماذا كان يصنع في بيت لا يهتمّ فيه أحد بالأدب؟ من الذي جعله قريباً من أريكتي، في متناول يدي؟ من الظاهر أن إحدى الزائرات قد نسيته ولم ترجع لاسترداده، لذا ظلّ قرب فراشي طوال نقاهتي. كنت أجهل ذاك الوقت أن الفقرات الجنسية قد استُبعدت منه بعناية، لكن لم ينل ذلك من قوّة الحكايات وظلّ جانبها الفاضح كاملاً. وإلاّ لماذا انتابني شعور مبهم بأنه لا ينبغي لي أن أقرأه؟ إذا ما دخل شخص إلى الغرفة، أخفيه تحت الأغطية، لا سيّما إذا كان والدي. هكذا كنت إذاً أتصدى للقراءة، للأدب، تحت شارة المرض والإثم. ذلك كان الكتاب الأوّل الذي حاولت قراءته، الكتاب العربيّ الأوّل، الكتاب الأوّل بلا زيادة.

كنت أقرأ في الفراش، على ضوء النهار.. نقيض شهرزاد التي تروي في الليل وتسكت في الصباح. كنت بقطعي القراءة في المساء، أخالف إشارتها الضمنية وأعكس نظام الأشياء.

والحال أني بقدر ما كنت أقرأ ويمضي الوقت، تتحسّن حالي. وعندما بلغت الصفحة الأخيرة، شُفيت تماماً. وكأن للأدب فضيلة علاجية. فإن لم يكن يشفي أمراض البدن، فهو يسكّن آلام النفس، هذه إحدى ثيمات كتاب «الليالي». أميل إلى الظن أنني استعدت الصحة بفضل شفاعته؛ بفضلها هي أيضاً، الزائرة الغامضة التي نسيته عند رأس فراشي.

هنا كلّه مؤثّر للغاية، لكن شكوكاً تنبثق، مشوّشة صفاء اللوحة. أفعلاً قرأت هذا الكتاب في الطبعة البيروتية المهذّبة؟ يروق لي اعتقاد ذلك، الله يعلم لماذا، لكن ما حقيقة الأمر؟ لنذهب أبعد: أقرأته وأنا طفل؟ ربما أكون قد حاولت، وعندما فطنت لثرائه المبهظ، تخلّيت عن قراءته بعد بضع صفحات، بضعة سطور. الكتاب الأول؟ كم مرّة زعمتُ ذلك، لكن أليس ذلك لأنه بالعربية وأنني أشقى مجتهداً لأربط نفسي بما لست أدري من أصل؟

أما الزعم بأنني كنت مريضاً عندما اكتشفته، فذلك محض استيهام. استحضار ما لست أدري من مرض، استثارة الشفقة على الذات، استعادة رؤيتي طفلاً راقداً على أريكة تحت سرير جدّتي.. ألست منهمكاً في تزويق الأشياء موحياً بأن الحكايات قد استرجعت لي صحتي؟ مماثلاً نفسي من دون حقّ، بشهريار، الملك المجنون الذي شفته شهرزاد.. ومن ثمّ سيناريو تلك الزائرة الغامضة، القارئة الناسية للكتاب.. في الواقع، لا امرأة كانت تقرأ في ذلك الزمان في من حولي، ربّما آيات من القرآن، لا «الليالي» بالتأكيد.

أخيراً، الإيحاء بأني ببلوغ النهاية، قد شفيت تماماً.. هنا من جانبي اختلاقٌ مغرض. الواقع أنني لن أكون قد شُفيت، بل سأكون قد متّ. منذ ألفية من السنين، ألم يتردّد القول إنه لا تنبغي قراءة «الليالي»، أو أن لا يُقرأ سوى شطر منها؟ الذين لم يتبعوا هذه النصيحة دفعوا الثمن غالياً. فقد ثبت أنهم جُنّوا، أو وضعوا حدّاً لحياتهم، أو ماتوا من السأم، حرفياً. غاب عنّي هذا في ذلك الزمان، لكن لا بدّ كنت قد استشعرتُ غريزياً الخطر.

صفحات من رواية «أنبئوني بالرؤيا» الصادرة حديثًا عن دار الآداب. ترجمة: عبدالكبير الشرقاوي.

«أية مكتبة هي صورة عن العالم، لكنها صورة متفائلة». ألبرتو مانغويل «يوميات قارئ»



د. مرزوق بشير

ثقــافـة الانــدهــاش!

الدهشـــة ثقافة، أو على أقل تقدير نتــاج للثقافة، ولكل ثقافة مســببات لدهشتها، فالأمر الذي يدهش فرداً من ثقافة معينــة قد لا يدهش فرداً من ثقافة أخرى، إنّ الدهشـــة مثل الابتســامة والغضب والحــزن والفــرح، جميعها مخرجات إنســانية لمدخلات ثقافية واجتماعية. والدهشة أيضاً نعمة إلهية مثل البصر والشم واللمس والتنوق، فمن يفتقدها فإنه يفتقد إثارة الأســئلة، والأسئلة هي مقدمة للتعلم والمعرفة ومقدمة للتغيير والتقدم.

تحملنــا المقدمة الآنفــة إلى الحديث عــن الحاكم الذي لا يندهــش، ففي كل صبــاح ترفع إلى مكاتب رؤســاء الدول تقارير مخابرتية منتقاة، يصوغها أشــخاص مدربون على إبعاد ما يكدر صفو المسؤول ومزاجه، يقرأ الحاكم (هنا إذا كان مزاجــه رائقاً للقــراءة)، أو (إذا كان يفك الخط أصلاً)، يقــرأ أنّ أمور البــلاد والعباد على أفضل حــال، وتبدي له الإحصائيــات المفبركة والتحاليل المنمقــة والمفصلة على هواه أنّ شــؤون النــاس ومطالبهــا مُلبَّــاة، وأنّ وزراءه ومندوبيــه فــي الداخــل والخــارج يعرقــون ويجاهــدون ويصلــون الليل بالنهار من أجــل مصلحة وراحة المجتمع، فالتعليم منتظم، والمرور في حالة انســياب، والأسعار في متنــاول الجميع بفضل تعاون التجار وتضحياتهم للفقراء، والمستشفيات مجهزة بالكامل من أطباء وممرضين وأجهزة وأدوية، وتُســاوي مــا بين المرضى فــي المواعيد وغرف الاستشــفاء، والحالة الثقافية في قمــة عطائها وإبداعاتها، فهناك مهرجانات الأفلام الدولية، ومهرجانات المســرحيات العالمية، وعشرات الحفلات الموسيقية الكلاسيكية. ويقرأ الحاكم أن جميع أفراد شعبه يعملون، ولا بطالة بين شباب الأمة، ولا كهولها والجميع على مسافة واحدة.

هذا الحاكم لم يحاول لحظــة واحدة أن يتوقف ليندهش ويتساءل: هل هذه بلدي مثلاً أم المدينة المثالية لأفلاطون؟ لكن دهشــته تقع فقط عندمــا تصله أصوات شــعبه التي تنادي بإسقاطه، وإسقاط نظامه. هنا فقط يتساءل (وربما يكتشف متأخراً): هل أنّ ما تعرضه عليه أجهزة مخابراته، وتحاليــل خبرائه هي مجموعــة من الأكاذيــب والروايات المفبركة تبعده عن حقيقة الواقع، روايات تفرحه وتســليه وتطيب خاطره، ليعيش في عالمه المتخيل؟.

لا يندهش الحاكــم عندما يرفع له وزيــر التعليم تقريراً وردياً يشبه رســائل العشاق عن حال التعليم مدللاً بزيارة قام بها للمدرسة، هيّأها له المنافقون ليشاهد طابور الصباح المنتظم، والفصول التي مازال دهان جدرانها طريّاً، ومقاعد الطلبة التي جُددت على عجل، ومكيفاتها التي رُكّبت خلسة في الليلة الســابقة. ولأنّ وزير التعليم رجل سياسة وليس رجل تعليم فــإنّ قضية المناهج الدراســية وتطويرها هي آخر ما يفقه وما يناقش.

يختم تقريره إلى حاكمه بأنّ التعليم في أحســن حالاته وإنتاجه، الحاكم لا يندهش عندما يشــاهد قنواته المحلية، وصحافة بلده اليومية التي تسبِّح وتكبِّر بحمده، تستعرض مغادرته وقدومه ووداعه واســتقباله، والعناوين البارزة لإنجازاته ومكارمه، والأغاني الوطنية التي اســتبدلت اسم الوطن باســمه لكنه يندهش عندما يــذاع البيان الأول الذي يعلن رحيله وسقوطه.

خلاصة كل ذلك أننا في حاجة إلى ثقافة متقدمة ومتطورة في إدارة حكم الشــعوب، ثقافة تنظــم العلاقة العادلة بين الحاكم والمحكومين، وتقوم على الشفافية والصراحة دون خــوف أو تردد أو فزع مــن العواقب، ثقافة تثير الأســئلة وتتلقــى الإجابات عليها، ثقافة تســاير المتغيرات الكونية فــي كافة المجالات، ثقافة متفتحــة على كافة الثقافات غير مؤدلجة أو منحازة لقبيلة أو عشــيرة، ثقافة تتساوى فيها الفرص لجميع طوائف المجتمــع (دون تفرقة أو عنصرية) أمام القانون ويشــعر جميع أفــراد المجتمع بأنهم جزء من صنع قراراتهم ومصيرهم، وليسوا مدفوعين له دفعاً.

وأخيــراً وليس آخراً، نحن في حاجــة إلى ثقافة الحاكم الذي يتوقــف عند التقاريــر الصباحية التــي تعرض عليه ليبحــث فيها عن الأســئلة التي تقدم لهــا التقارير الإجابات الجاهــزة، وعليه أن يكــون في موقف المندهــش أكثر من موقف المتبلد.

نحن في حاجة إلى إعادة تأسيس ثقافة مختلفة تأتي من خلال إعادة النظر في مناهج وأساليب التعليم السائدة، هذا النــوع من التعليم النمطي الطارد للعقل والمنطق والوعي، تعليم لا يجهز تلاميذه للحوار الحرّ وقبول الآخر، والمطالبة بالحقوق الدســتورية والقانونية وانتقاد السلطة وتوجيه أدائهــا للصالــح العام، وعلينــا أن نعيد النظــر في ثقافة الإنتــاج الإعلامي، الــذي تحوّل إلى غــرف مغلقة على نفر قليلين، يحتكرون عقل الأمة ويتلاعبون به حســب أهوائهم وأمزجتهــم وما يخدم مصالحهــم الضيقة، نريد إعلاماً يعيد لنا ولحكامنا الدهشــة، تلك الحاسة السادســة التي فقدنا فعاليتها ودورها الهام في تقدم المجتمع.

توماس ترانسترومر

جغرافيا الشعر البعيدة

عبدالحق ميفراني

حينما تلقى الشاعر السويدي توماس ترانسترومر نبأ فوزه بجائزة نوبل للآداب هذه السنة، قال: «إنني شجرة قديمة ذات أوراق ذابلة، لكنها تبقى متشبثة ولا تسقط على الأرض»، هكذا جاءت عبارات الشاعر البالغ ثمانين عاماً، منهياً ما يقارب 40 عاماً لم يفز فيها أي سويدي بهذه الجائزة التي تظل محط أنظار الجميع رغم أن اسمه ظل مطروحاً في قائمة الترشيحات منذ 1993. وأوضحت الأكاديمية السويدية أن ترانسترومر حاز الجائزة «لأنه من خلال صور مركزة وواضحة، يعطينا منفذاً جديداً على الواقع. شاعر يتناول الموت والتاريخ والذاكرة التي تحدق بنا وتزيد من قيمتنا وأضافت الأكاديمية أن «غالبية دواوين ترانسترومر الشعرية تتسم بالإيجاز والوضوح والاستعارات المعبرة».

الشاعر في شبابه

يعتبر الشاعر السويدي ماغنوس وليان أولسون أن توماس ترانسترومر أصبح أكثر الشعراء السويديين شهرة وقراء في العالم بفضل «ميزة الخلق الصوري لديه». وقد ولد ترانسترمر سنة 1931 في «استوكهولم»، أبدى ولعه بالشعر والموسيقى باكراً خلال دراسته في الثانوية، في الثالثة والعشرين باشر بدراسة تاريخ الأديان وتاريخ الأدب وعلم النفس في جامعة استوكهولم التي تخرج فيها سنة 1956. بدأ كتابة الشعر وهو في الثالثة عشرة، ونشر أول مجموعة شعرية بعنوان «17 قصيدة» في سنة 1954، وله حالياً 15 كتاباً شعرياً، قبل أن ينشر شعره اشتهر كمترجم لشعر أندريه بريتون السوريالي.

وينتمي الشاعر السويدي ترانسترومر إلى جغرافية شعرية قصية، لم يصل منها إلى القارئ العربي إلا النزر القليل من الترجمات. وقد سبق أن قدم العراقيان إبراهيم عبدالملك وجاسم محمد ترجمة مهمة للشعر السويدي من خلال كتابهما «أنطولوجيا الشعر السويدي» من سبعينيات القرن الماضي حتى العقد الأول من الألفية الثالثة، إطلالة من حواف النهائي» صدر سنة 2009 بدعم من المجلس الأعلى للثقافة في السويد، مع تقديم للشاعر سليم بركات. وتختتم الأنطولوجيا بورقة للشاعر ماغنوس وليم أولسون تقارب الشعر السويدي من سبعينيات القرن الماضي حتى العقد الأول من الألفية الثالثة، وهي ورقة أساسية تقدم لقارئ الأنطولوجيا سمات أساسية حول مسارات تشكل القصيدة السويدية الحديثة والتي اعتبرها الشاعر العربي سليم بركات «قصائد على حافة النهائي».

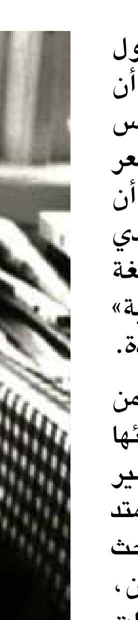
ويسعفنا هذا المتن المختار من القصائد في التعرف على «قصيدة»

ظلت توثق عزلتها بعيداً عن التداول النقدي العربي، لذلك يمكننا أن نستوعب دلالات «خاتمة» ماغنوس وليم أولسون في دراسته حول الشعر السويدي في سؤاله: «كيف لي أن أصف ماهية مركبة كالشعر السويدي لقارئ من المحتمل أنه لم يسمع اللغة السويدية أبداً؟»، هذه اللغة «النائية» المتحدة بعالم من التناقضات الشديدة.

ظلت القصيدة السويدية تعاني من عقدة الأخ الأصغر ارتباطاً بزملائها في أوروبا، رغم أن التاريخ يشير إلى تقليد أدبي اسكندنافي متميز تمتد جنوره إلى القرون الوسطى. لقد بحث الشعر السويدي والشعراء السويديون، يشير الشاعر أولسون، عن الذات في الخارج دائماً، في تقاليد ولغات أخرى. وفي نفس الآن، ناضل الشعراء السويديون للفكاك من تلك القبضة الأسلوبية الغربية لغوياً. وثمة أمثلة متفردة في هذا الباب كشاعر القرن 18 كارل ميكيائيل بيلمان أو إيريك يوهان شاغنيليوس في القرن 19، إذ بدأ منذ ذاك التاريخ في تجاوز إلزام المقفى/ «Slutrimm» (أحد فروع الشعر الأوروبية)، وبحكم افتقاد اللغة السويدية إلى القافية.

لهذه الاعتبارات، أتى الشعر الحر «كمحرر شعري» إلى السويد. يبدأ مع بيرلاغركفست (1891ـ 1974) وإيديت سودرغران (1902ـ 1923)، وهاري مارتنسون (1904ـ 1978)، وغونار ايكيلوف (1907ـ 1968)، ومع ظهور شعراء منهم إيريك ليندغرين (1910ـ 1968) وكارل فينبيرغ (1910ـ 1995) وروث هيلارب (1914ـ 2003) أمست الحداثة قاعدة واتسع توظيف الشعر الموزون على أساليب الكتابة.

في الخمسينيات حظيت تجربة الشاعر توماس ترانسترومر بحضور بارز وأصبح أكثر الشعراء السويديين شهرة وقراءة في العالم وكذلك بيرغتا تروتزيغ (1929) بقصائدها النثرية السوداوية.





ترانسترومر..قوة الصورة

في الستينيات، ولدت حركة كونكريتية، وعي جمالي وسياسي جديد، وهو امتداد لحركة السوريالية والدادئية وهو اتجاه في الشعر (وقبله في الفن التشكيلي والموسيقى) تتساوى فيه أهمية الترتيب التايبوغرافي للكلمات مع أهمية العناصر الشعرية الأخرى، لذلك سمي شعر الشكل/ Chape poetry أو شعر التصميم المرسوم/ Patterm poetry. هي حركة إبداعية أدلجت حدود الشعر الفاصلة بين الصورة والنص، بين الكلمة والصوت والفاصلة بين المسرح والشعر. لقد فتح شعراء جيل بنغت ايميل يونسون، سونيا أوكسون، إيريك بيكمان.. قيم الحداثة الشعرية في أوسع تجلياتها. الستينيات عرفت أيضاً، ظهور الشعر «البسيط الجديد» أدار ظهره لنخبوية الحداثة باحثاً عن ذاته في اليومي الشعبي إلى أن ظهرت تجربة الشاعر برونوك أوير بشعره الفوضوي المهووس بالصورة.

إذا كانت سنة 1975 تؤرخ لظهور مجلة «أزمة»، فإنها أسهمت في ظهور اسم شاعرة سويدية هي كاتارينا فروستنسون التي غيرت التقليد الشعري السويدي، ومع حلول ثمانينيات القرن الماضي انطلق العصر الذهبي للشعر السويدي. ظهر يوهان نوردبك بأدبه المجازي، أولف ايركسون بقصائده الحسية المجادلة فلسفياً، آن يادرلوند بحساسية بالغة لمستويات معاني اللغة، آرنه يونسون بشعره الحكمي المتدفق، كريستيان لوندبيرغ أحد أعضاء جماعة «زمرة مالمو» تنطلق أشعاره من بيئة مادية لتلج الأسئلة الوجودية الكبرى.

في منتصف التسعينيات تم تقديم ظاهرة المباريات الشعرية في السويد وتقوم فكرتها على شكل شعري شفوي وشعبي، يلقي أثناءها الشعراء قصائدهم لينالوا بعدها تقييماً من الجمهور. في العقد الأول من هذا القرن ظهر العديد من الشعراء المثيرين للاهتمام كآن هالستروم شعرها يبدو مستقلاً تماماً عن متناقضات المعرفة الشعرية، شاعرة أخرى، يني توندال شاعرة وناقدة أدبية أكثر شعراء الجيل الجديد إثارة للاهتمام ويمثلان معاً، إلى جانب الشاعر دافيد فكغرين مرحلة جديدة للشعر السويدي.

أحد آخـر الحوارات التي أجريت مع توماس ترانسـترومر، صاحب نوبل للآداب 2011، تعود إلى عام 2007، لمّا زارته الشاعرة والصّحافية السّـويدية جينـي موريلي في بيتـه وتحدّثت معه عن بعـض الجوانب الحميمة من يومياته، تجربته في الشعر ونظرته للحياة. وبما أن الشاعر يجد صعوبات في الكلام بعدما تعرّض لجلطة دماغية (1990) سـببت له شـللاً نصفياً فقد جلست بينهما زوجته مونيكا لتسرد هي أيضاً بعض ما تعرفه عن خصوصيات رجل عاشرته أكثر من نصف قرن.

حوار مع الشاعر عبر زوجته:

أرخبيل الشعر

| ترجمة - **سعيد خطيبي**

لمـا كنـت مقيمة فـي بيـت الكتّاب السّويديين صيف 2007 راودتني فكرة زيارة الشـاعر توماس ترانسـترومر، خصوصـاً لما علمت أنه يسـكن جزيرة قريبة مـن أرخبيل اسـتوكهولم. قررت أن أرسـل إليه أولاً مجموعتي الشعرية وأنتظر رداً منـه. اعتقدت في البدء أنها فكـرة غبيـة. فلـن يوليها شـاعر كبير اهتماماً. مع ذلك، فقد أرسـلتها وكتبت معها رسـالة أخبره فيها بمـدى تعلُّقي بنصوصه الشـعرية التي أحفظ بعضاً منها عن ظهر قلب. بعد بضعة أسـابيع وصلتني رسالة صوتية على الموبايل من طرف مونيكا ترانسترومر، تشكرني فيها على إرسـال الكتـاب وتطلب مني مهاتفتهـا. فقـد اطلـع تومـاس علـى بعض نصوصي وسـجّل حولها بعض الملاحظات الإيجابية.

ذات ظهيرة مشرقة من بداية الخريف ركنت دراجتي إلى جانب عمارة آجورية اللّون حيث يسـكن تومـاس ومونيكا. صعدت السـلم العتيـق والمظلم بعض الشـيء، ولما فتحت لـي مونيكا الباب أبهرنـي ضـوء النهـار المنعكس على سـقف البيت الأخضر. في نهاية الرواق كانت توجد قاعة الاستقبال حيث يجلس توماس ترانسـترومر علـى كنبة ممدداً ذراعه اليسرى المستند على عصا. يكوّر يـده اليمني علـى بطنـه وكأنها رأس عصفـور يتكـوّر حول غصن شـجرة. كانـت زهور الليـلاس المائلـة للزرقة تزيّـن شـرفة البيـت. توجهـت مونيكا إلى المطبخ وحضـرت لنا قهوة وقطع بسكويت وشكولاتة للبدء في الحوار.

● **تعرضـت لجلطة دماغية وأنت في سـن التاسـعة والخمسين. كيف عشـت تلك المرحلـة الصعبة، تلك الصدمة، ذلك الفقد؟**

- لا أخفـي حقيقـة أننـي قضيـت وقتها الأسـابيع الأولى في المستشـفى في ارتيـاح. (منذ تعرضـه لتلك الأزمة الصحية صار يجد صعوبات في الكلام. صار يسـتمع أكثر مما يتكلـم. مونيكا تسعده في إيصال ما يريد قوله).

● **عشت مرحلة جدّ قاسية. صارت الموسـيقى رفيقك الوحيـد. تعلّمت العزف علـى البيانو باليد اليسـرى بعدما شلّت اليمنى.**

- أعتقد أن شـخصاً يستطيع التأقلم مع مثل هذه الوضعية العسيرة يستحق كثيراً من التقدير. تقول مونيكا

● **كما تواصل اليوم الكتابة باليد اليسرى. وتقرأ أيضاً؟**

- نصوصه أخذت توجهات جديدة بعد تلك المرحلة. تضيـف مونيكا (توماس يحرّك رأسه إيجاباً. ويضع يده اليمنى أو رأس العصفور على فخذه)

● **كيـف اسـتطاع العـودة إلـى الكتابة بعد شلل اليد اليمنى؟**

- لم يكن الأمر سهلاً في الأيام الأولى. فقد توجب عليه المثابرة لتعلم استخدام اليد اليسرى.

في السـابق لـم تكن مونيكا تشـكّل جزءاً من عمل الشـاعر. لـم تكن تتخيّل أنهـا سـتطّلع يومـاً ما علـى هوامش وملاحظـات الشـاعر تومـاس. ولكنها اليوم صـارت جزءاً من مسـار الكتابة. فهي تسـاعد زوجها في كتابة النصوص وفي رقنهـا. ثم يطّلع عليها في الختام، ويـدرج عليهـا التغييـرات قبـل بلوغ النسخة النهائية الموجهة للنشر.

● **عملت سنوات طويلة كمختص في علم النفس. كيف كنت تجد الوقت للكتابة؟**

- إنها مسـألة روتين. خصوصاً لما ننخـرط في عجلة الكتابـة. كنت أقضي وقتاً طويلاً مع المراسـلات، السفريات والاطلاع على مخطوطات الآخرين. لكن لم أكن أفرط في القراءات اليومية. وبما أنني أعيش في جزيرة فإنني أجد كثيراً من وقت الفراغ.

● **مونيـكا، مـاذا يعنـي لك أن تكوني زوجة شاعر؟**

- إنـه شـعور اسـتثنائي وشـيء مختلـف. تزوّجت من توماس في سـنّ التاسـعة عشـر، بينمـا كان هـو يبلغ السـابعة والعشـرين. باعتقـادي إن سـؤالك يمكن أعيد طرحه بالقول: كيف يمكننـا العيش مـع فنـان عندما نكون قادمين من خارج الفن؟

● **نعم**

- باعتقـادي إن الشـرط الأهم يتمثل



فقد الكلام يعني فقد القدرة على الإختباء

في الاحترام المتبادل. مما يوفر للطرف الآخر هامش الحرية الذي يسمح له بمواصلة الإبداع.

● كيف تعرَّف كل منكما بالآخر؟ ومتى حصل ذلك؟

- صديق مشترك جمع بيننا يوماً صدفة، في ستوكهولم العتيقة. حدث ذلك عام 1957 وتزوجنا في 1958.

● هل لواحدة من ابنتيكما ميول فنية؟

- كلتاهما تمتلكان ميولاً فنية ورغبة في التّعبير. البنت الكبرى تفكر في ولوج عالم الغناء، أما الصغرى فقد صارت ممرضة مواصلة، في الوقت نفسه، تمارس هوايتها في التصوير الفوتوغرافي.

● ماذا برأيك سنخسر من فقد القدرة على الكلام؟

- أن نفقد الكلام يعني فقد القدرة على الاختفاء وراءه. ولكن من الممكن أن نضيف شيئاً مهماً هو أن توماس كسب في حالته مع فقد الكلام علاقة وطيدة مع الموسيقى. فهو ما يزال يشعر بالحرية مادامت يده اليمنى، عيناه ودماغه ينشطون بشكل طبيعي. فهو يقضي وقتاً طويلاً في العزف على البيانو.

(لما يعزف توماس على البيانو أظل منصتة إليه. تتحرك يده اليسرى بيسر على اللوح. يعزف مقاطعاً للفنان رينو غليار. أدركت بفضله أنه توجد خمسمئة مقطوعة كتبت للعزف باليد اليسرى. وخمسون فقط لليد اليمنى)

● معروف عن توماس حبه للغابات، أليس كذلك مونيكا؟

- كان توماس يستشعر كثيراً من الحرية و يستلهم نصوصاً في جزيرة رونمارو بالقرب من ستوكهولم. أتذكر جيداً حين كان يقضي ساعات طويلة في التجوال في الغابة قبل أن يعود مساء إلى البيت بجيوب تملؤها قصاصات ورقية. تعلق توماس كثيراً بالغابات. ولكن الوضع تغيَّر في السنوات الأخيرة بسبب الصعوبات الجمة التي يجدها في السير وفي التنقل من مكان لآخر.

● توماس، هل تعتقد بأنه من الممكن تشكيل مقاومة شعرية اليوم؟

- برأيي إن دور الشعر يتمثل في محاولة تغيير أشكال التفكير التقليدية، ومناهج البحث عن أبعاد ذواتنا. تلك الأبعاد التي تنبذها القوى المادية التي تتحكم في العالم اليوم.

● ما هي مشاريعك في المستقبل القريب؟

- بصراحة، ليست لدي فكرة.

● لو أنك حالياً في سن العشرين، ماذا ستفعل؟

- ماذا سنصير لو أننا ولدنا نهاية الثمانينيات؟ سننشأ في دور حضانة ووفق مناهج مختلفة. أعتقد أنني سأمتلك دائماً ميلاً للفن. ولكنني كنت ربما سأختار مهنة أخرى. أو ربما علم النفس من جديد.

● ما هي الوسيلة الأفضل من أجل تطهير الكتابة من المغالاة وتقديمها في أفضل أشكالها؟

- لا بد من منح النّص وقتاً وفرصة لينضج. النّص لا يبلغ شكله الختامي من البداية. لا بد من الصبر. وأن نتذكر دائماً بأن ما يربطنا مع القارئ هو عقد ثقة. التلقائية في الكتابة شيء جميل. ولكن لن نجد دائماً طريقاً لها.

● هل تفكر فقط في كتابة الشعر، لا شيء آخر غير الشعر؟

- الشعر لا نهاية له.

● يشبهك البعض بالمتصوّف إكهرت. هل ما زلت تعيش الطقوس الصوفية نفسها كما كنت عليه في السابق؟

- سؤال مهم. نعم، قرأت كثيراً للمعلم إكهرت سنوات الخمسينيات وكذا للقديس أوغستين. تأثرت بكتاباتهما كثيراً. أعتقد أنهما موجودان في مكان ما من نصوصي الشعرية. لست أدعي أنني متصوّف، لكنني أحاول أن أكون كذلك. خصوصاً لما أختلي بنفسي في الطبيعة.

(صرَّح توماس ترونسترومر سنة 1972: «المتصوف هو شخص استطاع رؤية الله. أما أنا فلم يحدث معي أن رأيت الله»)

بعد الانتهاء من الحوار والخروج من بيت ترانسترومر، بقيت تراود ذهني صورة يد الشاعر اليمنى النائمة. وملامح وجهه المبتهجة. وأفكر كيف نابت الزوجة مونيكا عن كثير من مسؤوليات زوجها توماس.

قصائد

| توماس ترانسترومر

وسط الشتاء

نور شاحب
يلمع من بين ملابسي.
انقلاب الشمس الشتوي.
لحن راقص للثلج المطقطق.
أغلق عيني.
هناك عالم أبكم
تتجاوز كلماته الحدود
خفية.

(من ديوان الغنول المشؤوم، 1996)

وجهاً لـوجه

في فبراير، كانت الحياة متوقفة
العصافير تحلق قسراً والروح
تحتك بالطبيعة كمركب
تلمس المرسى المربوطة إليه.

●●●

أدارت الأشجار ظهرها إلى هذه الناحية.
سمك الثلج يقاس بالأعشاب الميتة.
تشيخ آثار الخطوات على ركام الثلج.
وتحت الدفيئة تذوي الكلمة.

●●●

يوماً ما، شيء ما أقترب من النافذة.
توقف العمل، وقفت أتطلع اليه
الألوان تنتشر. وكل شيء انقلب رأساً على عقب.
قفز كل منا، الأرض وأنا، نحو الآخر.

(شمس غير مكتملة، 1962)

حكاية بعض البحارة

هناك أيام بلا ثلج حيث تنطلق مياه
المحيط من بلاد الجبل، يلبد في زينته
من الريش الرمادي،
لحظة قصيرة زرقاء، ساعات طويلة
تصحبها أمواج كوشق شاحب،
تبحث بلا جدوى عن مأوى تحت حصى الشاطئ.
هذه الأيام، هجر الضائعون المحيط بحثاً
عن مراراتهم، استوطنوا ضجة المدينة.
والملاحون الغرقي يطيرون نحو الأرض، أكثر
خفة أيضاً من دخان الغليون...
(في الشمال تركض حيوانات الوشق الأصيلة
ذات المخالب المشخوذة والأعين الحالمة.
في الشمال، حيث يسكن اليوم منجماً،
نهاراً وليلاً.
حيث الناجي الوحيد يجلس قرب مدفأة
الفجر الشمالي ويسمع موسيقى من
ماتوا متجمدين بردا).

(17 قصيدة، 1957)



في البعيد

عند مدخل المدينة الكبير
حينما تكون السماء واطئة.
تزيد الحركة، وتتكثف.
كتنين كسول، لامع.
أنا حرشفة من حراشف التنين.
فجأة، الشمس المتأججة
وسط الزجاج الأمامي
وتغمرني.
أنا شفاف
وكتابة تدون
في داخلي
كلمات سطرت بالحبر السري
الذي يتبدى
حينما نمسك الورقة أعلى نور الشعلة !
أعرف أنه يلزمني أن أرحل إلى البعيد
أجتاز المدينة وأذهب بعيدا
للغاية، حتى تأزف ساعة الرحيل
وأمشي طويلاً في الغابة.
أتتبع أثار الغرير.
تهبط العتمة، ومن الصعب رؤيتها.
ولكن هناك، على الزبد، أحجار.
أحدها نفيس.
من الممكن أن يحول كل شيء:
يعرف أن يجعل العتمة تبرق.
أنه عاكس لجميع البلدان.
كل شيء اتصل به.
ينظر إليه، يلمسه...

(دورب، 1973)

ترجمة – **أ.ع**



فاز الكاتب والروائي الجزائري الفرانكفوني بوعلام صنصال بجائزة السلام في معرض فرانكفورت للكتاب بألمانيا. وقال صنصال -الذي تسلم الجائزة منتصف الشهر الماضي بحضور نحو ألف شخص في أكبر معرض للكتاب في العالم- إن "ثورة عالمية تجري الآن...، وإن الناس يريدون ديمقراطية أممية صادقة من دون حدود أو محرمات، وهم ينبذون الطغاة والتطرف وسلطة الأسواق وهيمنة الدين الخانقة".

بوعلام صنصال يفوز بجائزة فرانكفورت للسلام

في انتظار الثورة الجزائرية

حوار: **ماريان بايو**

ترجمة: **أحمد عثمان**

في هــذا الحوار يتحــدث صنصال عــن عالمه الإبداعــي وروايته الأحدث «شــارع داروين» الصادرة هذه الأيام عن دار غاليمار.

يرسم بوعلام بورتريه عائلة وبلد تحت وطأة الخوف. في نهاية يونيو / حزيران، في حديقة دار غاليمار الرائعة، منــح بوعلام صنصال نفســه قســطاً من الراحة. بمناســبة اقتــراب صدور روايته السادســة «شــارع داروين»، قبل أن يؤوب إلــى مدينته بومرداس. رواية جميلة، ذات شــخصيات مثيرة للاهتمام، تجتاز نصف قرن من تاريخ الجزائر، بصورة يصعب معها وصفها «تربطني علاقة بهــذه الحكاية»، هكذا أســر مؤلف «قســم البرابــرة»، ولكن كيف أحكــي هــذا دون اغتصاب حياة الآخريــن، دون أن أخونهــا؟ إنه نوع الروايــة بحيث من الممكن أن يكون كل شــيء مزيفاً أو أن نســقط في النزعة الاستعراضية». بعد فترة تردد طويلة دامت ثلاثة أشــهر إثر وفــاة والدته، انطلق بوعالم صنصال. كل شيء يبدأ مــن هنا: أشــقاء متفرقون فــي أركان الدنيا الأربعــة يتجمعون حول تابوت الأم. كان يزيــد، المســمى يــاز، الأخ الأكبر، من رعاها حتى أيامها الأخيرة، من بقي في البلاد بينما هرب الآخرون من الحــرب والبؤس. يــاز أو بوعالم «يشــبهني كثيراً، في الواقــع. مثلي، عــاش طفولتــه، خلال الخمســينيات والســتينيات، في شارع داروين (على بعد 100 متر من بيت آلبير كامو)، في بلكــور، حي جزائري شــعبي. مثلي، شيئاً بعد شيء كبر فيه، لا يعرف شيئاً عن نفســه، عن أخوته، عــن أمه..». لا قــدر يشــبه قدر يــاز، تتجاذبه جدة ثريــة يحيا معها داخل نوع من التجمع الســكني وأمان تركتاه في سن الثامنة متجهتان نحــو الجزائر العاصمة! إنما عودة، صحبة صنصال الشجاع، إلى حياة وبلد خارج المألوف.



حينما كنت أنقب عن حكايتي، لم أكن أرى سوى النساء

ولد بوعالم صنصال في عام 1949 ببلدة «ثنية الحد». درس الهندســة في مدرسة البوليتكنيك الوطنية بالجزائر ثم المدرسة الوطنية العليا للاتصالات بباريس. حائز أيضاً على دكتوراه في الاقتصاد.

مــن رواياتــه: «قســم البرابــرة» (1999، جائزة الرواية الأولى وجائزة مــدارات فــي نفــس العــام)، «الطفل المجنون بالشجرة المجوفة» (2000، جائزة ميشــال دارد)، «قرية الألماني» (2008).

● الجــدة الاســتثنائية، قوادة على نطاق واســع تتربع على قمة الامبراطوريــة.. هل هي شــخصية من المواقع؟

- نعم، والدي ابنهــا، أو بالأحرى ابــن أختها أو ابــن قريبة لهــا.. كانت لالا ســعدية زعيمة آل قــادري، امرأة نافــذة، لهــا ممتلكات فــي كل مكان - ومــن بينها بيوت دعــارة- في تونس والمغرب وفرنســا. كانت متسلطة، لا يســتطيع أحد أن يقاومها، تدير عالمها بقــوة وبأس شــديدين. كانــت ماهرة إلى حد أنهــا عرفت التعامــل مع كافة هذه الأنظمة: الإدارة الفرنســية، جبهة التحرير الوطني وفي زمن الاســتقلال أصبحــت بطلــة. وقتما كانــت تعاني الجزائــر من الإفلاس، عــرض بن بلة مشــروع التضامــن الوطني. ســاهم الجميــع، وقدمــت الجــدة قناطير من النهب. بغتة، استقبلت بن بلة وناصر في زيارتــه للجزائر علــى الغداء. كل هذا عرض في نشرة الأخبار التلفازية. حتى أن موتها كان مجلجلاً: تم اغتيالها في ظروف غامضة..

● كتبت فــي الرواية: «جاء زمن النساء».. ماذا تقصد؟

- حينما كنت أنقب عن حكايتي، لم أكن أرى سوى النساء، الجدة، فايزة، فروجة، كريمة.. في وسطنا التقليدي، لا يتبادل الرجال والنســاء المواقع، إذ هما عالمان منفصلان. تجلس النســاء سوية، وكن يعرفن الكثير من الأشياء الغامضــة، وكان عالمهن معقداً وحياً. بينما لم يكن الرجال ســوى ظلال. منذ ذاك، عشت هذا الشعور بخواء الرجال. بالنســبة لي، كانــوا دومــاً ضعيفي الشــخصية وعديمي الفائدة. باستثناء الجلــوس، شــرب القهــوة، تنــاول الطعام، النوم، ماذا يفعلون؟

● تتحســر دوماً، كما قلت، من صمتك وعدم مجابهتك لفترة طويلة للجماعات الإسلامية المسلحة..

- تحررنا من الكولونيالية بسيف الإسلام. ولهذا السبب ولأن الإسلام دين آبائنا، لم نتجرأ على مهاجمته، فقد كان مقدساً كما الثورة.

● يغذي كثير من الحروب رواياتك. فيها، نقرأ بومدين، خلال حرب 1973، في خطاب حماسي، يقول: «كلما كان هناك شهداء، كان النصر جميلاً». هل هذا خيال أم حقيقة؟

- إنها الحقيقة كلمة بكلمة! حينما سمعت مؤخراً القذافي يقول نفس الخطاب، ارتجفت، اذ رأيت نفسي في الثكنة الواقعة في ضواحي الجزائر، أمام بومدين حينما أنشأ يحدثني والجنود عن «عطش الأرض العربية للدماء». في آخر الأمر، أشعر أنني أمضيت حياتي كلها أتحدث عن الحرب، وهذا لن يتوقف أبداً.

● في معرض فرانكفورت في أكتوبر القادم، سوف تحصل على جائزة السلام المقدمة من المكتبات الألمانية. هل يثير الأمر دهشتك ويحميك؟

- في الواقع، هذا شرف لي. الفرانكفونيان الوحيدان اللذان حازا عليها هما آسيا جبار وخورخه سمبرون.. بالتأكيد، تحمي الكاتب أية جائزة كما الشهرة على وجه العموم. بقدر ما أكون تحت الضوء، أكون «مصوناً». الصحف الفرنسية تشيد بهذه المزية، مع أنني لا أنتقد كثيراً لأنني أعلم أن هذا يصب في خانة النظام، الذي لا يخشى إلا الهبّات الشعبية.

● بالضبط، كيف تفسر «اللا مبالاة الجزائرية»؟

- هناك أكثر من سبب. في بادئ الأمر، قام الجزائريون بثورتهم في عام 1988 وفشلت. ظللنا نرزح تحت هذا الفشل المؤلم الذي أدى فيما بعد إلى مئتي ألف قتيل، إلى حرب أهلية، إلى بلد ممزق، مشتت ومدمّر. هرس النظام الجزائري المتمردين حتى آخر فرد منهم، وبفضل الديموقراطية، منح جبهة الإنقاذ الإسلامية شرعية وجودها. فضلاً عن ذلك، النظام، الغني ببرجة كبيرة وباحتياطيه النقدي الذي تعدّى المئة والخمسين ملياراً من الدولارات، فتح أبواب الاستيراد. وهكذا، توفر كل شيء، وفور أن ترفع النقابات أصواتها، ترتفع الرواتب. آخر الأمر، القمع كبير. الألف متظاهر الذين تظاهروا شهر يوليو/تموز في (ميدان أول مايو) في وسط البلد بالجزائر كانوا محاطين بأكثر من خمسة وثلاثين ألف متظاهر، بينما القوات المسلحة تسد كافة مداخل العاصمة.

أشعر أنني أمضيت حياتي كلها أتحدث عن الحرب، وهذا لن يتوقف أبداً



● هل تمت مصادرة كتبك؟

- نعم، تقريباً كل كتبي، وتحديداً رواية «الجزائر: بريد لم يرسل» و«قرية الألماني». والأخيرة استقبلت بصورة سيئة للغاية في الصحافة، وأثارت السخط: كيف تجاسرت على القول إن نازياً اشترك في الثورة. لم يساندني أحد. زوجتي، وهي تعمل أستاذة، أجبرت على الاستقالة. وأنا في عام 2003، تم فصلي من عملي في وزارة الصناعة بسبب تصريحاتي عن بوتفليقة والنظام.

● ألم يدفعك كل هذا إلى الرحيل؟

- كل صباح! كل صباح، أقول في نفسي: «انتهى الأمر، أنا تعب، الحياة قاسية للغاية». كانت أمامي فرص رائعة، بيد أنني لا أستطيع أن أترك أمي بمفردها. الرحيل عمل رائع، نخرج من مسرح الحرب، ندخل إلى الحياة العادية، ولكن بعد طور السعادة، يأتي طور الشعور بالذنب ثم الندم. يستشيط المهاجر غضباً: «اخرج من خنوعك، ناضل!». يرجع البعض، أخيراً، إلى البلاد ويصبح جزائرياً أكثر من الجزائريين، مسلماً أكثر من المسلمين، يعطي الدروس لمن لم يبرح مكانه! اليوم، أعتقد أنه يجب أن يرحل رجال السلطة. تنازلنا كثيراً، ولذا يجب ألا نتنازل ثانية.

(*) Marianne Payot, Entretien avec Boualem Sansal, L'Express, N° 3138- 24 au 30 août 2011.



أمير تاج السر

فك المربوط

وصلتني عبر البريد الإلكتروني، رسالة منمقة، وتشبه كثيراً، تلك السير الذاتية التي تقدم لجهات العمل، أملاً في الحصول على وظيفة. كانت الرسالة من واحد اسمه الشيخ زكريا، يقيم في واحدة من العواصم العربية.. يقول الشيخ في رسالته، إنه متخصص في (فك المربوط)، وإزالة السحر بأنواعه، وتزويج الآنسات، وحل المشاكل الزوجية، وتحسين أداء الطلاب في المدارس، وأيضاً علاج (القولون العصبي) وأمراض المعدة والحموضة الناتجة عن ضغوط الحياة اليومية، وإنه يقدم تلك الخدمات عبر الاتصال الهاتفي أو البريد الإلكتروني، أو اللقاء المباشر إن كنت أقيم في منطقة قريبة من مركز نشاطه، ويقبل الدفع بالفيزا والماستر كارد، إن تعذر التحويل المصرفي. وفي نهاية الرسالة أوصاني بتعميم تلك الأنباء السارة على أصدقائي، والرد على رسالته فوراً حتى يتسنى له أن يدرج لي موعداً في دفتر مواعيده المشغول لأشهر عدة.. ولم ينس بالطبع أن يذكر بأنه الأفضل والأقل أجراً في ذلك المجال.

جلست لفترة أتأمل تلك الرسالة الزائرة لبريدي، فهمت فك المربوط وإزالة السحر، وتزويج العازبات، ولم أفهم أبداً إزالة الحموضة التي هي من اختصاص شراب (الموكسال)، وحبوب (الزنتاك) و(الإيمبرزول)، أو تأخر الطلاب في التعليم التي يتبناها اختصاصيون في النطق والتخاطب والسلوك النفسي، ولا دخل للتشيخ في حلها.

هذه الرسالة أو السنارة الصائدة، هي بالضبط ما يريده الناس في هذا الزمان.. الكل يحس بأنه مربوط بحبل ما وبحاجة لمن يفك ربطه، الكل يعاني ولا يفهم معاناته.. تزدحم العيادات والمصحات، ويخرج الناس بعشرات الأصناف من الأدوية ولا يتغير شيء، وقد فهم زكريا وغيره ممن يديرون محطات تليفزيونية فضائية لنشر الدجل، أو يستطيعون السباحة في الإنترنت، أن هذا هو هوى الناس ومرادهم، فاستغلوا التكنولوجيا لجني الأرباح.. وبالرغم من أن الأيام دائماً ما تثبت أن هؤلاء الأشخاص ليسوا إلا صيادين في الماء العكر، إلا أن الناس لا يريدون تصديق ذلك وبالتالي يظل رزق (الهبل) متاحاً عند المجانين.

في مقالة سابقة نشرتها في عكاظ السعودية، تحدثت عن السيدة (ميمونة) التي كانت تدير جلسات قراءة الطالع في مدينتي الساحلية، وتشد إليها العقول حين تدفن ماضياً أو تزين مستقبلاً، وتحدثت عن الرجال الذين يشبهونها في فضائيات الدجل، وقد رد عليّ كثيرون طالبين مني أن أكتب في مجال تخصصي.. أي الثقافة بعيداً عن معتقداتهم، ناسين أن الكاتب يجب أن يظل عيناً تراقب المجتمع.. تشيد بتطوره، وتنبش في التخلف، ساعية إلى دحره. ولن تكون ثمة قامة لكاتب لا يدلي برأي.

تجرعت جرعة كبيرة من شراب الموكسال وأنا أفكر في رسالة الشيخ زكريا.. زالت الحموضة على الفور.. لكن كم يائس بحموضة أكبر سيصمد.. قطعاً هناك آلاف الاتصالات تجرى ومئات الرسائل الإلكترونية ترسل.. والهوس يظل هوساً.. بلا دواء.

فضيحة البوكر الإنجليزية

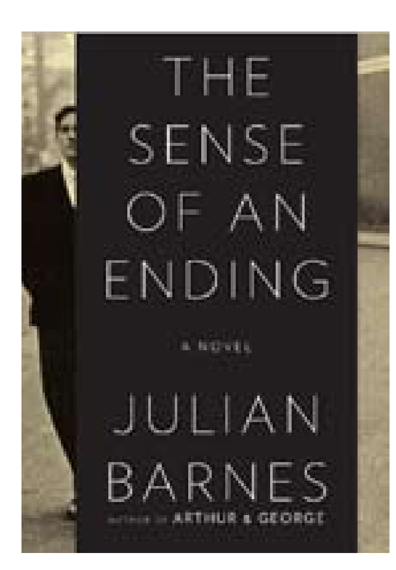
الأصل يحاكي الصورة

لندن - سمير نوار

في عملية ما بعد حداثية بامتياز، حيث يسود في عالم مابعد الحداثة ما يسميه بودريار بالسيمولاكرا، أو الصورة الزائفة، التي تحاكي الأصل وتزعم أنها البديل الأرقى له، حدث في مساء ليلة الثلاثاء 18 أكتوبر في لندن أثناء الإعلان عن نتائج جائزة البوكر الأصلية ما يحدث عند الإعلان عن جائزة بوكر العربية، الصورة الزائفة لها كما زعم البعض من البداية, وفي مقدمتهم الناقد المصري الدكتور صبري حافظ، من فضائح وإشكاليات. تنكرت هجومه على أول رئيس للجنة تحكيم البوكر العربية، وأنا أشاهد وقائع احتفال منح جائزة البوكر المتلفزة في لندن، والتي رأست لجنة تحكيمها هذا العام ستيلا ريمنجتون، الرئيسة السابقة لجهاز المخابرات المحلي المعروف باسم MI5، تميزاً له عن قرينه الأشهر MI6 المختص بالاستخبارات الخارجية.

فقد وقفت تلقي على المشاهدين، وبينهم ستة من المؤلفين الذين ينتظرون على أحر من الجمر سماع النتيجة، خطاباً طويلاً عريضاً عن حال الكتابة والقراءة، وعن ضرورة أن تكون القراءة السهلة والتشويق من المعايير المهمة في الحكم على الروايات، وعن أن النقاد الذين هاجموا قائمة هذا العام القصيرة واعتبروها من أسوأ القوائم في الأعوام الأخيرة، وطرحوا القيمة الأدبية والعمق في مواجهة القراءة السهلة والتشويق، ليسوا إلا من النوع الذي هجاه ألكساندر بوب (1688 - 1744) Alexander Pope في قصيدته الشهيرة «مقال في النقد الأدبي An E-say on Criticism». بل وبدأت تلقي على الحضور مقاطع تقريعية من هذه الهجائية الشهيرة المكتوبة قبل ثلاثمئة عام، وبالتحديد عام 1711، وكأنها تحتفل بمئويتها الثالثة.

ويبدو أن ستيلا ريمنجتون، أرادت أن تحوّل الإعلان عن الجائزة إلى فرصة للانتقام من النقاد، فبينها وبينهم ثأر قديم، يرجع إلى أعقاب تقاعدها من رئاسة هذا الجهاز المخابراتي الشهير منذ ما يقرب من السنوات العشر حينما قررت كتابة (أسرار مفتوحة) الذي روت فيه شيئاً من سيرتها الذاتية ومذكراتها في هذا الجهاز العتيد، وقوبل كتابها برغم نجاحه التجاري النسبي باستهجان النقاد والصحفيين لأنه من غير المقبول أن يكتب رئيس مثل هذا الجهاز الذي تحيطه السرية والغموض منكراته، خاصة وأن الناشر دفع لها مبلغاً كبيراً في هذا الشأن. ثم تحولت بعد ذلك إلى كتابة الروايات فاعتبر النقاد رواياتها من عيار روايات التسلية الخفيفة. لذلك أرادت أن تستغل هذه الفرصة التي أتيحت لها كي تلقنهم درساً في أهمية روايات التسلية الخفيفة.



الرواية الفائزة

فلم تكتف بتقريع النقاد الذين هاجموا اختيارات لجنتها، والاستشهاد بمقطع هجائي لاذع من ألكسندر بوب بشأنهم، ولم تعبأ بظهور الامتعاض من خطابها على وجوه النقاد الذين امتلأ بهم الحفل، ولا بخروج أندرو موشن، شاعر البلاط السابق، ورئيس لجنة تحكيم البوكر في العام الماضي، احتجاجا، وهو الذي كتب عقب الإعلان عن القائمة القصيرة التي اعتبرها كثير من النقاد أسوأ قائمة قصيرة في الأعوام العشرة الأخيرة، مهاجماً اختياراتها. بل طرح بدلاً منها قائمته القصيرة التي لم تتضمن إلا كتابين من قائمتها، كان بينهما لحسن الحظ الكتاب الفائز. لم تكتف ريمنجتون بذلك، وإنما انطلقت إلى تشبيه عالم الناشرين وما يدور في كواليسه بعالم المخابرات وخاصة في أسوأ أشكاله لدى الـ KGB، إبان اشتعال الحرب الباردة واستخدام أشكال مما دعته بالبروباجندا السوداء، وزعزعة سمعة الآخرين، والمؤامرات والعملاء المزدوجين، وغير ذلك من



ستيلا ريمنجتون



جوليان بارنز

قاموس الحروب الاستخباراتية.

لكن ما خفف بعض الشيء من أثر تلك الصدمة أو الفضيحة قليلاً هو أنها حينما أعلنت اسم الفائز، وهو جوليان بارنز (المولود في ليستر، بانجلترا عام 1946) عن روايته القصيرة (الحس بنهاية The Sense of an ending) التي تعد أقصر رواية فازت بتلك الجائزة حتى الآن، حيث لا تتجاوز عدد صفحاتها 150 صفحة، لقيت النتيجة شيئاً من الارتياح. لأن رواية بارنز تلك كانت هي ورواية كارول بيرش Carol Birch من أفضل روايات القائمة القصيرة الست وأكثرها أدبية. وكان كثير من النقاد قد عارضوا الجائزة هذا العام، بعد إعلان قائمتها الطويلة في يوليو الماضي، ثم قائمتها القصيرة في سبتمبر، ووجهوا إليها نقداً لاذعاً لأنها نحت إلى تفضيل الأعمال سهلة القراءة، والتي تستجيب لهوى القارئ السطحي السريع، على الأعمال ذات القيمة الأدبية الخالصة. فباستثناء روايتي بارنز وبيرش، كان في قائمة ريمنجتون القصيرة كاتبان جديدان ينشر كل منهما روايته الأولى هما ستيفن كيلمان وأ. د. ميلر، وكاتبان مجهولان من كندا هما باتريك ديويت وإسي إدوجيان. وهذا ما دفع النقاد الذين يحبذون طرح القيمة الأدبية في مواجهة القراءات السهلة السريعة، والذين تزعمهم أندرو موشن، إلى طرح قائمة قصيرة منافسة ضمت أسماءً مرموقة من عينة ألان هولينجهيرست Alan Hollinghurst، وجرايام سويفت Graham Swift وآلي سميث Ali Smith

بل إن رواية هولنجهيرست (طفل الغريب) التي كانت في قائمة النقاد المضادة ولم تظهر في القائمة القصيرة للبوكر التي أعلنت في سبتمبر الماضي، حققت أعلى المبيعات بين كل الروايات المطروحة في القائمتين، وتجاوزت مبيعاتها 350 ألف استرليني في الشهور القليلة الماضية. ونحن نتحدث هنا عن عائدات البيع في شهور قليلة، لأنه بعد أن ينقشع الغبار عن حومة المنافسة تظل أرقام البيع في تصاعد، بالصورة التي تجاوزت فيها أرقام بيع كل رواية وصلت إلى القائمة القصيرة من قبل المليون جنيه استرليني، ووصل بعضها كما هو الحال مع الرواية الفائزة ببوكر عام 2002 وهي (حياة بي) ليان مارتل إلى عشرة ملايين جنيه استرليني.

لكن يبدو أن ستيلا ريمنجتون أرادت أيضاً إفحام هؤلاء النقاد حينما أعلنت أن العمل الفائز، حصد الجائزة لأسباب أدبية محضة، إذ يتسم بالتكثيف وتعدد المستويات والقدرة على تناول القضايا الإنسانية الجوهرية. والواقع أن جوليان بارنز أحد أهم الأسماء البارزة في عالم الرواية الانجليزية المعاصرة، لكن الذين أسعدهم فوز بارنز، لاحظوا، أنه بالرغم من أن روايته جيدة بأي معيار من المعايير، إلا أنها تعد خفيفة نسبياً بالمقارنة برواياته الأخرى التي لم تفز بالجائزة. وقد قال أحد النقاد العرب في تعليق على فوز رواية بارنز (الحس بنهاية) بها، بينما لم تفز بها روايات مهمة له مثل (ببغاء فلوبير) التي وصلت للقائمة القصيرة عام 1984 و(التحديق في الشمس) و(تاريخ العالم في عشرة فصول ونصف) و(انجلترا.. انجلترا) التي وصلت للقائمة القصيرة عام 1998 و(آرثر وجورج) التي وصلت للقائمة القصيرة عام 2005، إن الأمر يشبه إعطاء نجيب محفوظ جائزة ما عن رواية مثل (حكايات حارتنا) أو حتى (قشتمر) بينما لم تفز بنفس الجائزة روايات أهم له مثل (الثلاثية) أو (الحرافيش).

لكن المفارقة المثيرة هي أن جوليان بارنز، الذي فاز بالجائزة هذا العام، وسبق له أن قال في مناسبة سابقة وصلت فيها روايته للقائمة القصيرة دون الفوز إن هذه الجائزة ليست إلا نوعاً من اليانصيب الراقي «posh bingo»، هو الذي رد للحفل وقاره، وبدد خيبة الأمل التي أحاطت بالحفل كله، حينما طرح وهو يتحدث في خطاب قبوله للجائزة استقصاءات مثيرة عن جماليات الكتاب الصغير، وعن أهمية مواجهة زحف الكتاب الإلكتروني على حساب الكتاب المطبوع، وعن ضرورة أن ينافس الكتاب جمالياً جهاز «كيندل» الصغير، الذي تقرأ فيه الكتب الإلكترونية، وعن أهمية التركيز والتكثيف في الكتابة السردية المعاصرة، فرد للحفل طابعه الأدبي من جديد.



عبد السلام بنعبد العالي

الصورة المتوالدة

«أناشـدك.. ألا تقيم أيّ وزن للعرب.. وأن تتصرف تماماً كما لو لم يكن لهم وجود. إنني أكنّ الكراهية لهذه السلالة بكاملها.. بالكادّ يمكن لأحد أن يقنعني أن شيئاً طيّباً يمكن أن يصدر عن هؤلاء. ومع ذلك فأنتم، رجالَ العلم، لست أدري لماذا ينتابكم هذا الضّعف حتى تغدقوا عليهم مدحاً لا يستحقونه». بيترارك (XIV)

بوادر ليست قليلة تلك التي تشير إلى أن الصورة التي أصبحت للعربي لدى الغرب ربما لم تعد هي الصورة نفسها التي تكرّست قبل ربيع الثورات العربية. لا نستطيع أن نزعم أن الغربيين جميعهم يُقرون بهذا التبدّل ويعترفون به، إلا أننا نكاد نلمسه، إن مباشرة أو بطرق ملتوية متخفية، هذا فضلاً عن كون بعض الغربيين يعبّر بصريح القول عما شاب نظرته إلى العرب أخيراً من تغيّر.

وسواء أقر الغربيون بذلك، أم أخفوه وأنكروه، فلا يمكننا إلا أن نؤكد أن «الربيع» كان له أيضاً وقع مّا على «الخارج»، وأنه أسهم إلى حد ما، في زحزحة المنظور الذي كان الغربيون ينظرون من خلاله إلى العرب، فأخذ العربي يبدو في أعينهم غير ما كان «يُظن» أنه عليه: بدا أنّ بإمكانه هو أيضاً أن «يفعل» في التاريخ، كما تبيّن أنه قادر على أخذ زمام المبادرة، وأنه ليس فحسب قدرة على الاستنساخ والاقتداء، وانما هو كذلك قوة مبدعة خلاقة.

كل هذا مخالف أشد المخالفة بطبيعة الحال للصورة التي تكرّست لدى الأوروبي، والتي ما فتئ الإعلام الغربي ينحتها عن العربي.

لا يعني ذلك مطلقاً أن هذه الصورة الربيعية الجديدة قد أزاحت نظيرتها القديمة ومحتها محواً. ذلك أن الصورة «الخريفية» لم تكن بسيطة ولا سطحية، وإنما كانت مركبة متعددة الأوجه.

فالعربي يحمل في عين الأوروبي صفات متناقضة: فهو الشيء ونقيضه في الوقت ذاته، إنه كائن «ثانوي» وضيف ثقيل، لكنه ضرورة و«شرّ لابد منه»، وهو آخَر، أو الآخر على الأصح، لكنه أيضاً المخالف للذات، المحدّد للأنا: إنه ما بدلالته أصبحت تُحَدد «الهوية الوطنية».

هذه الصورة، أو الصور على الأصح، لن يكون من السهل استبدالها، وبالأحرى محوها والقضاء عليها. وهذا لا لأنها متعددة متشعبة فحسب، وإنما لأنها عريقة متجذرة في الزمن، استغرقت وقتاً طويلاً كي تترسخ. أو لنقل على الأصح إنها صور تراكمت طبقاتها وتراصّت: فعَلت فيها الرحلات فعلها، وغذّاها المبشرون ببعثاتهم، ثم رعتها الحركات الاستعمارية وأقامت لها الأسس، وأكملت تشكّلها هجرة المهاجرين، و«حرائق» المبحرين.

ليس من اليسير والحالة هاته، محو صورة لإحلال أخرى، إذ لا يكفي في ذلك التأثير في أنواع الخطابات المتداولة في هذا الشأن، ولا حتى استبدال قوانين بأخرى، أو إقامة مؤسسات مغايرة تسهر على وضوح الصورة وصفاء العلاقة. فالصورة العتيقة المركّبة لا تتكرس فحسب عن طريق أيديولوجيا يمكن مناهضتها، ولا هي تسكن التشريعات والقوانين وحدها، وانما تتغلغل في الأدمغة والعقول، بل الأدهى من ذلك أنها تتخفّى في اللاشعور، وتعشعش في المخيال الغربي، وتسري في إبداعاته وتتخلل رواياته ومسرحياته وأفلامه وأغانيه ونكته..

ما يزيد الأمر تعقيداً، والصورة تركيباً: فهاته الصور التي تُكرّسها الكتابة الأدبية ويرسّخها الإنتاج الفني، والتي تتغلغل في اللغة وتسكن اليومي، صور فعالة صانعة للهويات، محددة للأنا والآخر، وليست منفعلة فحسب عاكسة لها. إذ لا ينبغي أن ننسى أن الغربي إذ ينتج صوراً في الرسوم التي يرسمها، أو الروايات التي يبدعها، أو الأفلام التي يعرضها، أو الأغاني التي يرددها، أو النكت التي يتداولها يسقط هو نفسه في مسلسل الاستنساخ وآليات خلق التشابه والاشتباه فالتشبّه SIMULATION، فتغدو تلك الصور التي ابتدعها مرايا خلاقة تدفعه إلى استنساخ نسخه، تغدو صوراً مولّدة لأخرى، صوراً متوالدة.

نلمس الآن تعقّد المسألة وصعوبة تحديد الصورة وضبطها ووقف تشكّلها وتوالدها، وبالأولى محوها واستبدالها. فحتى إن كان الربيع إذاً قد أحدث زحزحة مّا، فإنه لم يعمل إلا على خلخلة الصورة المكرّسة، وربما ساهم في التساؤل بشأنها، والتشكك في سلامتها، ولِمَ لا؟.. في توليدها وفسح المجال لصورة مغايرة.

نصوص

محمود قرني
ممدوح عبد الستار
مصر

لطيفة باقا
المغرب

ندى مهرى
الجزائر

رسوم:
Sltay Sadigzadeh
إيران

فَضْلٌ مِنْ حِصَّةِ الألَم*

| محمود قرني

«يا وجه الأحباب، إن أصبهان بلادي،ولي فيها بنت عم كنت أحبها ،وكنت متولعاً بها،فغزانا قوم أقوى منا وأخذوني في جملة الغنائم كنت صغيراً فقطعوا إحليلي، وها أنا على حالي، بعد أن باعوني خادماً..تقدم يا «أنس الوجود» ف «الورد في الأكمام» تركت اسمك على فم طائر القمري لكن لا تنس من يريدون أن يفكوا قيودهم..».
من حكاية أنس الوجود مع الورد في الأكمام

«بتصرف» ألف ليلة وليلة

1

في مثل هذه الساعة
قَبْلَ مئات السنين
تحدثَتْ «ورد الأكمام» إلى حيواناتها الأليفة
ثم حَكَتْ قصةَ الثعلب الذي خدع الحمار
وعبَرَ النهر فوق ظهره – مضطجعاً –
وبين يديه السيجار
كما تحدثَتْ عن الغراب
الذي ظل يُلقي بالحصى المسموم في صَحن قائد الجيش
معتقداً أنه سيرث بَزّته
لذلك فكَّرَتْ في القديسين
والأشقياء
الذين مرّوا من هنا
وصاروا مجرد نكات تتداولها الذئاب.

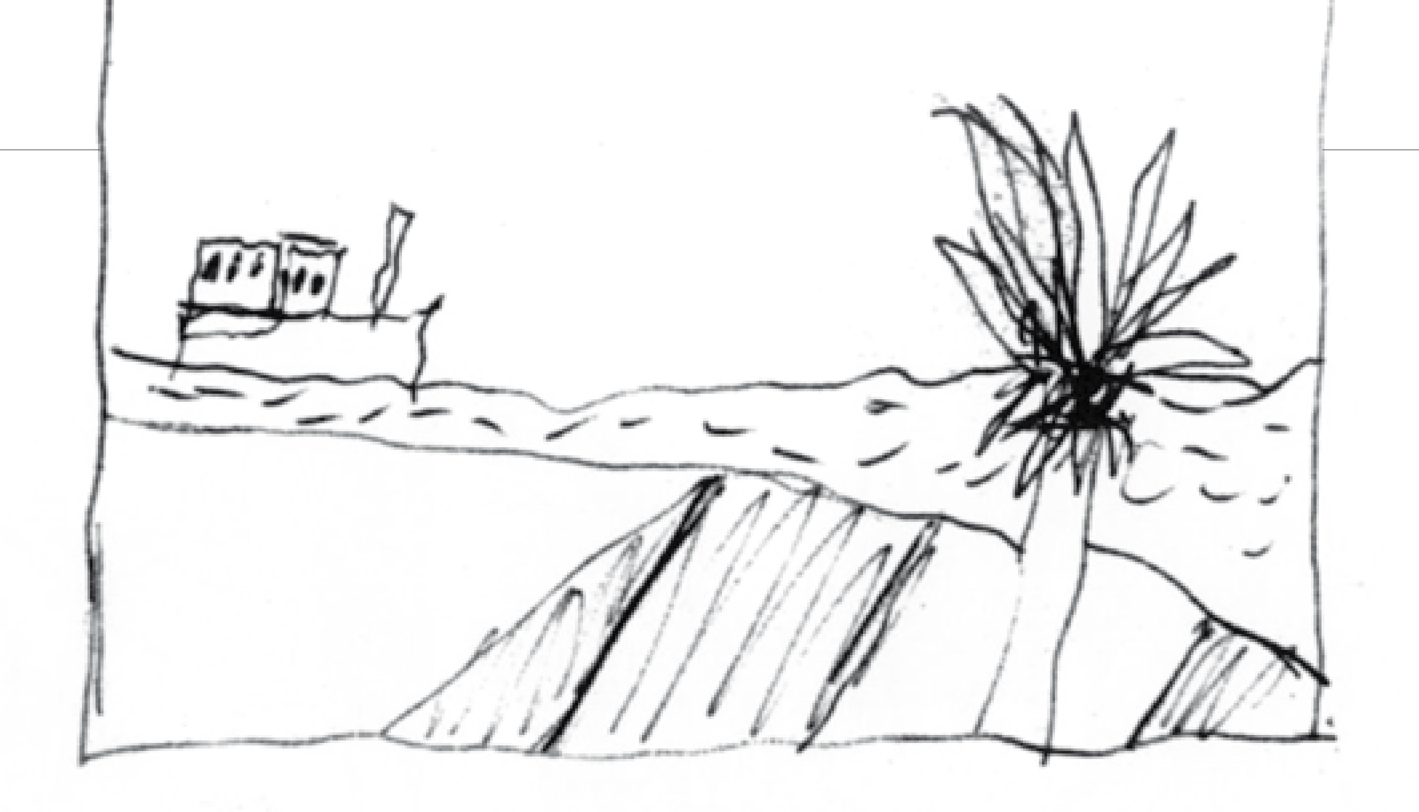
في غرفة النوم تحدثت الملاكة إلى حكمائها
قال حكيم:
تخيّري نجماً
نبعثُ في طَلَبه مع المسافرين
وسأدفع له ما يريد
قال آخر:
لا تنشغلي بالموتى الذين انحشروا
في جوف السهل
ولا بهؤلاء النائمين مثل جرّةٍ فارغة
إنني أملك ضيعتين
وقنطاراً من النبيذ
وقال الثالث:
معذرة أيتها الملاكة
لا أكاد أشعر بما تقولين
لقد سُرِقَ قلبي في حادث سطو
لابد أن أستشير طبيباً.

هكذا نظَرت الملاكة إلى إفريزها
الذي غلّفه ضبابٌ رقيق
وحاولَتْ أن تملأ اللوحة الفارغة
رسمَت شجرة
رسمَت امرأة
ثم رسمَت رجلاً.. وقالت:
ها هي الشجرة التي أنجبَتِ الخطيئة
عمّا قليل
ستأتي الخمارة بالسكارى
الذين يقلقون بال النظام
ستأتي التفاحة وهي تتمشى
في صحبة عشيقها
وسيأتي قارب العشاق
ليأخذ حِصّتَه من الألم.

2

لَمْ أَعُدْ أذكر ذلك الوجه
«ورد الأكمام»
تلك الأميرة التي هربت من إخوتها
قَبْلَ أن تُداهمَهم الآلام
ويَحلّ بمركبهم العَطَبْ.
كثيرون منهم الآن يتعلقون بخشبةٍ في جوف المحيط
وآخرون يترأسون قبائلَ
عميقةَ الأثر في حياة أُممهم
سمعنا عن كثيرين منهم
يُقيمُون المصانع ويدخنون الحشيش
ويخرجون في نُزهات شاطئية
ويقولون إن ذلك من أَجْل الصالح العام
وهناك آخرون يتاجرون في السلاح
دفاعاً عن الأغطيةِ الوَثيرةِ لشعوبهم

المُلْصَقاتُ الدعائيةُ تملأُ الشوارعَ وترصدُ الإنجازات
رغم أنهم ليسوا في حاجة إلى ذلك.
بالأمسِ وَصَلَتْ برقيةٌ من إخوتهم



المتعلقين بخشبة في جوف المحيط
يطلبون المساعدةَ
وقد وَعَدَ القُوّادُ ببحث الأمر
عند عودتهم من الإجازة الصيفية.

3

إلى أقصى الشرقِ
يمضي القائدُ بصحبة مَلاكَته
وتحْتَ إبطهِ خرائطُ الفاتحينَ
قال بثقة
إنه يضعُ قَدَماً في «سمرقند»
وأخرى في «تُركمانستان»
عند أول جدولٍ صادفه
أَوْقَفَ الجُندَ
ونظر إلى الخرائط
فأدرك أنه ضَلّ الطريق
قالت الملاَكة:
أيها القائد
ضَع الحافرَ على الحافرِ
ولاَ تكن بطيناً
وإذا وصَلْتَ إلى هناك
لا تجعل الأرضَ أرجوحةً.
ينظرُ الرجلُ ببَلاهة قائد مغمور
بينما يئنُّ كضبع طَريد
وهاهو يَجْمَعُ الجُندَ
ليروي حلماً مُفزعاً رآه في المنام
ويتساءل:
مَنْ منكمُو يفسرُ لي
أنّ السلطانَ ينقلُني
من باب اللحم إلى باب المَرَقْ ؟!

4

الملاكة التي أتت من آخر الزمان
تُحادثُ الشمس والنجوم
وتلقي أشعتها الذهبية
على انحناءة المكدودين
ثم تمشي كغزالة رعناء
تقول للفلاح:
أيها الديك أسمعني صياحك
خذني إلى الجسر أيها الرجل القوي
وامنحني لوزة
هل تعرف كيف تنزع عنّي جوربي وإزاري،
وتنقرَ بأسنانك بين أصابعي؟

الفلاح مفتول الزندين
يترك فأسه مُنغرساً في العطش
ويهرع إليها:
ياسيدتي أنت أخت النجوم
ورفيقة الملائكة
وهذا لَوْزُ أبيك
أنا الخادم
الذي أتى إلى هنا
بعد أن فقد أهله ونام في العراء
أنا الديكُ
الذي يمشي على الأعْرَاف
فتقول الملاكة:
أيها الديك أَسمعني صياحك
فيقول لها:
سيكون لك ذلك
أمهليني فقط إلى الغد
وسوف أحضِرُ معي مِنقاري.

* المقاطع جزء من قصيد طويل سينشر في ديوان تحت عنوان «ورد الأكمام تتزوج الضوء».

رائحة القسوة

| لطيفة باقا

السماء تمطر فوق مصابيح العيد الوطني.. الليل الذي كان قد انهمر في الخارج بدا غريباً تقريباً واستثنائياً في عتمته.

السيارات وأعمدة النور وأضواء المحلات التجارية تساهم أيضاً في هذا الشعور..

أكاد أبكي في مكاني..

- رحمك هنا ينبغي استئصاله.

حاولت أن أرى أمراً آخر خلف نظارتيه السميكتين. كان الطبيب واقفاً في مواجهتي، ظل ينظر إلى عينين زجاجيتين باردتين. تذكرت بسرعة تلك الحفرة القديمة التي ألقي فيها جسد أبي ذات صباح بعيد في مقبرة سيدي بلعباس وكانت باردة.. فكرت فجأة أنها كانت باردة. باردة جداً عليه، خصوصاً في شهر ديسمبر.

- نحن في ديسمبر أليس كذلك دكتور. يا له من شهر بارد.. قلت له إنني سوف أغادر هذه المدينة.. سوف أحمل رحمي معي وأرحل. وأنا أتقدم من الباب آلمتني بشدة في ظهري نظرته الزجاجية التي كنت أعلم غريزياً تقريباً أنه يحفر بها جسدي الذي كان ينسحب أمامه..

في البهو تقف الممرضة التي لم تمنحني عيناها أي تعاطف ولو ضئيلاً.. ثم تذكرت ثانية أبي في صورته الرائقة وهو يتبول من النافذة في غرفة الجلوس بعد ليلة طويلة من الشرب.. عندما كان الليل ونشوة النبيذ يتصاعدان في رأسه، كان ينتصب أمامنا فجأة.. يقف في النافذة.. ويتبول على العالم.

أنا لم أستطع أبداً أن أتبول على العالم.. (لهذا السبب بالضبط كنت في حاجة إلى تعاطفها، أقصد اهتمام تلك المرأة الممرضة التي كانت بلا أدنى شك سفاكة دماء مثل باقي الممرضات المجرمات اللواتي يتجولن بكامل الحرية في مستشفيات ومصحات العالم..) لم أبك بعد.. كنت فقط على حافة الانهيار، جميعاً كنا دائماً أقل شجاعة، فلم ينتحر منا أحد.. ولم يتبول أحدنا من النافذة أبداً.. بل حتى لم يقذف أي أحد منا بجسده التافه عبرها إلى الخواء الفسيح.. الممرضة لم تتابعني بعينيها الممسوحتين تحت المساحيق (كنت أتوقع أمراً كهذا.. طبعاً كما يمكن لامرأة منتهية أن تتوقع من امرأة افترضت فيها الكتب المدرسية الكثير من الرقة المفتعلة..

امرأة تعلمت الإحساس بالشفقة أمام البؤس الإنساني..).

لا أدري كيف فكرت فجأة في جمع رسائلي الفاجرة إلى عشاقي الكثيرين والمنتشرين كالألم في العالم حيث طالما كتبت عن أمور لم أعد أتذكر، ومنذ زمن بعيد، السياق الغبي الذي جاءت فيه.. سأجمعها كلها في ظرف كبير وأرسلها إلى إحدى أكثر صديقاتي تكتماً (هذه الميزة بالذات، أقصد ميزة التكتم لم تكن أبداً من شيمي، ولم تكن أبداً لتشغلني معرفة سبب ذلك).

ألقي بجسدي المتعب فوق الأريكة القديمة في الشرفة وأمضي أغني بصوت عال أغنية حزينة كان يدندن بها أبي في لحظات انتشائه.. تتحدث عن حرب مجنونة بلا معنى.. عن جبال عالية جداً وعن القسوة التي يشم أطفال الفقراء رائحتها عن بعد..

في رسائلي الكثير من الشجاعة والجرأة. أفكر الآن كما لا يليق بسيدة عاقلة أن تكتب.. منذ سن السادسة عشرة بدأت حربي ضد التشابه والخوف.. كتبت ما لا ينبغي أن أكتبه وأرسله إلى رجال ما كانوا ليستحقوا كل ذلك الفجور الراقي.. كنت أشبهه ذلك الرجل الذي يستقر الآن داخل حفرة باردة.. اعتقدت ذلك طويلاً وكنت أعلم أنه تشابه على الورق فقط وليس أبداً في الحياة..

عندما مات أخيراً في غرفة طفولتنا، حيث كانت أمي تحكي الحكايات لتعوضنا بها عن نقص الأغطية في ليالي الشتاء الطويلة.. دخلت لأراه لآخر مرة.. كان سعيداً. وخيل لي أنه كان يبتسم لي بتواطؤ أفهمه.. اقتربت منه وطبعت قبلة فوق جبينه.. ولم أبك.

أنظر إلى الخارج إلى الشارع الضاج بالآخرين واكتشف أن



الحياة ستكون حياة لغيري.. وليست لي.. يمكنني الآن فقط أن أقتل كل الذين أساؤوا إلي خلال وجودي القصير – نسبياً – في هذه الدنيا. معلمتي «لا ميتريس عائشة» تلك البدينة الشريرة التي كانت تشد شعر رأسي وتسخر من فساتيني «الميني» وهي تلفح فخذاي النحيلتين بالسوط الجلدي الغليظ. مدير الثانوية الذي طردنا أسبوعاً بأكمله وأهان أهالينا لتضامننا مع فؤاد زميلنا الموقوف عن الدراسة بسبب قصة شعره التي كانت على شكل نخيل الشارع الرئيسي في المدينة.

يمكنني الآن أيضاً أن أقتل بعض مسؤولي هذه البلاد التي شاءت إحدى الصدف السيئة أن أولد فوق أرضها.. ثم أخيراً الجزء الأكبر من العشاق السابقين الذين كان يحلو لهم فيما يبدو عصر قلبي الغبي بين أياديهم الغليظة..

الليل والإحساس بأن شيئاً ما قد لا يحدث أبداً.. لا لشيء سوى لأننا لن نكون هناك.. الأمور تحدث ونحن نعتقد أنها حدثت لأننا كنا هناك.. الليل يجعل أزمنة غابرة ومدنا جاحدة تكتسحني مرة واحدة، وبصفاقة كبيرة غير محتملة. والحافلات تمزق شوارع المدينة.. سوف تظل ذاهبة أو عائدة هكذا إلى أن تجتثّ آخر رحم في المدينة.. التاكسي الأحمر الذي كان يحملني من ذلك المكان البارد منذ لحظات مرّ أمام الكثير من المساجد التي لم أدخلها أبداً لأنها كانت دائماً تخصص هامشاً صغيراً جداً في الخلف للنساء المؤمنات. مرت سنتان الآن وأنا أجتاز نفس الشوارع ومع ذلك لم تخبطني أية سيارة أجرة أو حافلة.. ومررت دائماً بالمستوصف.. هناك كان يقف باستمرار الرجل الذي كان يضاجع الجدار. رأيته أول مرة عندما وصلت إلى هذه المدينة.. رأيت ظهره ووسطه يهتزان في اتجاه الجدار القديم. كنت أفضل طبعاً أن أعتقد أنه يتألم.. ظل «يتألم» بذلك الشكل الخاص كلما مررت من هناك.

لست وحدي بعد. قد يرن الهاتف في الغرفة المجاورة أو جرس الباب. لكني أراه من الآن قادماً.. أراه شبح الوحدة الرهيب يقترب مني وهو يحرك في الغرفة برأسه الأسود الثقيل في اتجاهي.. ويبتسم.

سألتها تلك الصديقة التي سوف تتلقى رسائلي لتتكتم عليها عمراً بأكمله:

- أهو قدرنا أن نعيش وحيدات؟

كنا نمشي سوية في الطريق الطويلة المعتمة والتي طالما حلمنا بمنزل يشرف عليها..

كنــت أريد أن أقول إذن (مــن كل هذه الثرثرة التي لا تليق بامرأة ســوف يجتثون منها رحمها فــي اليوم الموالي) إنهم سيســتأصلون رحمي ومن بعده باقــي أعضائي.. ثدياي.. رجلاي.. كليتاي.. عرقوباي.. عمودي الفقري.. إلى آخره.. ســوف أنسحب إذن بالتقســيط كما الفقراء الشــامخين أمام بائع اللحم يطلبون عشرة دراهم من الكبد (ويلحون أن يكون طرياً) ليتوجهوا بعد ذلك إلى دكان البقال ليطلبوا منه درهماً من الشــاي وآخر من السكر.. وسيجارة «ديطاي» بالتقسيط المريح دائماً.. وحدهم الأغنياء البشعون ينسحبون بالجملة بحيث تتــوارى جثثهم النتنة بســمنتها المفرطــة، وبكل ما صــرف عليها من أموال في الأكل والعطور وكريمات التدليك والمراهــم.. تتوارى خلــف التراب كاملة غيــر منقوصة أبداً ينفجــر صوت غريب مقهقهاً بضحكات غريبة داخل حنجرتي في الغرفة المعتمة.

- ســوف أغادر هذه المهزلة بالتدريج. وليس مرة واحدة كما يحدث لباقي السخفاء الذين انسحبوا قبلي والذين سوف ينسحبون بعدي.

المدينة مصابة بالقرف.. وبالعيد الوطني..

يبدو أنني ســوف أفشل تماماً في التفكير في شيء جميل من الآن فصاعداً.. إنجــاب طفلتي.. لن يكون بإمكاني النظر إلى سنها الأولى الصغيرة وهي تلمع داخل ثغرها.. كلماتها الأولــى.. حماقاتها.. كنت أحلــم أن يكون «نورس». لا أملك في واقع الأمر ســبباً مقنعاً وحقيقيــاً أو حتى متعارفاً عليه للابتســام في وجه أحد.. ومع ذلك كل شــيء ممكن في هذه الشــرفة المطلة على الحياة. هذه الحياة التي سوف تستمر بكامل زيفها ومسلسلاتها المصرية بعدي..

وجهــي.. بشــكل عينيه وارتفــاع أنفه.. بمســحة الغباء الرائقــة التي طالما كانــت تعلوه في لحظــات بعينها خلال وجوده القديم فوق عنقي.. أنا أعرف شــكله جيداً، لست في حاجــة إلى النظر في مــرآة لأتذكر تقاطيعــه التي تصيبني بالغضــب أحياناً.. لقد كان دائما هناك أعلى جســدي.. غريباً ومنفصلاً تقريباً وغير واقعي بالمرة.. ســوف يقفون حتماً، من حيــن إلى آخر لينظروا ببلادة تليق بصدقهم إلى صوره داخل الإطارات الباردة ثــم يتأوهون ويتلفظون بكلام كثير لن يغير من أمر ثقب الأوزون شيئاً.

ســألتني صديقتي وهي تتلقى مني ظرف الرسائل الكبير إن كانــت تســتطيع أن تقبلنــي، كانت ســخيفة تماماً وهي تسـألني ذلك، أما بالنســبة لــي فأنا بالتأكيــد أنفر من هذا الســلوك أن يحصل تقبيل بين امرأتين أو رجلين. بل أحس أحياناً بتقزز حقيقي من تلك المشاهد التي تصفعنا بها بعض القنوات الفضائية.. أمي كانت تندهش عندما تجدني متشنجة وهي تقبلني وتعانقنــي.. كنت أتراجع إلى الوراء وينتفض جسدي فجأة. أمي لم تستطع أن تفهم.. ولا أنا فهمت..

صديقتي تريد أن تقبلني لأنني سوف أموت. وأنا لا أريدها أن تفعل لأنني لا أحب ذلك.

البرودة ســوف تتفشى يوماً عن يوم أكثر في جسدي وفي الغرفة.. وفي علاقتي بالآخرين.. برودة حقيقية، أرتعش.. من الخوف ومن الوحدة.. أشــعر أن جسدي مصاب بالموت.. وزنه سيستقر قريباً داخل حفرة.. باردة.

الدمــوع تورطنا في شــعور قــوي بالحيــاة.. المصابون بالحيــاة هم فقط الذين يبكون.. أتذكر أمــوراً كثيرة حدثت.. جميعهم كانوا دائماً هناك أو هنا، لكنهم جميعهم لم يستطيعوا أبداً فعل شــيء لأجلي.. كما لم أســتطع أن أفعل شــيئاً لأجل أحد.

أســمع ســعالاً حاداً مرة أخرى.. يبدو أن الصوت صادر عني.. لم يكن هناك أي شخص ثان غيري في المنزل..

النبتــة فوق المائدة تكــون مليئة بالضوء خــلال نهارات بعينهــا.. هي مظلمــة لأنه الليــل، ولأن رحمي ســوف يتم استئصاله غداً.. لم أكن شيئاً خلال حياة بأكملها..

كنــت أود أو بالأحرى أطمع أن يحضر أحــد ما، أن يهتف لأخبره أنني في حاجة إلــى حزن كبير.. حزن راق وأصيل، لأشعر بجسدي أكثر. هذا الجسد الذي أخبرني أحد الأطباء هذا الصباح أنه خذلني. أنظر إلى يداي.. إنهما تشــبهان يديّ أحد مــا.. أكثر من أي وقت مضى تشــبهان يديــه.. كان يضع يده قرب يدي ويطلب مني أن أتأمل هذا التشابه الغريب..

أنا لا أشــبه أحداً.. لســت أحداً آخر غيري، لذلك ســوف أمــوت وحدي لن يكــون لأحد ما أن يموت مكانــي، أو يتألم عوضــاً عني.. صدفة ما قذفت بي فــي رحم امرأة لا أعرفها.. أو علــى الأقل كنت كائنــاً حياً مثل الذبــاب والماعز والقطط ونبتــة الدالية في منزلنا.. جميعاً كنــا كائنات حية.. تتنفس وتتغــوط.. لكنني كنت أكثرها تصديقاً للأوهام. صدقت أنني سأظل بينهم.. أســتقل الحافلات مثلهم.. أشاهد المسلسلات وأعــد أطباقــاً ناجحة من البيــض والطماطــم.. صدقت ذلك فعلاً حتى أنني ســطرت مثلهم بعض المشــاريع الرائعة من نوع إعداد بلوفرات دافئة للشــتاء القادم. والاحتفاظ ببعض الروايــات التافهة لقراءتها على شــاطئ البحر خلال الصيف الذي ســيأتي.. واقتناء ثوب جديد للسهر مع الرجل الخارق.. الذي لم أصادفه بعد.

صادفت الكثير من الخيبات..

في الغرفة الأخرى لا يرن الهاتف..

ولا جرس الباب.

كــم صدقت الحياة، يبــدو بالفعل أنني صدقتها (أكتشــف ذلك الآن فقط)، صدقــت الهواتف التي ظلت ترن بالأكاذيب.. والأجــراس التــي دقت لأجلــي.. صدقت الحافــلات، صدقت المصحات، صدقت النوافذ، صدقت المدن.. وصدقت جسدي.

ضحكة هاجر

| ممدوح عبد الستار



جسد هاجر مازال ينبض بالبكارة، ويعطي إشارات مبهمة لكل الرجال دون أن تعي. هذا الجسد مازال يطلب حقه في اللمس بلطف، وأحياناً كثيرة بالقسوة والعنف التي دائماً ما كان يحبها. ورغم ذلك، لم يستطع الفكاك من القمع المتعمد، وحشرته صاحبته في جلباب أسود.. واسع لا يليق به، وكانت له- الجسد - حريته النزقة، ويتحرك كيفما شاء دون عوائق تُنكر. كان يحب الارتطام بأجساد أخرى. هذا الارتطام غير المتعمد في السوق، وفي المواصلات العامة أحياناً، يحرك فيه هذه النشوة التي يطلبها منذ أعوام كثيرة مضتْ.. لكنه في نهاية الأمر، استسلم هادئاً، ومطيعاً لصاحبته التي جعلته للصلاة.. كانت الصلاة هي أكثر الأفعال التي تجعله بلا رغبة حقيقية. حاول الانفلات مرات عديدة رغم كل القيود التي فُرضتْ عليه.

النسوة اللاتي يجلسن بجانب هاجر متوردة خدودهن، ورائحة الليل الفائت، وزيت الشعر العطرة تزكم أنف هاجر التي فقدتْ زوجها وهي لم تستعد بعد لذلك. كن ينظرنها بتوجس وخيفة منذ أعوام، ومازلن. أحسّتْ هاجر بالنظرات المتوهجة التي تقول لها «نحن أحسن منك. تحصّني كيفما شئتِ» طأطأتْ رأسها فترة، ثم راحتْ تصبّ اللعنة على الحياة، وتلك الأشياء القذرة من وجهة نظرها في تلك اللحظة الحرجة، ولم يتركها جسدها لحالها، وفقد صبره وإيمانه الذي يتحصن به.. لكن صالحة- المرأة العارفة بتلك الأشياء الصغيرة- قالت بصوت هامس، وهي تنحني على هاجر التي تنظر لبلاطة مهترئة أكلتها الأرجل:-

- .....

ووشوشتها بكلمات قليلة كانت كفيلة بقتل هذا الجسد.. لولا أنه محاصر ومسجون. كانت كلمات محمومة وموشومة برغبة حقيقية. حاولتْ هاجر القيام، وأشاحتْ بيديها للجميع. ابتسمتْ صالحة بخبث- كانت ابتسامة بين الرفض والقبول- وربتتْ على هاجر في تلك اللحظة، وقالت:

-حظوظ !

وتمادتْ صالحة في تحسسها. نظرتْ هاجر للحجرة، وأفاقتْ من شرودها، ونترتْ نفسها من الجسد المستسلم، وقبضتْ عليه بيديها، وقالتْ، وقطرات الدمع مرتعشة:

-حرام عليكِ

وقبل أن تخطو هاجر الخطوة الأولى معلنة انسحابها، كانت صالحة تهجم عليها، وتقبّلها على خدها الأيسر الذي تورد فجأة. أحستْ هاجر أن صالحة تتأسف، وابتسمتْ منصاعة لتلك الابتسامة المرسومة بعناية، وراحتْ صالحة تنقل أسفها على الخد الأيمن، ولمستْ بتعمد شفتيها اللتين ارتعشتا بسرعة مفرطة. وتركتْ هاجر جسدها-رغماً عنها- ينتفض مثل فرخة منبوحة. في هذه اللحظة بالذات، انكشف أمر هذا الجسد.. المُغلق على الجميع كبضاعة فاسدة أو نادرة جداً.

في الغرفة المفتوحة، كانت ضحكات النسوة مكتومة نوعاً ما. وحكايات الليل أغنية جميلة للقابضين على أزواجهن فقط، حتى أن واحدة منهن قالت بصوت هامس وضاحك في آن واحد:-

-......

وغمزتْ لزميلتها التي قالت:

-وأنا أيضاً.

بين الفعل والأمنية مسافة قصيرة يمكن أن تقطعها المرأة بسهولة في هذه اللحظة إن أرادت، وجسد هاجر يريد حياته، والصلاة تمنعه، والسواد المطبق عليه لا يعطيه أي أمل.

بعد هذه المحادثة البسيطة، انكشف أمر جسد هاجر، وظل على حال من القلق والانتظار، وأخذتْ صاحبته- حينئذ- تحكي حكايتها. حكاية ليس بها ما يميزها. هي بالتحديد: شكوى. والنسوة يستمعن إليها بشغف، وعيونهن معلّقة على هذا الجسد المستور.

بعد أيام قليلة، انزوتْ هاجر بصالحة، وبدأتْ - دون خوف - تحكي عن أحلامها التي سيطرتْ عليها منذ مدة قصيرة.

- آهٍ يا صالحة!

وضربتْ صدرها لتُسكتْ القلب، وعضّتْ على شفتيها المتلونتين بلون حلم البارحة، وابتسمتْ ابتسامة صافية، وضحكتْ لأول مرة منذ أن فقدتْ زوجها.

أحلام حائط

| ندى مهرى

عندمـــا كنت لاشـــيء ولا فرق بينـــي وبين الحائــط الذي ترتاده قدمي، عقدت صفقة انتظار طويل للحصول على عمل وانضممت لقائمة (الحيطيست*)، كان الجدار صديقي الغالي، كنــت أتامل حياتــي المعلقة في نقطة الوقــت الرتيب الأزلي، بأيامه ولياليه وفصوله المتشــابهة فــي القتامة والغارقة في اليأس وهي تهرب مني، لا بل تســخر منـي، فتتدفق أنفاســي الفائرة في وجوه الآخرين غضباً وتمرداً وحقداً.

حاولت اختراع منافذ لتســريب الوقت المكدس بأن تصادقت مــع بعــض حوائط الجامعــات بفضل صديــق يفوقني بعمر وخبرة في الحوائط السخية، حيث دلني على طلبة يحضرون رســائل التخرج ويحتاجــون الى مدقق لغــوي مقابل مكافأة مادية، وكانت فكرته جيدة فنكائي وبراعتي في اللغة العربية وقواعدها أنقذاني قليلاً من الفاقة وإن كانت غير كافية، وكنت دوماً أشعر بالندم لنكائي العاطل عن العمل والأمل تماماً مثل مــا يفتقد فؤادي العاطل عن الحب للحنان، فحياتي شــحيحة فمــن أين يعثر قلبي على تحية عاطفيــة حتى، فأنا لا أتعدى كوني محارباً مدافعــاً بالمخالب تارة وبالتجاهل تارة أخرى، فنظرات الآخرين الملوثة بالفضول والشفقة والخليعة بالعداء لوجودي تتناسل حولي وتتلفظني كبقايا إنسان وأدنى.

شعوري الدائم بأني لا شيء جعلني أهرب إلى قلبي وألهيه، وكان لابد أن أطعمه بأي عاطفة حتى أتباهى بها أمام أقراني، هنا هو قانون الفحولة المفروض في عالم الجدران.

كنت أمارس هواية رياضة (المشي*) مع حبيباتي المزعومات وكنت أتعجب لكم المشاة غيري، هناك ظاهرة «مشي» عامة في الشوارع وعلى كورنيش البحر، وهناك مشي حتى في صالات الســينما طالما رائحة القبل والأحضــان تنطلق من كل الأماكن التــي ذكرتها، والمدهش أن الجميع اتفق على أن كل ما يحدث من مناظر فهي ســرية للغاية ولا تخــدش الحياء العام، وكنت شــديد اللؤم إذ رويت لرواد المقهى الذي أعاقره كل مســاء عن الكثير من مغامراتي العشــقية البائسة والتي حولتها بأدواتي الخاصة إلى بطولات ذكورية حفظاً لماء الوجه.

وبعد ســنوات عقيمة امتصت رمانة عمري أمضيتها أتجول في أروقة الانتظار، ومســافات البحث حصلت على عمل بفضل صديق أسقط جداري وأنقذني من سياطه.

كرضيــع لم يتقن الكلام بعد وممتلــئ بصدمة اختبار كل ما يقــع عليه ناظره هكذا كان إحساســي وأنا أنظــر الى مكتبي بهيئته المهيبة، وأتلمس زيه الخشبي الناعم الآسر والمتعالي، وأرقب لمعان سطحه الزجاجي المستطيل والمتناسق الحواف الذي ينتهي بانحراف مغر عند الأطراف، تتوسطه أريكة حانية تســتدير في كل الجهات وتومئ اســتقامتها المحببة الى جهاز كومبيوتر يفوقني عصرنــة وحداثة أنا القادم لتوي من أزمنة الغبار.

أما الهاتف بلونه الســماوي الشفاف فتنام في حضنه بأمان ســماعة جاهزة للإنقضاض على مســمعي لولا رنينها الرخيم كســيمفونية، هاتف متواطئ مع أخلاقي المزاجية التي دربتها الجــدران، فما أجمــل أن تغازل امرأة من مكتــب يحرض على الإغــراء، حتى نبرات صوتك تتغير، ومفــردات لغتك ترتدي الزي الرسمي للفارس النبيل الأسطوري الذي تحلم به كل فتاة ولم تتعثر به مطلقاً إلا في أرشــيف أمانيها، أنت الذي أمضيت أجندة أيامك في دهاليز مجهولة العنوان وتربيت على أحاديث مشــفرة ومبهمة كوجودك، ولأنك قدمت من حوائط النسيان، ها أنــت الآن تصدر أوامرك الأولى على عامــل يأتيك بفنجان قهوة يحملها بطريقة تشــي إلى دوالــي ماضيك فمعك الأوامر تبدأ من قاع حلم موؤود قضيته تدق في لغة أحلامك.

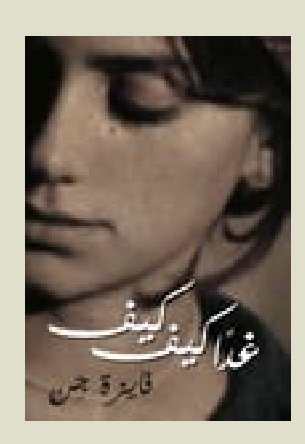
هــذا المكتب الممســوس كمارد حرر في عروقي ســيلاً من العنفوان السجين والمفقود لسنوات، غير أن قلبي لم يتعاف، فلقد ظل مبللاً بشــعارات الحوائط الغاضبة والناقمة، وليست الجــدران وحدها حاجــزاً بل لحوائط الــروح تجلياتها أمام كل عمل لا يعجب مســؤوليك وأمام كل أنثى لا تستجيب لتطلعات مكتبك الأنيق المتلبس بذريعة حائط سابق.

* الحيطيســت: كلمة جزائرية تطلق على الشــاب البطّال أو العاطل عن العمل الذي يقضي نهاره متكئاً على حائط بحيه.
* المشــي: هــي صفــة بالجزائــر تطلق علــى علاقة الحب بين الشــاب والفتاة.

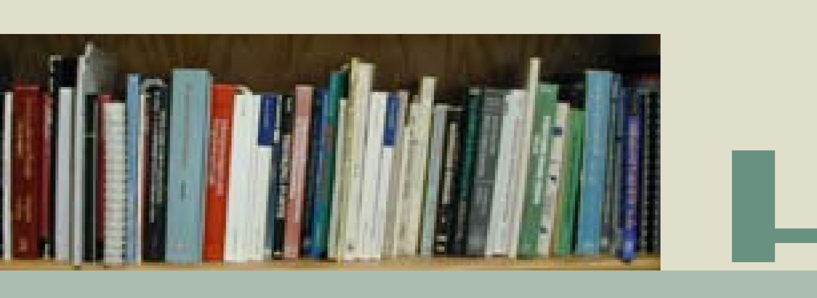
الضواحي المعتمة

فرنسا تدين كثيراً للجاليات العربية التي رفعت عالياً اسمها. تدين لزين الدين زيدان مثلاً في كرة القدم ولجمال دبوز في الكوميديا. رغم اتساع دائرة المتعاطفين مع خطابات اليمين المتطرف المعادية للأجانب، فإن القليل فقط من ينكر دور المهاجرين في إثراء ثقافة البلد. تجارب أدبية وفنية مهمة برزت خلال السنوات القليلة الماضية واستطاعت أن تكرّس اسماً لها، على غرار الكاتبة الجزائرية الشابة فايزة قين (1985) التي أصدرت، لحدّ الساعة، ثلاث روايات، أولاها «غداً كيف كيف» التي نقلتها إلى العربية دار بلومزبري – مؤسسة قطر للنشر (2010).

بطلة الرواية «درية» مراهقة في الخامسة عشرة، تعيش في إحدى الضواحي الباريسية رفقة والدتها بعدما هجرهما والدهما وقرر العودة إلى المغرب وإعادة بناء علاقة زوجية ثانية مع امرأة شابة. تصوّر فصول «غداً كيف كيف» بعض جوانب العيش في الضواحي، التهميش الممارس في حق الجاليات المغاربية ومعاناتهم المتواصلة مع الشرطة التي تنظر إليهم، بشكل دائم، بعين الريبة.



رغم صغر سنها فإن درية تجد نفسها مضطرة لتحمل بعض المسؤوليات الاجتماعية. فوالدتها التي تعمل منظفة في فندق تقرّ بعدم قدرتها على تحمل المتاعب اليومية. بين البيت والثانوية والمرشدة الاجتماعية تدور يوميات درية التي تفتقد حياتها لمعاني الحب والطمأنينة وتقول: «الحياة ضربة حظ على الرغم من كل شيء». حياة يملأها القرف من ظلم الوالد ومن تعسف الحياة في باريس ليست تشبه باريس الأفلام والأحلام. باريس أخرى يعيش فيها الكثيرون على الهامش، تدفع درية إلى مخاطبة القارئ: «كثيراً ما تمنيت أن أكون شخصاً آخر، ربما حتى بعيداً في عصر آخر».



كتب

في روايته الجديدة المعنونة «حديقة السيدة العجوز» يواصل فؤاد العروي التنقيب عن العلاقات المتناقضة التي تجمع بين المغرب وفرنسا. رواية تسودها نبرة ساخرة من الحياة ولعب بالكلمات. بطلا الرواية هما زوجان فرنسيان (فرانسوا وسيسيل) يقيمان في باريس، يقرران فجأة تغيير نمط عيشهما وينتقلان إلى الدار البيضاء حيث يشتريان بيتا مرفقا بحديقة. دونما معرفة مسبقة بالثقافة المغربية وبعادات وتقاليد البلد. المؤلف يرصد حياة الزوجين على امتداد سنة كاملة. حياة يلفها كثير من المفاجآت والتقلبات. حيث يجد الثنائي فرنسوا وسيسيل نفسهما تدريجيا في صلب حكايات مغربية، من سنوات الاحتلال بداية القرن الماضي إلى الاستقلال وصولا إلى الحاضر. كما لا يفوت الفرصة للفت انتباه القارئ إلى الوضع المزري الذي يعيش فيه بعض المغاربة في ظل اتساع الشعوذة والخرافات.



تشريح المهاجر اللبناني

| **سحر مندور** - بيروت

في روايته التاريخية «تبليط البحر» الصادرة حديثاً عن دار رياض الريّس للكتب والنشر، يسافر بنا اللبناني رشيد الضعيف إلى أواخر القرن التاسع عشر، في حبكة ترصد مرحلة الشباب والتحصيل الجامعي والارتباط بالوطن بكل طوائفه، ويأتي زمن الرواية شاهداً على الفترة التي بدأ فيها الشباب اللبناني الهجرة نحو الغرب، وموثقاً مشاكل الغربة والتمييز العنصري في أميركا، ثم الصراع الطائفي في لبنان الذي أبعد فارس هاشم بطل الرواية عن وطنه كفرد منتج وفاعل في بناء وطنه بعد مرحلة الدراسة الجامعية.

ومن بلد إلى آخر، وحدوتة إلى أخرى، في صورة جريدة يومية صادرة في ذاك الزمن، تقفز معلوماتها من غزو الجراد لبيروت، فالكوليرا في مدينة زحلة، مروراً بمنارة الإسكندرية وقاهرة الزمن المتنوّر، فباريس التي «تحب نفسها وتمتّع نفسها»، ومنها إلى أميركا وحربها مع إسبانيا في كوبا، ثم عمّال الصين وحروبهم الدموية في البيرو.

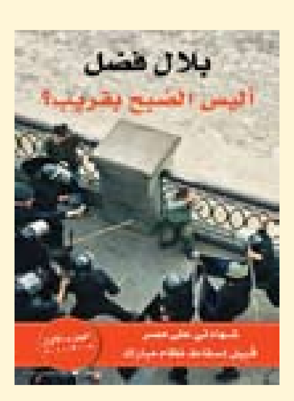


مبرر السرد والاستحضار يكمن في متابعة يوميات فارس هاشم، الذي تبنّى حلم والده، بالنهوض بالوطن والأمة، فعاش حياته بهاجس يختصره قسمٌ تشاركه مع أصدقاء الهجرة، يقول: بـ«أنني سأعود إلى بلادي المقدّسة، بعد نيلي شهادتي، لأعمل فيها على نهضتها، في مدنها قاطبةً، وفي كل قراها الطاهرة»..

وقد دفعت بفارس إلى الهجرة، محطة «تاريخية» محلية تختصر أزمة الفكر الديني التي سدّت منفذ العلوم الحديثة فاستوجب طلبها في مواطنها خارج الوطن، حيث وجد طلاب الطبّ نور المعرفة الحديثة كإيمان بديل، في مواجهة «تديّن» فكر البعثة التبشيرية، الذي أدان علوم العالم البريطاني تشارلز دارون، وكل من «بشّر» بها، وصولاً إلى فصل أستاذ طبّ، و«محاكمة» الطلاب المعترضين، ما جعلهم يتفرقون بين مصر وأميركا لإتمام العلم. فتقود تلك الأزمة جرجي زيدان (وهو صديق فارس منذ الطفولة المدرسية، وأحد خيوط البطولة في الرواية) إلى القاهرة، ليتابع فيها دراسة الطبّ، إلا أن عاصمة النور العربية حينها، قادته باتجاه اللغة والأدب، فكان له ما أراده لنفسه: «العمل على نهضتها».

نَفَسُ الرواية في السرد التاريخي ليس قصيراً، ولا هو بطويل، إنه أقرب إلى آلية التنفّس. فما يميّز رواية رشيد الضعيف على هذا المستوى، هو المنحى التبسيطي في السرد، دون التقصير في مدّ القارئ بمعلومات حول ذاكرة الوطن والحروب ودول المهجر.

مقدمات الثورة



«أليس الصبح بقريب »، كتاب جديد للمصري الساخر بلال فضل صدر عن دار بلومزبري قطر. وكعادته حين يصدر كتبه يستعين فضل بنص شعري مثلما حدث في «قلمين» و«السكان الأصليين لمصر» و«ضحك مجروح»، فوضع في المقدمة جزءاً من قصيدة الأبنودي «المد والجزر» التي كتبها عام 1981 قبيل اغتيال السادات بشهرين.

الكتاب عبارة عن مجموعة مقالات نشرها بلال من عام 2008 وحتى عام 2010، حيث أقسم في أولى هذه المقالات بأن التغيير سيأتي على مصر لأنها تستحق ذلك.

هو كتاب عن السنوات السوداء التي عانت منها مصر في حكم رئيسها المخلوع مبارك، فمن فوز مصطفى الفقي – سكرتير الرئيس للمعلومات ذات مرة – بجائزة مبارك في الاجتماع، وعشرات سواه يستحقونها إلى سرقة لوحة الخشخاش، وحتى الهجوم المنظم على محمد البرادعي حتى بانجو خالد سعيد.

كان لابد أن تقوم ثورة في ظل نظام لا يقرأ المقدمات ولا ينتبه إلى البدايات.

هانس فيرنر غيردس

حشود مراكش

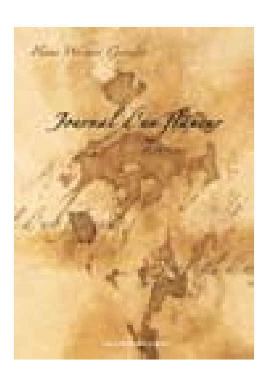
| **عبدالحق ميفراني** - المغرب

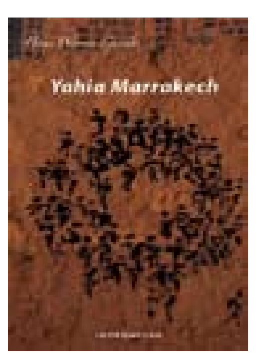
إلى جانب الفن التشكيلي عرف الفنان والكاتب الألماني هانس فيرنر غيردس (ولد 1925)، بكتاباته السردية (الأوتوبيوغرافية)، وكانت دار «كراس المتوحد» وراء إخراج إصداراته وترجمتها إلى العربية، من خلال كتابيه: يحيى مراكش- بالعربية والفرنسية، ويوميات متسكع journal d'un flaneur بالفرنسية. كما سبق للدار أن احتضنت معرضا استعاديا لتجربته الفنية من خلال تنظيمها لمعرض تشكيلي أرخ لمسيرة الفنان التشكيلية.

عشق غيردس مدينة مراكش ومتاهاتها منذ الستينيات، تسكع داخل جامع الفنا وجبال الأطلس والدباغين وحدائق أكدال والمواسين وسوق الخميس.. تعود الجلوس بمقهى «ماطيش» المركز العالمي للثقافات كما يسميها صديقه «المراكشي» الكاتب الإسباني خوان غويتيسولو، وتعلم أساليب التراث الشفوي.. ساعده هنا الحضور في اكتشاف طريقة جديدة في الفن والكتابة ابتكر عبرها طريقة الفن الحشدي Foulisme.

في كتاب «يحيى مراكش» يكتب غيردس كما يرسم، إذ يشير في علاقته بمراكش وبالرسم «أذهلتني حشود مراكش بحيث أصبحت أرسم دون أن أعي ما أفعل، لم أكن أتحكم في ذاتي: مشدوداً إلى إيقاع الموسيقى ومحاصراً بتنقلات الحشود، أرسم مشاهداتي، كانت الريشة تترك بصاماتها على الورق دون تدخل مني أنا الشاهد»، وهكذا تأتي أعمال غيردس لتحقق دواره الإيقاعي أو ما يسميه لطخاً تجسيدياً يحول مراكش إلى «بورتريه» مصغر.

يكتب غيردس: «مراكش حشود عديدة، امتلاء، كتل من البشر، حلقات متحركة وكلام مرتجل، جامع هكذا أشياء هي مراكش.. تحت شمسها يتوهج الحطام، مزيج من الألوان شبيه بشبكة من الخيوط تتمدد فوق الأرض». وهكذا يصور غيردس المكان بالفرشاة، ويسميها «بوابة العالم». وفي «يوميات متسكع» نكتشف مع غيردس أن الدخول لمراكش يبدأ بسفر سحري من مساحة جامع الفنا، إذ عبر هذا الفضاء الفرجوي ينطلق السفر الداخلي نحو عوالم المكان، بحس جمالي من خلال العين «السائحة» عين «الآخر» وهي عين غيرتس تمسك بالناس وتجعلهم حشوداً في عالمه الفنتستيكي.





حذاء يشبهني!

في مجموعتها القصصية «حذاء أزرق» لكندة السوادي، الصادرة عن داري «محاكاة» و«النايا»/دمشق، نقرأ نصوصاً أقرب إلى التسكع اللامبالي.

تشتبك المؤلفة مع شخصياتها بعلاقة حميمة، هي علاقة أقرب إلى المشاكسة تقتحم فيها الآخر بغرض تخريب سكينته. يتجلى ذلك على نحو واضح وناجح في قصة «عصفور السيدة الصغيرة المراهق»، إذ تتعرف الساردة على شابة رصينة تسكن وحيدة، فيأبى طيف الكاتبة إلا أن يلاحقها لينبش فيما وراء هدوئها واستقرارها، بل إن هذا الطيف يضيّق على الشابة فتحس بوجوده الكثيف ولا تجد فكاكاً منه. حتى الحبيب، في قصة أخرى، لن يجد مهرباً كما سنجد في الاقتباس التالي الذي يعبر عن لغة الكاتبة: «هكذا أخرجت جبيني من تحت الأغطية لأخرج بالحل الذي اعتقدته ذهبياً في فك الاشتباك مع هلوساتي، سألتصق بظهره. أي سألتصق به. جسدياً أقصد. مثل قرد صغير مذعور، ماذا سيفعل؟ نعم لن يقدر على نزعي منه مهما حصل. إذا ما التصقت به بهذه الطريقة المحرجة، سيمشي بين الناس مطأطئاً ومرتبكاً بالجسد الأنثوي المتعربش به بكل أمومة الأدغال.. غداً سأذهب إليه، وألتصق بصدره كضماد منتهي الصلاحية... حتى لو هشم وجهي في ذروة استفزازي الماجن له، لن أبتعد خطوة واحدة: حبيبي بلا حيونة! لا تهجرني أرجوك. أرجوك.. هنا ما سأقوله له.. هنا هو الحل!!.

فيما يشبه الحفريات «الأركيولوجية» يعود الناقد الأدبي والمسرحي البحريني الدكتور إبراهيم غلوم إلى المرحلة التأسيسية للمسرح في منطقة الخليج العربي، عبر كتابه الجديد «المسرح الموازي - سوسيولوجيا البدايات المسرحية والوعي القومي في مجتمعات الخليج العربي: 1925 – 1958» (الانتشار العربي - بيروت).



التنقيب في المسرح الخليجي

عبد الله الحامدي

يذكر غلوم في المقدمة أن دراسته هذه تعتبر امتداداً لدراسات نقدية انشغل بها منذ بداية الثمانينيات حول البحث عن تقابلات بنيوية بين الفنون الدرامية (المسرح، القصة، القصيدة، الرواية) وبين حركة التغير الاجتماعي والسياسي في مجتمعات الخليج العربي، منوهاً بأن كتابات كثيرة عالجت الموضوع الأساسي للكتاب، ألا وهو بواكير الحركة المسرحية في الكويت والبحرين، لكن مشكلة هذه الكتابات، حسبما يرى المؤلف، أنها تفتقر إلى المنهج النقدي الواضح.

ولا ينكر المؤلف أن جهود كل هؤلاء مفيدة، كونها تسرد وقائع تاريخية جديدة أحياناً، ويقول: إن هذا النمط من البحث تطلب منه تنقيباً واسعاً يتجاوز الكتابات السابقة، من خلال عدة مصادر، تمثلت في مراجعة مراسلات المستشارين الإنكليز في المنطقة والمحفوظة في المكتبة الهندية بلندن، ووثائق الأندية المحلية في البحرين والكويت، وأرشيف الصحافة المحلية، فضلاً عن التحقيق البحثي في تجربة ثلاثة من رواد الحركة المسرحية الخليجية، وهم: إبراهيم العريّض وعبد الرحمن المعاودة وحمد الرجيب.

ويرى مؤلف «المسرح الموازي» أن الوعي القومي لدى مثقفي المنطقة في الربع الأول من القرن العشرين أفرز حركة تنويرية تمثلت في التعليم وإنشاء المكتبات والصحف، وأنه لم يكن من الصدفة أن تتكون أولى بدايات المسرح بالخليج في هذا المناخ النهضوي العربي، والذي كان أحد تجلياته البارزة على سبيل المثال مشروع الشيخ عبدالعزيز الرشيد في الكويت، حين وضع مسرحية قصيرة، أو «محاورة إصلاحية» قدمت عام 1924 بمناسبة افتتاح مدرسة الأحمدية.

ويتضمن الكتاب خمسة فصول، حيث تناول المؤلف في الفصل الأول «مسرحية الوعي القومي - السياق الثقافي الأول لتلقي الوعي القومي»، وفي الفصل الثاني «مسرح عبدالرحمن المعاودة – فضاء الأندية الوطنية»، وفي الفصل الثالث «الدرس القومي وبناء الفضاء العام للمسرح – ولادة النص المسرحي»، وفي الفصل الرابع «إبراهيم العريض ومسرحية الحدث القومي»، وفي الفصل الخامس «مسرح حمد الرجيب – المنابع الواقعية لمسرحية الوعي القومي».

ويجمل د. غلوم النتيجة المباشرة لهذه الدراسة في خاتمة الكتاب بأن الوعي القومي يمثل أولى الحلقات القومية التي قادت دخول مجتمعات الخليج العربي العصر الحديث، مؤكداً أن هذا الوعي استطاع أن يبتكر بشكل تلقائي تشكيلات البواكير المسرحية العربية، ثم ينتهي إلى القول: «إن ذلك لا ينطبق على بواكير المسرح في الخليج فحسب، وإنما في الوطن العربي كله»، مضيفاً: «لقد حدّد المسرح مآل علاقته بالتاريخ (الماضي) منذ ذلك الحين، وعلى مدى أكثر من مئة عام». ويورد المؤلف بعض الوثائق المصورة التي اعتمدها في دراسته، عبر ثلاثين صفحة من نهاية الكتاب، توكيداً على ما ذهب إليه في المتن.

حوارات من جبين الثورة

المدون الجزائري يوسف بعلوج سافر إلى تونس قبل الثورة وفي خضمها وحاول معايشتها عن قرب، تواصل مع بعض الفاعلين فيها في الأدب والسياسة، وأجرى حوارات تخوض كلها في مسارات ويوميات وإرهاصات الثورة، ولم يكن مجاملاً في «على جبينها ثورة وكتاب»، وهو عنوان الكتاب الذي أنجزه عن ثورة الياسمين. الكتاب صدر عن منشورات فيسيرا بالجزائر وهو أول كتاب جزائري يؤرخ ويوثق لثورة تونس، وينقسم إلى عدة أجزاء اختار لها الكاتب بعلوج عناوين مختلفة لكنها تشترك كلها في الجبين: «جبين السياسة»، «جبين التدوين»، «جبين الكتابة»



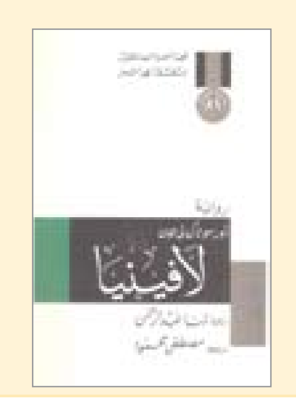
الخيال العلمي الناعم

النبوءة التي حملتها أبيات «فيرجيل» لزوجة «إينياس» الثانية «لافينيا» في «الإلياذة» هي ما اعتمدت عليه الكاتبة الأميركية «أورسولاكي لي جوين» في روايتها «لافينيا» الصادرة عن سلسلة الجوائز من الهيئة المصرية العامة للكتاب بترجمة لنا عبدالرحمن.

في اليوم السابق لنزول «إينياس» إلى «لاتينيوم» تمسك نيران غامضة بشعر «لافينيا» ابنة الملك «لاتينوس» والملكة «أماتا» اللتين كانتا تحكمان «لاتينيوم» في عصر ما قبل الرومان، وتفقد «أماتا» طفليها بعد أن يصابا بمرض نادر ثم تصاب بالجنون وتصر على زواج «لافينيا» من ابن أختها «تورنوس» ولي عهد «روتاليا» المملكة المجاورة. لكن «لافينيا» تتردد وتتبع كلمات النبوءة، ويعلن الملك «لاتينوس» أنها سوف تتزوج من «إينياس» الغريب القادم حديثاً من «طروادة» لتبدأ الحرب الأهلية، ويكون مقدراً لبطل «فيرجيل» تأسيس امبراطورية.

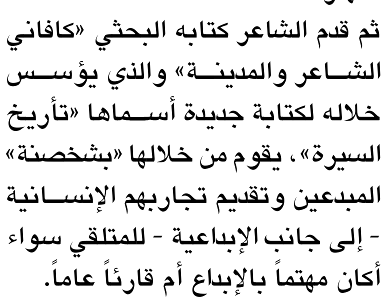
ومن هناك عبر الميثولوجيا غير التاريخية، بعيداً عن عدم اليقين لعلماء الآثار في فترة تاريخية غير واضحة تماماً للمؤرخين من تاريخ ما قبل الامبراطورية الرومانية تدور أجواء رواية «لافينيا» حيث عالم الفانتازيا داخل العلوم الاجتماعية والأنثروبولوجيا أو الخيال العلمي الناعم في العلوم الاجتماعية.

وقد حصلت «أورسولاكي لي جوين» على جائزة «ديمون نايت» التذكارية الكبرى، وهي جائزة سنوية يمنحها الاتحاد الأميركي لكتاب الخيال العلمي، كما لاقت روايتها الأولى «اليد اليسرى للنظام» رواجاً كبيراً، وحصلت على عدة جوائز أخرى.



قصائد بالأبيض والأسود

صدر مؤخراً في القاهرة ديوان العامية «أبيض وأسود» للشاعر المصري وسام الدويك عن دار (إيزيس للفنون والنشر). الديوان الذي يقع في مئة صفحة من القطع المتوسط كتبت قصائده بين عامي 1994 و2004 ويحتوي على ثماني عشرة قصيدة تأرجحت بين التفعيلية والنثرية.



يذكر أن الديوان هو رابع أعمال (الدويك) الشعرية وخامس كتبه، حيث صدر له عن هيئة قصور الثقافة المصرية ديوانان هما: «يرجع العاديون مكبلين بالياسمين» 1999، و«الخروج في النهار» 2002.

ثم قدم الشاعر كتابه البحثي «كافاني الشاعر والمدينة» والذي يؤسس خلاله لكتابة جديدة أسماها «تأريخ السيرة»، يقوم من خلالها «بشخصنة» المبدعين وتقديم تجاربهم الإنسانية - إلى جانب الإبداعية - للمتلقي سواء أكان مهتماً بالإبداع أم قارئاً عاماً.

كما صدر للدويك ديوان بعنوان «الشرفات» 2009 عن سلسلة «كتاب المرسم» التي يشرف عليها الفنان التشكيلي «أحمد الجنايني».

يذكر أن الشاعر من مواليد القاهرة 1971 وقد حصل على ليسانس الآثار المصرية ويعمل بالإعلام منذ تخرجه حتى اليوم.

بحر العرب
مرآة العالم

| محسن العتيقي

ليس جديداً تناول منجزات العرب والمسلمين القدامى، ولعلنا نميل إلى الملل من الدراسات التحليلية الفردية التواقة للماضي، ويحق هنا بعيداً عن هذا الانغماس أن يعزى تأخر مؤرخ العلوم والتقنيات عن تدوين ما حفل به التاريخ العربي والإسلامي في هذا المجال لأسباب ترتبط بتقدم العلوم والاقتصاد، وهي ميادين تتطلب تراكماً يقاس في التأليف التاريخي بقرون عدة. معطى يتوقف عند المحترفين الأثريين على توفر حفريات ووثائق تاريخية جذابة. ومن ناحية أخرى، فإن أي تأليف للتاريخ يخلو من العمل الجماعي المتخصص مآله في عرف المؤرخين السقوط في لعبة التخيل والظن المطلق.

يحيلنا ما سبق في سياق هذا التقديم لكتاب «التاريخ البحري للمحيط الهندي منذ الإدريسي وصولاً إلى ابن ماجد ومن يليهما» أن دراسة التاريخ وتجديد رؤيتنا حوله تبقى السند المستقبلي لاستدراك بعض الضلال التاريخي. الكتاب صادر ضمن منشورات وزارة الثقافة والفنون والتراث في قطر، ترجمة د. نبيلة يوسف الزواوي، تحرير خال طورابي وأمينة غوريب، ومراجعة د. محمد لطفي اليوسفي. ويشمل أبحاثاً علمية تسرد التاريخ العربي والإسلامي في المحيط الهندي اعتماداً على مصادر موثقة، قام بالتحقق منها وتأليفها مجموعة من المتخصصين المعاصرين:



عالم الحفريات أنور جانو، عالم البحرية علي رضا إسبك، المؤرخ أسعد بوغله، عالم الآثار هنري دانييل ليسكوفسكي، المؤرخة مارينا كارتر، المؤرخ ممتاز إمريث، المفكر والمهندس مارسيل لينسداي. هذه البحوث أنجزت بمناسبة احتفاء حكومة موريشيوس بمساهمة الشريف الإدريسي وغيره من الرحالة والملاحين في تعزيز علوم الجغرافيا في العالم، وقد نشر العمل ضمن احتفالية الدوحة عاصمة الثقافة العربية 2010.

ينطلق الكتاب حسب ديباجته، من ضرورة إلغاء مقولة إن التاريخ يكتبه المنتصر، ليطرح ضمن ما يطرحه من تساؤلات، لماذا لا يخفى على أحد أن فاسكو دا جاما اكتشف أنه يمكن الوصول إلى الهند عبر الدوران حول رأس الرجاء الصالح، ولا يُنكر أن ابن ماجد أو أحد تلاميذه رافقه على متن سفينته، وأرشده إلى الطريق التي نال الأمجاد حين اكتشفها.

الاستنتاجات الواردة في الكتاب تتجاوز نقد حقيقة التأليف الاستعماري الانتقائي، إلى تصوير ملحمة باهرة عن فترة هيمنة العرب على المحيط الهندي دامت ثمانية قرون، فترة نمو تجاري بلغ مداه بعيداً يرده الدارسون إلى أدبيات التجارة العربية الحرة ومراعاة حرمة الثقة في الصفقات التجارية، فمن الصحراء إلى عباب البحار لم يتغير العرف العربي الموروث من تجارة القوافل. واعتماداً على خرائط وصور، يسرد الكتاب القصة الكاملة للمراكب الشراعية العربية التي أبحرت لأول مرة عكس اتجاه الرياح، لتؤمن التجارة عبر الطرق التجارية البحرية على مدى شواطئ آسيا وبحر العرب وجنوب الصين والساحل الشرقي لإفريقيا، وصولاً إلى جنوب الموزنبيق. كما يستفيض السرد والتحليل في ذكر أصناف السلع والمنتجات، التوابل التي شكلت عنصراً هاماً في التجارة القديمة، كيف أنها تحررت، محققة رخاء اقتصادياً مع مجيء الملاحين العرب، وجعلت التجار أثرياء العالم، بل كشفت للأوروبيين عن وجود قارات بأكملها. ويتتبع الكتاب مراحل النشاط التجاري للبحارة العرب وتوسعهم الاجتماعي والثقافي على سواحل المحيط الهندي حتى باتوا أكبر المستفيدين من احتياجات أوروبا، إلى غاية صعود الامبراطورية العثمانية، ثم الهيمنة الأوروبية السياسية والاقتصادية بعد رحلات فاسكو دا جاما الاستكشافية في المحيط الهندي ابتداء من ق 15م.

الحديث عن القرون التي ظل المحيط الهندي شاهداً فيها على مهارة العرب والعثمانيين في الملاحة، هو حديث يلتصق بمعرفتهم المتواصلة بالعلوم الجغرافية ورسم الخرائط وعلم الفلك والأرصاد الجوية وعلم الملاحة وبناء السفن، وفي هذا تتوزع في الكتاب سير أعلام الجغرافيا وعلوم أخرى كانت بلاد

الإســلام مختبــر اكتشــافها وتطويرها.
ومن خــلال جرد لأرشــيف الخوارزمي، وابن ماجد، والشــريف الإدريسي، وابن بطوطة، وكمال بيــري ريّس في العصر العثمانــي، وكذلــك مدونــات الرحلات الموثقة، وأمثلة كثيرة، نســتطيع وفق منجزها الأصيل، أن نتحدث عن حضارة بحرية مزدهرة، قامت على أسس علمية طــوّرت الرؤيــة البطليموســية للعالم، وأكملت صورة البحر واليابسة.
وإلى جانب ذكر سير الأعلام يورد الكتاب تعليقــات اعتماداً على مؤلفاتهم تشــمل تفصيلات حول تقنيــات الملاحة وإدارة طاقم الســفينة، وملاحظــات حول علم الفلك، وكذلــك أماكن الخلجان والموانئ والطرق الملاحيــة، وتفاصيل عن حياة وثقافة شــعوب المحيــط الهندي، وهي تعليقات تخلص إلى تقدم علمي، سرعان ما أصبح المرجع الشــامل عــن المحيط الهندي وجلب انتباه الملاحين الأوروبيين والمخططين العسكريين إلى هذه الشبكة التجارية النشطة.
يســتدل هنري دانييل ليسكوفســكي من خلال حفريات بجــزر القمر ما بين العام 1995 و1998 على وجود كشــوفات عن أنواع المقايضات والمنتوجات الإسلامية في المحيــط الهندي حيث تم العثور على حجــر الاثمــد والكحل وعملات فارســية وحلقــات مختلفة من النحــاس والرأس ذي العمامــة والســيراميك الإســلامي، ويعلــق ليسكوفســكي «الواضح أن هذه الحفريات تكشف منتجات من أصل عربي وهي تعكس أهمية التجارة النشطة التي مارســها التجار العرب والمســلمون في منطقة المحيط الهندي».
لا نختلف في أن التاريخ الإســلامي بناء أصيل تهاوى منه الكثير، لذا تبقى الحاجة لأي بنــاء جديد هي كنــس الأنقاض. هذا الكتاب «التاريخ البحري للمحيط الهندي منذ الإدريسي وصولاً إلى ابن ماجد ومن يليهمــا» هو عمل ترميمي. ولكن لا يجوز لنا أن نتكلم عــن ترميم متواصل حقاً إلا بعد أن ينجز من تجديــد رؤيتنا للتاريخ قسم كبير.

الهروب نحو الموّال

هويدا صالح - القاهرة

لا تجد الذات الســاردة لحالها من شــفاء سوى سرد خيبات الأمل، فمن الصمت إلــى الكونشــيرتو والأغاني تتشكل أوجاع النســاء في رواية مي خالد «تانجو وموال» الصادرة حديثا عن دار العين بالقاهرة.



بطلة الرواية فيولا الخيط الرابط بيــن الصمــت والصخــب، مــن فرط افتتانهــا بالموســيقى تســمي باقي شخصيات الرواية بآلات موسيقية، وتحتفــظ لنفســها بالفيــولا كاســم جريح.
فيولا تُغيِّب عن قصد صوتها وراء طبقــات من الصمــت يجعلهــا نزيلة مستشــفى للأمراض النفســية، ومنذ الصفحات الأولى تقع ضحية لأطباء لا يعرفــون كيــف يلمســون وجعها الروحــي. وجع يتعب روح النســاء فيختــرن البحــث عن وســيلة أخرى تخلصهــن مــن الألــم علــى ضربات الدفوف والرقص فــي طقوس «الزار البلدي».
تحتفي الســاردة بالموســيقى، والآلات وأصواتهــا واســتخداماتها، وتحتفــي علــى وجــه الخصــوص بالفيــولا الكمان الصغيــر، رغم أنها أهدت روايتها لآلة الكونترباص.
«ربــاب رفعــت» منيعــة تقــدم برنامجها الموســيقي تانجو وموال، تتواصــل مــع مســتمعيها بصوتهــا الرقيــق، فجــأة تدخل فــي حالة من الصمت الشارد بعد أن تخلى عنها كل الرجال الذين تقلبت بين أكفهم، تختار رباب لكل واحــد من أبطال غرامياتها آلة تناســبه.. رياض يشــبه طبلة، ومروان بيانو، وحسين سكسافون.
ولا يتوقف الأمــر في تلك الهزائم والخيبات عند الشــخصيات النسائية فقط، بل حتى الشــخصيات الذكورية في الرواية مهزومة وغير متحققة.
اعتمــدت الكاتبــة ضميــر الأنــا الساردة ليناســب حالة الصمت التي تلبســتها، كمــا يناســب المونولوج تصوير الصمت.
تختم الرواية بســردية سينارية «تنساب الموســيقى الحالمة، يكون على راقص التانجــو أن يقود امرأته إلى ســاحة الرقص، ينظر في عينيها بثوان ويتبادلان حواراً هامســاً، إلى أن تبــدأ في الإحســاس مثله بالنغم. يبدأ هــو بالعناق الخفيف تــاركاً لها حرية اختيار مدى التصاقه بها، يثير الإيقاع في ذهنه خطوات ووضعيات للرقــص، فيقودهــا في رقــة لتغيير موقعها بتلقائية مدروسة ويبحر بها إلى أعماق نفسه ونفسها».

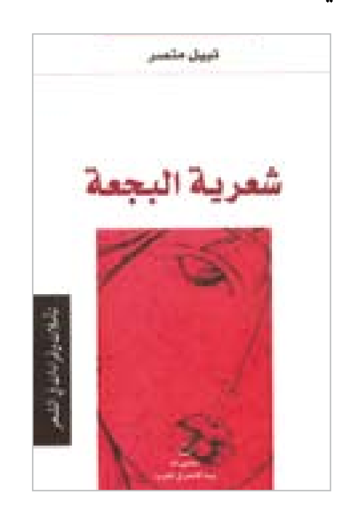
شعرية لقاء البجعة بالماء

| أنيس الرافعي

يتوزع المؤلف، الذي جاء في 304 صفحات من القطع الكبير وأشرف على تصميمه الفني عبد العزيز أزغاي انطلاقاً من لوحة تجريدية للفنان سعيد حسبان، إلى ثلاثة أبواب كبرى، حمل أولها عنوان: «موسيقى أفكار»، وهو بمثابة فرش نظري تمهيدي، أو تأشيرة أولية للولوج إلى أراضي الشعر وجغرافياته، قصد التعرف ببوصلة المستكشف المغامر على تضاريسه وإحداثياته الوعرة، كلما قادتك أقدام المعرفة واستقصاءات الفضول صوب ما يتخلل ثياب القصيدة أو ما تحيل عليه الخيوط المنسلة من قماشتها، سواء أكان طاعناً في الميثولوجيا مثل النار والخلود والصمت والهاوية والعمق والإيروسية والعود الأبدي، أو منغرساً في الحاضر مثل انطولوجيا الانتحار وشاعرية المسودة وشعرية الحد الأدنى، أو قادماً من المستقبل مثل البحث عن أثر الفراشة والقسوة والسعادة والشقاء والألم والبقاء والسفر والشجن، وغيرها من الحدوس والأوراق القيمة التي استخرجها صاحب «أعمال المجهول» من أدراجه وأضابيره، اعتقاداً منه بأن «لا شيء يضيع، وكل شيء يتحول. لكننا، مع ذلك، نأنس لأوراق، تجعل نسيماً خاصاً، يهب علينا من ماضينا الشخصي، ليغرقنا في أحلام يقظة، نلملم من نثارها صورة عن الإنسان الذي كناه، والذي ربما صعد من رفاته هذا الكائن الجديد، الذي يستمر في مراودة الكتابة عن نفسها، غير واع بحجم وحقيقة التحولات والانجرافات، التي وضعته في هذا الطريق».

أما الباب الثاني فقد جاء موسوماً بـ«التفاتة أورفي»، وهو فعلاً التفاتة معاصرة على شكل مقاربات تمزج بين النقدي الرصين والانطباعي العاشق لمتون شعرية عربية ومغربية لكل من محمود درويش وسعدي يوسف ومحمد بنيس وبول شاوول وعبد الله زريقة وعبده وازن وحسن نجمي ومبارك وساط ومحمد الصابر وعائشة البصري وعبد الإله الصالحي وكمال أخلاقي، وقد انصبت على تحليل «الأسطورة الشخصية» لهؤلاء المبدعين من خلال متخيلهم ونظرتهم الأنطولوجية للعالم وتوسلهم بالشعر كطريقة لإشفاء الكينونة من لواعج وكدمات الوجود.

في حين ركز الباب الثالث والأخير من



الكتاب، والمعمّد بـ«صوت الغريب» على مجموعة من التجارب الشعرية الكونية ذات المنابع والمنابت والمرجعيات المختلفة، مع الإلماع إلى درجة تأثيرها في الذائقة الشعرية العربية غداة انتقالها عبر جسر الترجمة. وهكذا تم التطرق لتجارب ألمانية وأميركية وفرنسية وبرتغالية وإسبانية وتشيكية في شخص الشعراء هولدرلين وويتمان وملارمي وبيسوا وباطاي وغامونيدا وأنخيل فالنتي وصوفيا دي مي أندرسن وياروسلاف سيفرست.

وقد اعتمد الدكتور نبيل منصر في هندسته للمفاصل الثلاثة للكتاب على منهجية رمزية قوامها «لقاء البجعة بالماء»، هذا اللقاء «المفجر لرهافة عذبة ومعذّبة في آن، مادامت تنوس بين التكتم والإفشاء، بين الخفاء والتجلي. وهنا لا يقوم الماء مقام اللباس فقط، بل تمتد أعناق أزهار البحيرة وأعشابها المتطاولة، لتشكل ذلك الخباء الطبيعي الذي يسعف المستحمة على صون السر: نبع الحياة. جزء من جمال البجعة وعريها يغرق في الماء، فتوكل للخيال مهنة الإنقاذ».

هذا دون إغفال الإشارة إلى «الأخوات» التي تستدعيها البجعة وتتقاسم معها خبز «مجاورة الجمال للخطر، وتماس الفاتن مع الهلاك المحدق باليد الراغبة»، في إحالة مباشرة إلى كل من نرجس المعذب بصورته المبهرة، وأوفيليا المبددة لجمالها كمدا في المياه العكرة، والسيرينات المستدرجات بغوايتهن وأصواتهن الطروبة للبحارة السذج صوب وليمة القيعان.

وفي الختام، لم يفت مبدع «مدينة نائمة» أن يقدم على سبيل التحذير نصيحة للقارئ المفترض لمؤلفه بضرورة التوفر على مهارات فن العوم، وإلا ستظل الاستعارة الأدبية التي تم تبئير الكتاب حولها «مغلقة على أسرارها، في فضاء المياه العميقة». المياه نفسها، التي كلما اهتزت إلا واهتزت دوائر الخيال عند الشاعر ودوائر المتعة عند المتلقي.

نصف ليبيا المفقود



تاريخ بأكمله سرقه القذافي. نساء ملغيات، أحلام مسروقة، طفولة شاردة، هذا ما تسرده رواية «سبع نساء من طرابلس» للكاتب والشاعر الليبي كمال بن حميدة. الرواية صدرت طبعتها الأولى بالفرنسية وترجمت مؤخراً إلى الألمانية، وهي استمرار لمشروع المؤلف المغترب الذي اختار أن يمحوره حول مساءلة بنية المجتمع الليبي، وكشف تناقضاته المترسبة في الذاكرة الليبية.

مشروع يقول عنه بن حميدة محاولة لكتابة التاريخ الإنساني الذي طمسه القذافي. وبطبيعة هذه الحال، ترصد روايته «سبع نساء من طرابلس» الظلم والغياب الذي عانت منه المرأة الليبية. نساء بالكاد يختلسن النظر من النوافذ كي يطللن على مختلف تفاصيل المجتمع الطرابلسي، ويشهدن عليه، الأطفال يروون أسئلتهم التائهة فيقابلون بردود من الحكايات والأساطير أكثر غرابة من أسئلتهم، أما ذهنية الرجل فيضعها الكاتب بين تماهيه مع البنية الفوقية السائدة وبين محاكاة سادية لهذه البنية.

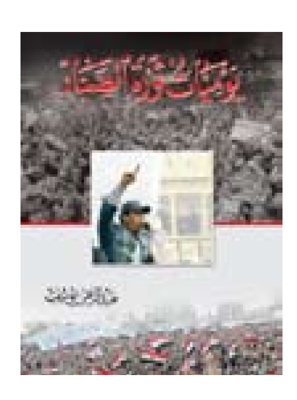
بهذا يعكس بن حميدة في عمله الروائي غرائبية المجتمع الطرابلسي. ليطرح في النهاية مسألة البحث عن مستقبل آخر، مستقبل قد يتحقق جزء منه في ليبيا جديدة، لكنه لن يوصل إلى حلم كامل بمجتمع مغاير لعهده السابق إلا في استيعاب وتأطير مرجعي يتأسس على تغيير فكري عميق للبنى التحتية والبنى الفوقية.

مذكرات «25 يناير»

| علاء الجابري

«في ميدان التحرير، حاصرونا، وحاولوا منع الماء والغذاء والدواء، ونحن صمدنا معتصمين..! وقفنا كنبتة الصَّبَّار في الصحراء، هذه النبتة الأبيَّة التي تعيش رغم انعدام الماء لسنوات وسنوات !» بهذا التقديم يستعير الشاعر المصري عبدالرحمن يوسف نبتة الصبار عنوانا لصورة الثوار المنعزلين بداية في ميدان التحرير، «ثورة الصبار» هو عبارة عن يوميات عن الثورة المصرية نشرها الشاعر متسلسلة ثم أصدرها في كتاب عن دار الشاعر بالاشتراك مع دار العلوم للنشر والتوزيع.

يبدأ الكتاب بمقدمات مهدت للثورة، تزوير انتخابات 2010، الحراك الذي أحدثته «الجمعية الوطنية للتغيير» و«كفاية» والحملة الشعبية لدعم البرادعي، والتي كان عبدالرحمن يوسف منسقها العام حتى مطلع 2011. ويسهب المؤلف في الحكي عن تفاصيل يوم 25



يناير تحديداً، فاحتل حوالي 25 % من صفحات الكتاب.

يلح المؤلف على أنه كان متنبئاً بالثورة متوقعاً لها، صحيح أنه يحاول توثيق ذلك بمقالات كتبها قبل الثورة، وقصائد كان قد كتبها من قبل يلمح فيها إلى اقتراب الأيام الأخيرة لمبارك من مثل قصيدة «الطريدة»، وغيرها من قصائده التي يتخذها عتبات لفصول الكتاب.

كما استعان الكاتب بالشعر العمودي، في سياق تنكر موقف ما، أو فيما يتآزر مع ما يستعين به من الأمثال الشعبية لقيمتها الاستعارية في الاقناع وتكثيف الحكاية دون استطراد، فالشعب في عين الرئيس السابق (خد متعود على اللطم) وهو الذي لم يعلم قيمة مصر (زبال وفي ايده وردة).

معظم الشخوص الحاضرين في الكتاب من الوجوه المعروفة، لعل أبرزهم محمد البرادعي، وكذا عبدالجليل مصطفى وياسر الهواري ومصطفى النجار، والبعض يومض ثم يختفي مثل بلال فضل وعباس أبو الحسن.. في حين غاب التركيز على بعض الشخوص، مثل «وائل غنيم» برغم دوره الكبير في تنظيم الثورة في الفضاء الافتراضي.

الكتاب مذكرات في ستة فصول يستعيد فيها الشاعر مشاهد من ميدان التحرير، منذ انطلاق الشرارة الأولى يوم 25 يناير 2011 وما سبقها من تحضيرات، وحتى إسقاط مبارك. وينقسم الكتاب إلى عدة فصول وهي على التوالي:

كيف انطلقت ثورة الصَّبَّار؟، جمعة غضب لكل الشعب، معركة الصبر، العنف لن يفيد، نضال وسياسة، الانتصار.

المسلمون في الصين

تاريخ المعاناة والتسامح

د. عبدالقادر بن حمود القحطاني*



استغلت الصين انشغال العالم الإسلامي والعربي بالثورات المشتعلة في كثير من دوله، وبالمجاعة في القرن الإفريقي لشن حملة تطهير عرقي جديدة ضد مسلمي الإيغور في إقليم شينجيانغ.

في يوليو الماضي وقع هجوم كبير في مدينة كاشغر نتج عنه سقوط 14 قتيلا وإصابة 42 شخصاً، الرواية الرسمية للصين دائماً ما توجه اتهامها للانفصاليين من إقليم شينجيانغ لسعيهم لإقامة دولة مستقلة تحت اسم تركستان الشرقية.

لكن منظمات حقوقية دولية كثيرة اتهمت السلطات الصينية صراحة بقمع الأقلية المسلمة في الإقليم، منحازة في ذلك إلى أقلية «الهان» من أجل تغيير ديموغرافي لصالحها.

للمسلمين في الصين تاريخ عريق، حيث وصلها الإسلام مع الفتوحات الكبرى على يد قتيبة بن مسلم الباهلي (96-98 هـ)، ومنذ ذلك التاريخ لم ينقطع الاتصال بين مسلمي الصين والعالم الإسلامي، وامتد تأثير المنطقة إلى الإسلام في فترة حكم ستوف بغراخان خاقان الامبراطورية القراخانية عام (323هـ - 943م) وأسلم معه ما يقارب مليون نسمة. ذكر عالم التاريخ الصيني (تشن يوان)، أن الإسلام دخل الصين في 156م، في عهد الامبراطور (تانغ)، وقد بعث عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، مبعوثاً إلى الامبراطور الصيني (تانغ)، يوضح له الدين الإسلامي والمبادئ الإنسانية التي يقوم عليها. ومنذ ذلك التاريخ بدأ الإسلام ينشر نوره في الصين.

وكان اعتناق أسرة (الهان) للإسلام من الأسباب التي أدت إلى انتشاره في الجهة الغربية من البلاد، كما أن تطور المواصلات بين غرب الصين والعاصمة تشانغ، وارتباطها بآسيا الوسطى وهضبة الأناضول وبلاد فارس وأفغانستان وتركستان كان من الأسباب التي ساعدت على انتشار الإسلام.

وازداد الإسلام انتشاراً في القرن الثالث عشر، بوصول عدد من التجار العرب والمسلمين، وكذلك غزو (جنكيز خان) ملك سمرقند للصين في 1215م .

وازدهر الإسلام في عهد أسرة (تانغ) الحاكمة، حيث سمح للمسلمين ببناء المساجد والمدارس والمعاهد الإسلامية، وطبع الكتب واستيرادها من الخارج. وكان في مقدمة المساجد التي بنيت في الصين مسجد (الشوق) إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومسجد الصحابة، ومسجد شيانخة، ومسجد منغ هوانغ، وهي أقدم أربعة مساجد في الصين. ويصل عدد المساجد حالياً في الصين أكثر من 40 ألف مسجد.

وفي أواخر حكم أسرة (يوان) في منتصف القرن الرابع عشر، تم تأسيس هيئة إسلامية في الصين للإشراف على بناء المساجد وإدارة الشؤون الإسلامية.

ونظراً للصفات الحميدة التي تميز بها المسلمون عن غيرهم لم يواجهوا صعوبة في الزواج من الأسر الصينية.

ومن المآثر التي يذكرها الصينيون عن المسلمين أنهم لا يشربون الخمر ولا يتعاطون المخدرات،كما أن المسلمين كانوا يقومون بشراء الأطفال الذين يبيعهم أهاليهم نتيجة المجاعة ويقومون بتربيتهم على الإسلام ويعاملونهم معاملة كريمة.

ولكن تعرض المسلمون في عهد حكم أسرة (مينغ) إلى الاضطهاد والتنكيل، وتدهورت أحوالهم الاقتصادية ومكانتهم الاجتماعية، ووضعت قيود على ممارسة عباداتهم، وبسبب انتشار المسلمين على نطاق واسع داخل الصين، ظهرت عوائق في الاتصال والتواصل بين المناطق التي يقطنها المسلمون، الأمر الذي أدى إلى انقسام المسلمين إلى عشر قوميات وهي:

الويغور

الويغور، تعني التضامن بين أفراد القومية. وأفراد هذه القومية يتركزون في منطقة (شينجيانغ)، الذاتية الحكم، ويقطن عدد منها مناطق خنان، وهونان، وغيرها من المناطق الصينية. ويبلغ عدد أفراد هذه القومية نحو 9 ملايين نسمة حالياً.

اعتنق الويغور الإسلام منذ بداية القرن العاشر الميلادي، وأكبر مسجد في منطقة شينجيانغ مسجد الأذكار.

القازاق

قومية القازاق المسلمة يتوزع أفرادها في مناطق، ييلي وتشنغ، والتاي. اعتنق القازاق الإسلام منذ عهد مبكر من تاريخ الإسلام، واستطاع القازاق في القرن الخامس عشر تأسيس مملكة (قازاق خان) في شمال الصين، التي تتمتع بالحكم الذاتي.

القرغيز

تقع القرغيز في منطقة شينجيانغ بولاية كهسيلهسو، التي تتمتع بالحكم الذاتي، اعتنقوا الإسلام منذ وقت مبكر، واهتموا ببناء المساجد والمدارس الإسلامية، وبينهم عدد كبير من العلماء المتخصصين في الدين الإسلامي والخطباء، ويعرفون بحبهم للأعمال الأدبية التي تجسد البطولات، وأهم الأعمال الأدبية التي ألفها أحد أدبائهم (ملحمة الشعر التاريخية – ماناس).

الأوزبك

اعتنق الأوزبك الإسلام في مطلع القرن الخامس عشر، ويتركز أفراد هذه القومية في شينجيانغ والمناطق المحيطة بها. واللغة الأوزبكية تقريباً مثل اللغة الأفغانية والفارسية ويكتبون بحروف عربية كما هو الحال في أفغانستان وايران.

الطاجيك

اعتنق الطاجيك الإسلام في القرن الحادي عشر ويتوزعون على مذاهب السنة والشيعة والإسماعيلية. ويقطنون في المناطق الشمالية الغربية من الصين، مثل تاشيكور، ويارقند، ويهتشنغ وتسهبو واكتاو. وهم متأثرون بالأدب الفارسي.

التتار

التتار من القبائل البدائية، ومقرها شمال الصين، اعتنق أفرادها الإسلام منذ العصور الوسطى، وهاجرت إلى منطقة شينجيانغ.

هواي

هناك من يؤكد أن أبناء قومية هواي من أصول عربية وفارسية وأفغانية وتركية، وأن ملامح وجوههم تدل على ذلك، وأنهم قدموا من أوطانهم إلى الصين لأجل التجارة ونشر الإسلام وكان ذلك في القرن الثالث عشر في عهد أسرتي تانغ وسونغ.

ومع أن قومية (هواي) تتحدث الصينية غير أن علماءها من المسلمين وأئمة المساجد والقائمين على التعليم يتحدثون اللغة العربية ويستخدمونها في المجال الديني حتى اليوم. ويبلغ عدد أبناء قومية هواي نحو تسعة ملايين نسمة، منتشرين في غرب الصين وفي الشمال الغربي من البلاد.

سالار

جاء أسلاف هذه القومية من آسيا الوسطى، واعتنق أبناء هذه القومية الإسلام مع غزو جنكيز خان للصين في القرن الثالث عشر الميلادي. ويقطن السالار، مقاطعة تشيتغهاي.

ويحرص أبناء هذه القومية على ترسيخ الوحدة فيما بينهم والعمل على نقل الروايات الشعبية التي تتحدث عن هجرة أسلافهم من آسيا الوسطى إلى الصين، وكفاح أجدادهم في سبيل تحقيق الأمن والأمان لهم.

دونغشيانغ

ينتمي أبناء هذه القومية إلى (السامية) وجاء أسلافهم مع غزو جنكيز خان للصين في القرن الثالث عشر، ومعظم أبناء هذه القومية من أهل السنة، ويحرصون على تعلم العلوم الإسلامية وفي مقدمتها القرآن الكريم. وتم ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الصينية، وكذلك ترجمة معاني القرآن الكريم ومعانيه وبعض الكتب. وتقطن قومية دونغشيانغ مقاطعة (قانسو).

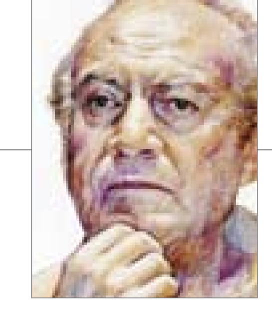
باوان

اعتنق أبناء هذه القومية الإسلام بعد غزو المغول للصين، وتقطن هذه القومية جبل جيشي بلينشيا في مقاطعة قانسو.

ويتمسك أبناء باوان، بالإسلام وتعاليمه من صلاة وصيام ويحج المستطاع منهم، ولهم جمعيات خيرية تقوم بمساعدة الفقراء من المسلمين في الصين. ولهم مساجدهم ومعاهدهم الدينية، ومدارسهم سواء كانت ملحقة بالمساجد أو في أبنية مستقلة.

---

* أستاذ مشارك – قسم التاريخ - جامعة قطر



د. محمد عبد المطلب

الأرقام العربية

الرقم معناه (الكتابة) عموماً، ورقّمت الكتاب بينته بالنقط والحركات، و(العدد): إحصاء الأشياء عموماً، وقد كانت بداية كتابة الأرقام بالكلمات: (واحد – اثنين – ثلاثة) وهكذا، ثم في مرحلة تالية، حلت الحروف محل الكلمات، باستخدام (الأبجدية) أي: أبجد هوز، فكل حرف يمثل رقماً محدداً، (الألف: 1) و(الباء 2) وهكذا، ثم جاء التطور الأخير في كتابة هذه الأرقام التي بين أيدينا: (1 – 2 – 3) إلى آخرها، وكانت هذه المرحلة الأخيرة في القرن الثاني الهجري في عهد الخليفة العباسي (أبي جعفر المنصور)، وشاع استخدام هذه الأرقام ابتداء من القرن الثالث الهجري حتى يومنا هذا، ولم تكن هذه الأرقام وحدها هي المستعملة في العالم العربي، بل ظهر لها منافس في القرن السادس الهجرى في المغرب العربي، هي: (الأرقام الغبارية) على يد العالم الرياضي (ابن الياسمين) تـ601 هـ.

وقد أدى هذا الظهور المزدوج للأرقام إلى خلاف في الرأي، إذ رأى البعض أن الأرقام الغبارية، هي الأرقام العربية، بينما الأرقام المشرقية، أرقام هندية، وهو ما حاول المستشرقون ترسيخه لأهداف ثقافية واستعمارية، وهنا ما يدعونا إلى عقد مقارنة بين هذين النسقين في كتابة الأرقام، ليتضح منها أي النسقين هو الأولى أن ينتسب للثقافة العربية.

الملاحظ أن الأرقام العربية (1 – 2) تتميز بحضور حرف الألف (أ) في معظمها، مع إضافة في قمته تميز كل رقم عن سواه، باستثناء الرقم (4) الذي يتشابه مع حرف (ع)، ورقم (5) الذي يتشابه مع الهاء المربوطة في مثل (قرأه)، أما الرقم (7) فإنه يتداخل شكلياً مع حرف لام ألف (لا)، والرقم (8) مقلوب الحرف السابق، أما (الصفر) فهو النقطة العربية.

أما الأرقام الغبارية، فإنها تلتحم بالحروف اللاتينية، فالرقم (1) يتشابه مع الحرف (I)، والرقم (2) يتشابه مع الحرف (z)، والرقم (3) مقلوب الحرف (E)، والرقم (4) يتشابه مع الحرف (q)، والرقم (5) يتشابه مع الحرف (s)، والرقم (6) يتشابه مع الحرف (B)، والرقم (7) يتشابه مع مقلوب الحرف (F)، والرقم (8) يتشابه مع الحرف (B)، والرقم (9) يتشابه مع الحرف (g)، والرقم (0) يتشابه مع حركة الضم (o)، لكن الأخطر في هذه المقارنة، أن الأرقام المشرقية تسير على نمط الكتابة العربية، أي من اليمين إلى اليسار، بينما الأرقام الغبارية تسير على نمط الكتابة اللاتينية، من اليسار لليمين.

إن اختلاف الآراء جعل البعض يقول إن الأرقام المشرقية، هي الأرقام العربية، والبعض الآخر يرى أن هذه الأرقام أرقام هندية، وأن الأرقام الغبارية هي الأرقام العربية، وأيد الرأي الأخير مثقفو المغرب العربي، وبعض المستشرقين، أما الرأي الأول، فقد أيدته المجامع اللغوية، والمؤسسات الأكاديمية، فقد أصدر المجمع اللغوي في القاهرة قراراً بذلك عام 1986، وأيده اتحاد المجامع العربية عام 1987.

ونحب الإشارة إلى بعض المخاطر التي تترتب على اعتبار الأرقام الغبارية هي الأرقام العربية، وأول هذه المخاطر كسر النسق الثقافي العربي في الكتابة والقراءة في الاتجاه من اليمين إلى اليسار، وهو ما يدخل النشء في صدام بين ما تعودوه من الكتابة من اليمين إلى اليسار، وكتابة الأرقام اللاتينية من اليسار إلى اليمين، والخطر الأكبر أن يتبع النطق الكتابة، وهو ما لاحظته على كثير من الناشئة، إذ لا يعرفون معنى الرقم إذا قيل لهم بالعربية، لأنهم لا يفهمون إلا منطوق ما يكتبون.

أما الكارثة المنتظرة من سيادة الكتابة بالأرقام اللاتينية، فهي أن تعود إلينا الدعوة التي ظهرت في مطلع القرن العشرين، والتي كانت تنادي بإحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية، وهو ما يهدد الهوية العربية في أخص خصائصها (اللغة).



جسد الفن

| عبدالحق ميفراني -مراكش

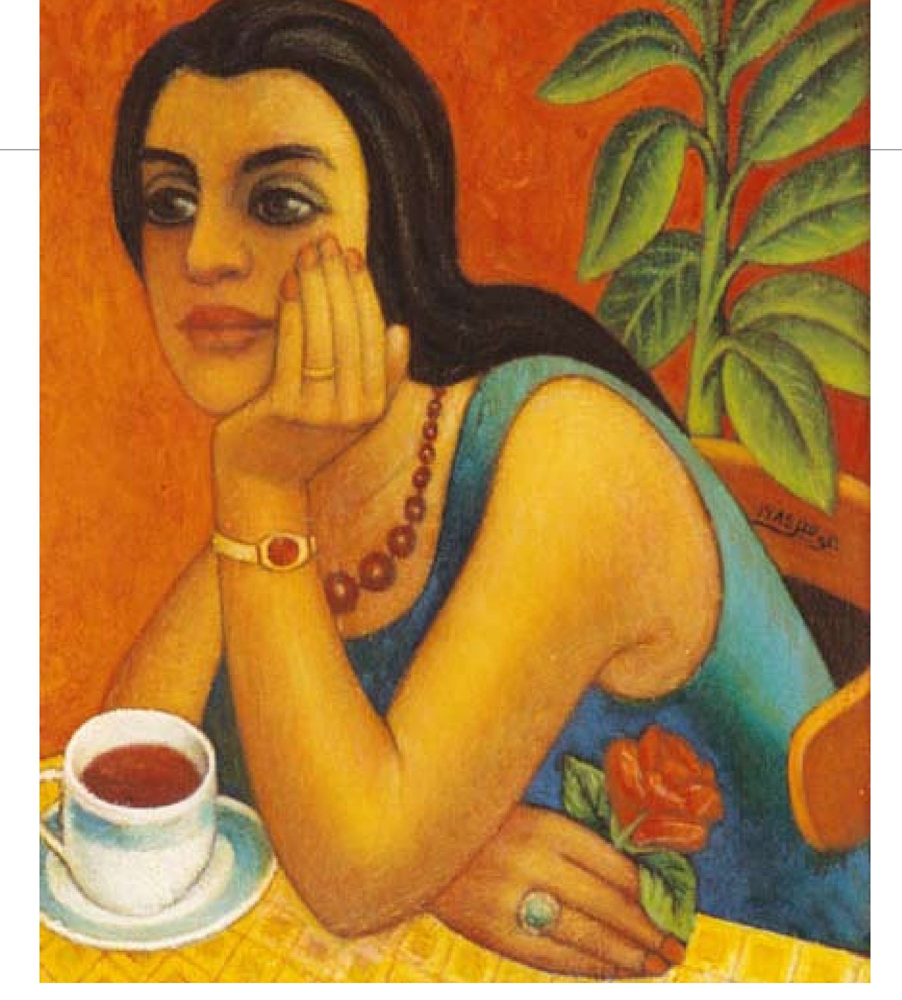
في الوقت الذي هدد فيه ناشطون مغاربة، عبر المنتديات الإلكترونية، بـ«قتل وتصفية» الفنان الفرنسي من أصل مغربي «مهدي جورج لحلو» إذا شارك بعرض فني رسم فيه آيات القرآن على جسده العاري، في معرض الفن الحديث والمعاصر الذي استضافته مدينة مراكش المغربية، خلال الفترة من 30 سبتمبر/أيلول إلى 3 أكتوبر/تشرين الأول. كان بلاغ اللجنة المنظمة ينفي مشاركة أعمال مهدي جورج لحلو في فعاليات المعرض. وقد نفى المنظمون (آرت فاير) أن تكون أعماله «الذي يعمد إلى وشم نصوص دينية على الجسد»، قد وردت، على الإطلاق، ضمن برمجة دورة 2011 لهذه التظاهرة. هذا في الوقت الذي ظل يصر فيه «الفنان» المعني بالأمر بحقيقة مشاركته وبرمجة أعماله ضمن الأعمال المعروضة.

أهداف التظاهرة تجسدت في خلق منبر للتبادل ولاكتشاف الإبداعات الفنية المعاصرة، المغربية والدولية، بما يجعل من معرض مراكش للفن الحديث والمعاصر موعداً هاماً في قائمة التظاهرات الفنية الدولية. وعرفت هذه الدورة مشاركة 48 رواقاً، منها 13 رواقاً مغربياً، تمثل 11 دولة وما يقارب 800 فنان، مع حضور وفود دولية وازنة من أوروبا والعالم العربي تمثل مؤسسات مرموقة ومتاحف دولية.

وتم تشكيل لجنة فنية للصالون العربي للفن المعاصر ضمت تشكيليين مغاربة وعرباً وأوروبيين تتولى إحداث (الأكاديمية العربية للفنون)، وتتويج بعض الفنانين والاجتهاد للتعريف بالفن العربي على الصعيد العالمي، والإشراف الفني على فقرات الصالون. وتضم اللجنة كلا من كلود موران (فرنسا)، وأحمد نوار ونظلي منكور وعادل السيوي ومحمد طلعة (مصر)، ونجاة مكي وعبد القادر الرايس (الإمارات العربية المتحدة)، وعبدالله نووي (المملكة العربية السعودية)، وسامي محمد وعبد الرسول سلمان (الكويت)، وعبد المجيد العروسي وسلال زهرة وحمزة بونوا (الجزائر)، وأمل العاثم ويوسف أحمد (قطر) وغازي نعيم ومحمد العامري(الأردن)، وديما وعد وحسن جوني (لبنان)، وزهرة الزيراوي وفؤاد بلامين (المغرب)، وسناء تامزيني وعلي الزنايدي ومنجي معتوك (تونس)، وإياد كنعان(ليبيا).

يشار إلى أن منح ميداليات الشرف للفنانين المتوجين من طرف الأكاديمية العربية للفنون التشكيلية. وعرف اليوم الثاني من هذا الحدث التشكيلي تنظيم ثلاث موائد مستديرة حول «دور الفنون التشكيلية في التنمية البشرية» و«الصورة في تنمية المجتمع» و«ربيع الفن العربي والهويات الثقافية المتعددة»، أما اليوم الثالث فتميز بتنظيم بيع بالمزاد العلني، فيما توج اليوم الأخير بمنح جوائز الأكاديمية لأحسن الأعمال المشاركة في الصالون.

وقد أسهم حدث مشاركة الفنان المغربي الأصل الفرنسي الجنسية مهدي جورج لحلو، 29 سنة، بالمعرض الدولي للفن المعاصر والحديث بمراكش قبل انعقاده، في عودة النقاش والجدل حول موضوع الفن والدين؟ وعن «حدود الخلق الفني»؟ رغم تأكيد المنظمين أنهم لا يرغبون في أن «يتحول المعرض من مكان للاحتفال إلى مكان للجدل والبوليميك الديني والاجتماعي».



رحل عن عالمنا فنان مصر الكبير حامد عويس عن 92 عاماً بداية شهر أكتوبر/تشرين الأول وهو أحد العلامات البارزة والفارقة في مسار الحركة التشكيلية المصرية والعربية طوال الخمسين عاماً الماضية.

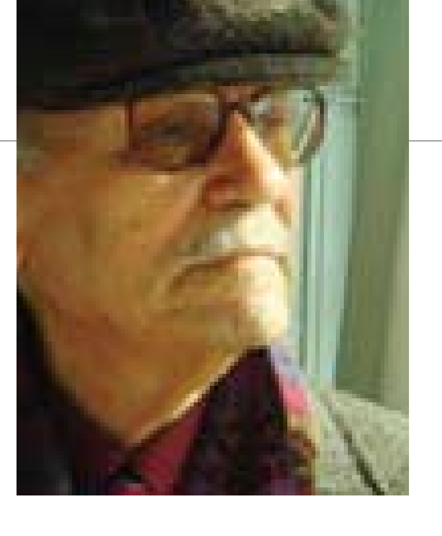
حامد عويس

قيمة الجسد وغريزة البقاء

فاطمة علي -القاهرة

كَرَّسَ حياته لقضايا المجتمع والإنسان مركِّزاً على قيمة الحياة الكريمة ودافعاً بصرياً لقيمة العلم والعمل والبناء.. فكان يُخاطب المجتمع - خاصة الطبقة الوسطى - من خلال كادحيها من العمال والفلاحين ليحقق لهذه الطبقة مكانة أفضل تتسق ودورها في صنع التقدم المادي والروحي للمجتمع.. لذلك اشتهر الفنان عويس بأنه فنان الطبقة الكادحة لإخلاصه على مدار حياته بتصوير حالات العمل والجهد الجسدي المبذول لعمال المصانع وفلاحي الحقول وصيادي السمك والعاملات على ماكينات الخياطة.. كما اهتم بتصوير مشاهد من مظاهر حياة الطبقة الوسطى في المقاهي ومحلات الحلاقة والأندية الشعبية.. كما اهتم برسم العديد من اللوحات الدافعة لنهضة الأمة في لوحات بانورامية تمثّل الصمود الفلسطيني وأخرى للحشد الشعبي بعد نكسة 67 وأخرى لنصر 73 وتحطيم خط بارليف.. ومن الواضح أن البُعد الاجتماعي والواقعية الاشتراكية واضحة في أعماله كأفكار ورؤى جعل تفسيراتها في لوحات وصفية شبه مباشرة بأسلوبه المتفرد الجذاب.. ولكني أراه أكثر تأثيراً كفنان وكدلالة بصرية لأفكاره من خلال شخوص موضوعاته في معالجاته لهم كأجساد أكثر من توصيفات وتفسيرات موضوعاته على الضوء الاجتماعي الواقعي. فأراه وقد اتخذ من أجساد شخوصه حتى دون اعتبار لملامح أو سمات معينة مبرراً لاستحضار فكرة الجسد تجسيداً وتضخيماً لفكرته قد حوَّل هؤلاء الأشخاص صانعي التقدم المادي باستخدام أيديهم وكل قدراتهم الجسدية لإنجاز عملهم اليدوي في غالبه.. فبدت الأجساد بحضورها الفيزيائي الضخم هي الرسالة ومضمونها في وقت واحد.. رسالة الحضور الإنساني الفعال بمجرد وجوده المادي في حالة عمل وطاقة مبذولة وملتزماً بمفهوم أوسع من مجرد بذل الطاقة وهو مفهوم البقاء الوجودي الإنساني كجزء من منظومة كونية غير منعزلة والتزام الجسد - الأداة الإنسانية - بهذا النظام بدافع غريزة البقاء.. فالجسد الإنساني عبر الحضارات هو المفهوم والفعل ووسيلة البقاء.

ونلاحظ أن الفنان الراحل لم يهمل بتعبيراته الفنية المبالغة لحجم الجسد الفيزيائي كمادة في تأكيد جمالها الخاص.. ليعمل الجسد في لوحاته أحياناً كفنارات موجهة تجاه البقاء.. أو ليعمل الجسد كهيكل ضخم للوجود الإنساني دون تفسير مباشر مثل قفاز ملفوف من الخارج بالجلد وتجاعيد

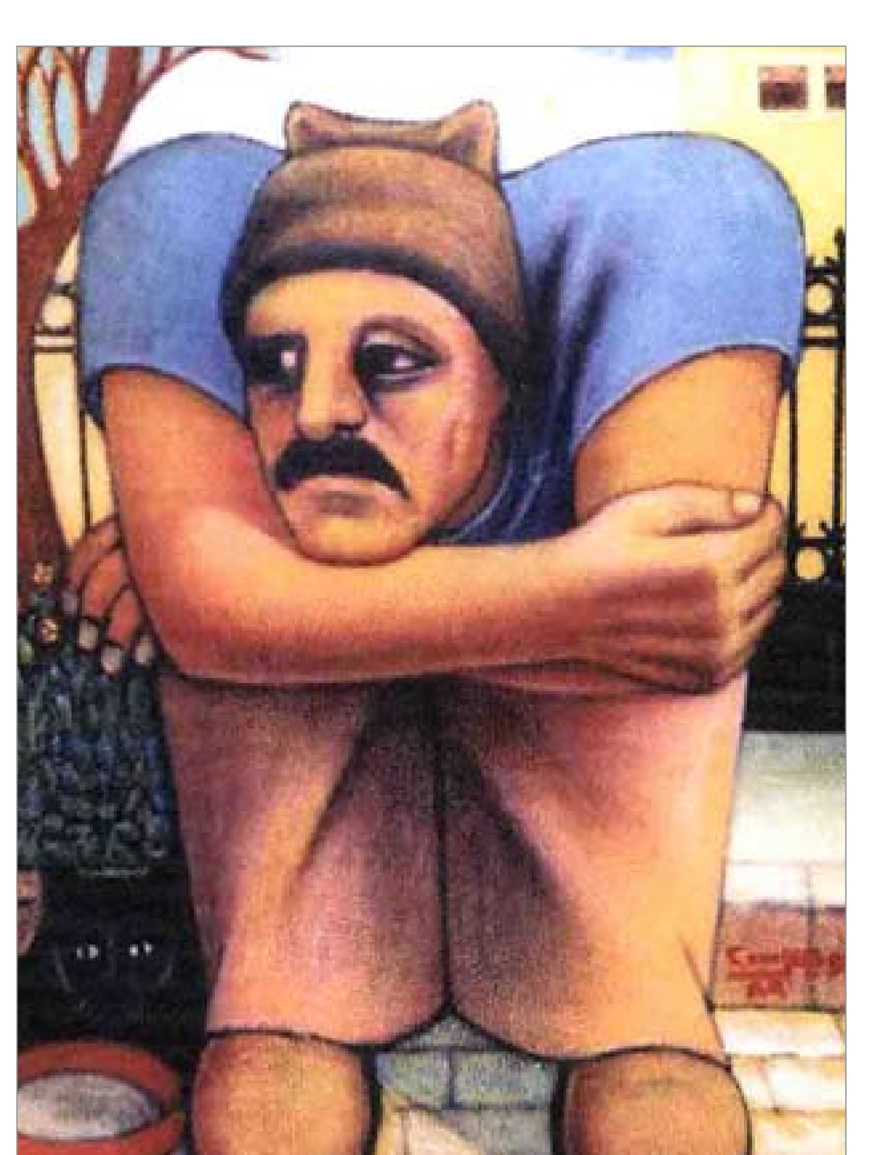


الجسد.. أو ليبدو الجسد عنده مُتبعاً لموسيقاه الخاصة وأقصد به إيقاعه الخاص الذي هو بالضرورة جزء من إيقاع كوني يشملنا جميعاً لنرى أجساد شخوصه تتبع موسيقى كونية كالجسد الذي يتبع موسيقى راقصة طوعاً.. فلم يعتمد حامد عويس على الجسد كمادة وشكل حركة لتقديم تفسيراته الفكرية، بل جعل الجسد يولد حركته المتسقة وإيمانه للفكرة يتبعها كاتباع موسيقاه التي تتحكم في قدر طاقته واتجاهاتها والتي، في كثير منها، اعتمد على ذكاء الجسد الذي نراه في أعماله الصرحية يعمل كشراع رياح أفكاره في هيكل سفينة ضخمة تخضع للاهتزازات اللامنطقية التي تولد طاقة جديدة في الجسد.. طاقة أكثر غريزية ووعياً في الأداة البشرية من أجل البقاء.. وأحياناً في لوحاته نجد أن الجسد عبر بحركاته واتجاهاتها في فعل أدائي «بيرفورمانس» ليخلق بيئة نشطة تحيط بالمشاهد حتى إذا جاء إلى نهاية التعبير وجدناه يقف أو يجلس في الصمت كما في لوحته «الراحة» استعداداً ليصبح جاهزاً لإرسال طاقة جديدة.. فهو يجدد ويشحن نفسه ذاتياً في تماثل ونظام العمل الكوني.

والجسد عند حامد عويس يُعدّ أداة مُثلى وجودية.. فنراه يجعل الجسد نفسه كترسانة حربية كما في لوحته «العبور»، ومرة نراه أرضاً كما في لوحته «فلسطين» ومرة نراه كهفاً كما في لوحته عن «النكسة» ومرة نراه نصباً تنكارياً كما في لوحته «الراحة».

وشخوص حامد عويس بحضورها الجسدي أصبحت لها سمة شبه عالمية بوجودها المادي كأعمال فنية مُقتناة في أكثر من متحف في أكثر من مكان: ففي متحف درسدن بألمانيا لوحته «صيادين من الإسكندرية».. وفي متحف الفن الحديث في برلين لوحة «المطرقة».. وفي متحف بوزنان في بولندا لوحة «الجالسة».. وفي متحف بوشكين في موسكو لوحات «إحنا الشعب» و«نحو النور» و«السد العالي».. وفي متحف الفنون الشرقية في موسكو لوحتاه «السد العالي 2» و«العمل في الحقل».. وفي متحف الفن المعاصر في برشلونة لوحة «القيلولة».. وفي متحف الفن المصري الحديث في القاهرة لوحتاه «وردية الليل» و«البطالة».. وفي متحف الفنون الجميلة في الإسكندرية لوحة «الحصاد».. وفي متحف الفن الحديث - متحف محمود سعيد لوحتا «النيل» و«التعايش السلمي».. وفي متحف فنون القاهرة لوحة «التعمير».. وفي متحف فنون الإسكندرية لوحاته «القنال لنا» و«الحلاق» و«بائع الورد».. وفي متحف دولة قطر بالدوحة لوحاته «من الريف» و«صالون الحلاقة» و«العائلة» و«الورشة» و«على شاطئ القنال» و«السمك والناس».

رحل فنان مصر الكبير تاركاً وراءه فناً جاداً له أبعاده الفكرية التي تمثل رصيداً وتاريخاً محفوظاً في لوحاته إبداعاً وفي فن تلامذته الذين هم الآن أساتذة الفن المصري المعاصر.. وقد نال عويس تقديراً داخل مصر وخارجها وتعرّض لأعماله نقاد لهم مكانتهم ومصداقيتهم في المجال الفني منهم النحات الألماني فرتس كريمر، والناقد الإسباني كارلوس اريان، والناقد البريطاني جون بريجر، والناقد الروسي دكتور بجامون، وأجمعت هذه العيون الغربية على شدة مصريته وعالميته في الوقت ذاته.





صافي ناز كاظم

سمااااع هوووس من فضلكم !

صارت الرؤية كأنها مستحيلة وبؤرة الإبصار معتمة، لكن مـن يملك أن يعتـرف بأنه لم يعد يرى؟ مـن يملك أن يتوقف لحظة عن الكلام ليسمع أو يفهم أو ليستدل ويسير في الاتجاه الصحيـح؟ من هـذا الذي لديه الصبر لينتظـر حتى تكمل، من دون أن يندفع ليسـتنتج ما تنوي قوله، رغم أن استنتاجاته تشطح بعيداً، ويظل بكل طاقته يرد على ما لم يكن في البال؟ هناك مثل عنـد أهل العراق، يقولونه عندما يتراكم الخطأ في المنطـق والقول والسـياق والمفردات، يقولـون إن هذا كلام مثل: «خسان، خوسـين، بنات معاوية!»، أي أن المتكلم يقع في مجمل أخطاء أولها: نطق «الحسن والحسين»، ثانياً: أنهما ولدا «علي بن أبي طالب» وليسا «بنتي معاوية»، ولقد عانينا كثيراً مـن الغوص الجاهل في «المسـألة الإسـلامية»، حتى ألفناه فقلّت المعاناة، «تنحنا»، كما نقول باللهجة المصرية، وأصبحنـا نمرر الكلام بهشـة يـد، ونواصل حياتنـا وفقاً لاختياراتنا التي تمليها علينا عقيدتنا بفقه مذاهبها المتعددة، وبعلم أهل الذكر، ولا نتوقف لنتعجب من أن معظم الخائضين في أمور الإسـلام، لا يسـتقيمون معه، للأسف، على أمر أو تكليـف أو طاعـة أو التزام، ولو جادلـك أحدهم أو إحداهن، يكون الجدل مطابقاً للنكتة المشهورة: «من قال إن الصلاة من دون وضوء لا تنفع؟ أنا صليت من غير وضوء ونفع!».

تسـمع الصارخ، كأنه الغيور على سـمعة الإسلام، يهتف نافياً: أهذا هو الإسلام؟ كلا! وتنظر فترى الصارخ بعيداً، بقدر اسـتطاعته، عن مظهر ومخبر الإسـلام العزيـز، وهو، الذي يريـد، أن يلقي في روعنا أنه، مقـروص بالمرارة حزناً على «التشـويه». وحين ينطلق ذلك المنطلق بكلام عن الإسـلام يشـبه منطق «خسـان خوسـين بنات معاوية»، لا تملك أن تصده بـ«هون عليك، كلامك كله عك»، لأنه حينئذ سوف تعلو عقيرته بما يصم الآذان: «لا كهنوت في الإسلام، لا إغلاق لباب الاجتهـاد»، وتلوّح بما يفهم من التلويح: «أينعم يا سـيداتي سادتي.. لكن كذلك لا تخريف في الاسلام، والاجتهاد هو شأن من يعلم بحق الدراسة والبحث... و.. و..»، ولكن إذا كان هذا المنطلق بمنطق «أنا صليت من غير وضوء ونفع»، لا يسـمع صوتك فهل يمكن أن يرى تلويحاتك؟

وبمناسـبة فتـح أحاديـث مناهـج التعليم يحـق لنا أن نتسـاءل: هل نريد أن نعـد المواطن المسـلم، ليكون راضياً بعلمنة المجتمع في البلاد الإسـلامية، تحت عنوان «المجتمع المدنـي»، المقصـود به تنحية الإسـلام تماماً عـن القوانين المنظمة للمجتمع، باعتباره عمامة متحفية نبوسـها ونضعها جـوار الحائـط؟ ألا يجب أن نسـعى نحو جعل الأمـور أكثر اسـتقامة بحيث تصبح شـريعة «لا إله إلا الله محمد رسـول الله»، هـي القائد لهـذه الأمـة، والحاضنة لتيـارات التطور المعاصـرة المنبثقة منهـا، أم أن نخضع لنـداءات المطالبة بتدجين المواطن المسـلم منذ الطفولة، ليتوافق مع ما يسميه الراطنـون بـ«العصريـة» و«الحداثة» و«العولمـة»، من دون أن نحـدد إلى أي «عصـر» تنتمي تلك «العصريـة»، المبتغاة والمنشـودة، أهي إلى «عصر الإسـلام» أم إلى «عصر الحقبة الأورو أمريصهيونيـة»، وعولمتهـا التي أصبحت تفصح عن نفسـها بإملاء وقح متعجرف، يتباهى بإهانة الآخرين، وهو سـائر نحو سحقهم بدماره الشـامل؟ هل يجوز تدجين الطفل المسـلم ليتوافق، فيما بعد، مع من أعلنـوا بوضوح عداءهم للإسلام بالقول والفعل؟

ألا يجب أن نربي الوعي لدى الطفل المسـلم، بأنه سـوف ينشـأ في مجتمع به تعـداد جاهل بالعقيـدة، وآخر معاد له جهـاراً تحت الإلحاد السـافر، أو تحت غطـاء مخاتل، لا يرى الصالح إلا في التبعية للغرب ونبذ «فطرة» المقاومة، بدعوى أنها ليسـت غاية، بل وسيلة أثبتت فشـلها. ولا يسألني أحد كيف أثبتت المقاومة فشـلها، لأن هذا يدخل في منطق «خسان خوسين بنات معاوية»!

ألا يتحتم أن نربي الطفل بما يسلحه بمهارة المنطق السليم الصحي، وبقوة الخلفية الإيمانية القادرة على مناظرة الأفكار العلمانية المثبطة وفضحها ودحضها، بأسـلوب غير إنشائي وغير متهافت؟ ألا يجب أن ندرج في مناهجنا الدراسـة النقدية للأفـكار العلمانية العولمية، ومهاجمتها من نقاط قوتها لا من نقاط ضعفها البدهية؟ ألا يمكن أن نسـتفيد من ميرا ث التربية التي أخرجت ابن سينا والبيروني، وابن خلدون، وجمال الدين الأفغاني، وسيد قطب، إلى آخر سلسلة العظماء في أمتنا من الشـرق والغرب؟ والذي يمكن أن نضيفه حديثاً هو: ترسـيخ الوعي لدى طلاب العلم، بأنهم يتحركون ويعيشون في عصر قـوة التحديـات العلمانيـة، وعليهم أن يتخطوهـا ليحققوا مسؤولية «المعاصرة» التي نراها حقنا وهي: تثبيت المشروع الحضاري الإسـلامي، وتقديم إنجازاته الإنسـانية لنسـترد موقعنـا النّدي مع قوى العالم، لنملك مصيرنا في السياسـة الدولية، ونجلس، بعلمائنا، في مقعدنا الشـاغر في الساحة العالمية، بوجه مؤمن أصيل وضـيء، رحمة للعالمين.



كثير من المهرجانات قليل من الأفلام

مرة أخرى لم يخلف شهر المهرجانات موعده، على الرغم من الظروف التي تمر بها مصر أقيم مهرجان الإسكندرية، وعلى الرغم من صدى الثورة السورية في لبنان أقيم مهرجان بيروت، بالإضافة إلى أبو ظبي، وبعد مثول المجلة للطبع يتم افتتاح ترايبيكا الدوحة.

عبرت الثورة على استحياء المهرجانات بقليل من الأفلام هاجسها الحدث والتفاعل معه وليس جماليات الفيلم. ولم تدخل روح الثورة المهرجانات بشكل حقيقي يعطي الأولوية للإنتاج السينمائي قبل الحفل، وعرض الفيلم على نطاق واسع قبل استعراض أزياء النجمات.

التنافس بين المهرجانات العربية ليس على تقديم أكبر عدد من الأفلام الجيدة ولا التحول إلى ظاهرة مجتمعية تجعل من المهرجان عيداً للسينما يشارك فيه عشاقها، بل في عدد أسماء نجوم الصف الأول عالمياً وعربياً الذين يستضيفهم المهرجان.

ومن المؤاخذات الدائمة التي ترافق ظاهرة المهرجانات السينمائية ولم تزل بلا حل تضارب مواعيدها، مما يزيد من تنافسها حول نجوم ونجمات السينما، ثم يأتي أخيراً التنافس على الأفلام.

وتبقى مشكلة الإنتاج السينمائي قائمة، على الرغم من أن المهرجانات السينمائية نفسها تتضمن ندوات تنتهي بتوصيات تتحدث عن أزمة إنتاج ودعم، لكنها لحد الآن، في معظمها على الأقل، مازالت في حدود الإقرار بأزمة ملقاة على مسؤوليتها أساساً، مما يجعل وضع آلية متكاملة ومشتركة لإنعاش سوق السينما العربية وتثقيفها حلقة مفقودة بين هذا المهرجان وذاك.

مهرجان الإسكندرية:

دورة الفلول والثوار

| **سامي كمال الدين**- القاهرة

مثل «مصر» في تخبطها وفورانها وبهجتها وحزنها جاءت دورة مهرجان الإسكندرية السينمائي في دورته السابعة والعشرين، أول مهرجان فني بعد ثورة 25 يناير، فعلى الرغم من أن المهرجان يقام خصيصاً للاحتفاء بسينما البحر المتوسط إلا أنه مع تقادم الدورات أصبح عاماً وشاملاً لكل شيء وللاشيء!

ففي خضم الأحداث السياسية العصيبة التي تعيشها مصر كان الوطن بحاجة إلى استراحة محارب تولد فيه قيم الإبداع والحرية، وتجدد نشاطه، وكان المتوقع أن يكون مهرجان الإسكندرية هو هذه الاستراحة، لكنه تحول إلى صداع مزمن.

تم تخفيض ميزانية المهرجان إلى 40% مقارنة بدورة العام الماضي نظراً للظروف الاقتصادية الصعبة التي تمر بها مصر، وتم تقليص الأفلام المشاركة من 100 فيلم إلى11 فيلماً، وتم تخفيض عدد أيام المهرجان إلى خمسة أيام فقط، لكن سوء التخطيط وسوء التنظيم أفسدا كل شيء، فقد تغير جدول عروض الأفلام أكثر من مرة، بسبب تأخر وصول الأفلام من الخارج.

بل إن المخرجة الإسبانية «هيلينا تابرينا» رئيسة لجنة تحكيم المهرجان رفضت الاستمرار في اللجنة بسبب عرض الأفلام على نسخ «DVD»، لا تصلح للسينما، بسبب توقيف الأفلام في مطار القاهرة لعدم تخليصها جمركياً.

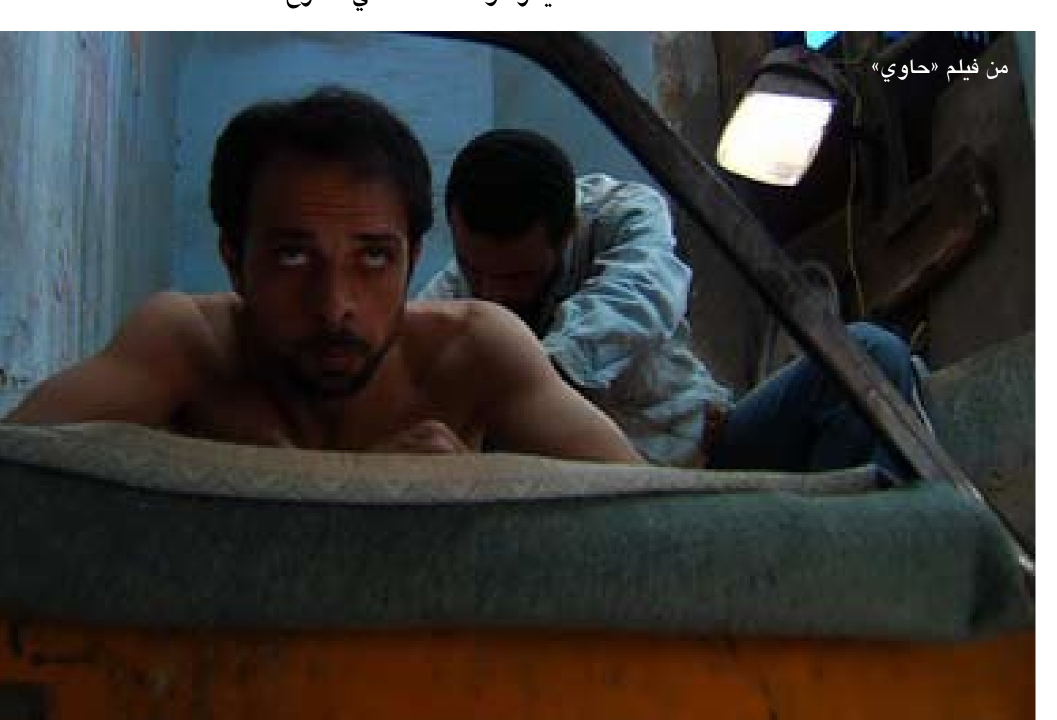
حفل الختام كان حفل الشعارات السياسية، وفيه شُنَّ هجوم على المجلس العسكري «يسقط يسقط حكم العسكر»، وانتقد أحمد فوزي صالح مخرج فيلم «جلد حي»، واتهم قوات الجيش بأنها تقتل الأقباط أمام ماسبيرو، بينما طالب على الجانب الآخر عدد من الفنانين: خالد يوسف- خالد صالح- حسن الرداد- جيهان فاضل – مجدي أحمد علي – عمر عبد العزيز- عمرو عابدين – خالد عبد الجليل- إيمان البحر درويش، بالإفراج عن طالب معهد السينما فادي السعيد الذي تم اعتقاله عقب أحداث السفارة الإسرائيلية ومحاكمته عسكرياً، وارتدوا «تي شيرتات» مطبوعاً عليها صورة فادي سعيد كُتب أسفلها «الحرية لفادي سعيد» و«لا للمحاكمات العسكرية». بل وخلال كلمته طالب خالد يوسف بالإفراج عن فادي سعيد ورفاقه، ووجَّهَ رسالة لوزيري الثقافة والإعلام يطالبهما فيها بالوقوف بجوار فادي سعيد.

رئيس المهرجان الناقد نادر عدلي أبدى اعتراضه بداية على استخدام الشعارات السياسية، كما احتد على كلمة المخرج أحمد فوزي - الذي ترك تكريمه وغادر المهرجان.

حصل فيلم «كف القمر» على الجائزة الأولى وقيمتها 100 ألف جنيه، إخراج خالد يوسف وتأليف ناصر عبد الرحمن، الذي جاء كما أفلامهما السابقة (حين ميسرة- هي فوضى – دكان شحاتة) حيث المواطن المصري المطحون، مع الإسقاطات السياسية على العصر الذي تدور فيه الأحداث، وهي هنا لثلاثين عاماً خلت، حيث يرنو إلى عودة الشعوب العربية متحدة، لأن وحدتها هي الشيء الوحيد الذي يصنع لها مكانة بين الأمم.

تحضر أيضاً القصة الشعبية في «كف القمر» كما في أعمالهما السابقة، لكن الحوار هنا كاد يفسدها لطوله.

المباشرة كادت تفسد العمل لولا حبكة السيناريو، وطريقة خالد يوسف المتميزة والمختلفة في طرح أعماله.



من فيلم «حاوي»



بغداد: خوف النجوم

| حسام السراي- بغداد

بعد سجال طويل شهدته الصحافة العراقيّة منذ افتتاح مهرجان بغداد السينمائيّ الدولي الثالث، اختتمت فعاليّاته على قاعة المسرح الوطنيّ بمشاركة ما يقرب من 160 فيلماً من 32 دولة.

أهم ما أثير في أكثر من صحيفة ووسيلة إعلام عراقيّة، هو سوء التنظيم الذي رافق حفل الافتتاح خصوصاً، والذي أشاع حالة من الإحباط بشأن مستوى كان مأمولاً، وفقر الجانب الدعائيّ الذي سبق انطلاقه، إضافة إلى تقديم فقرات لا تتناسب ومهرجان دوليّ للسينما.

سبق إعلان النتائج تقديم عدد من النشاطات الفنيّة لمدرسة الموسيقى والباليه، ليوقّع رئيس «منظّمة سينمائيّون عراقيّون بلا حدود»، ورئيس المهرجان عمار العرادي، اتفاقية مع الجانبين المغربيّ والفلسطينيّ للمشاركة وتبادل الخبرات في المهرجانات السينمائيّة التي تقيمها الجهتان المذكورتان.. ثمّ جرى إعلان نتائج المسابقات الرسميّة للمهرجان.

وعكست الكتابات وردود «إعلام المهرجان» عليها، ما رافق الفعاليّات من لغط ومن تصوّر أفصح عنه المنظّمون بأنّ «هناك محاولات مسبقة لإفشال المهرجان قبل انطلاقه»، وهنا كتب الناقد السينمائيّ كاظم مرشد السلوم في موقع «كتابات» الإلكترونيّ، طارحاً ملاحظات كثيرة بخصوص الحدث الأخير: «إنّ المدن التي تقام فيها مهرجانات سينمائيّة، ترتدي حللاً بهية وتقام فيها كرنفالات فنيّة وموسيقيّة، وتنتشر إعلانات المهرجان في كلّ أرجائها، ويبدو أنّ مدير ورئيس المهرجان لم ينسقا مع أمانة بغداد أو مجلس محافظتها من أجل دعم المهرجان».

ومما جاء في رد «مهرجان بغداد»: «ليكن في علم السلوم أن أحلامه في حضور كبار النجوم مازالت تصطدم بما خلفه الاحتلال من توتر وخوف وعنف، ومتى مازالت هذه العوامل فسيحضر النجوم، ومتى أتيح للضيوف العرب والأجانب التجوال في شوارع العاصمة بغداد لوحدهم من دون خوف عندها سيحضر الجميع».

أما المخرج ملاك عبد فقال لـ «الدوحة»: «مهرجان بغداد بدورته الثالثة، خطوة جيّدة لتحريك عجلة الركود في صنع الاحتفاليات الثقافيّة السينمائيّة، لركود المؤسّسة الحكوميّة تجاهها.. لا أستطيع أن ألخّص كيفية استقبال السينمائيّين العراقيّين لحدثهم هنا، لعدم حرفية الجميع بهذا الخصوص، لكنّ المهرجان استقطب هذه السنة أفلاماً جيّدة من دول عديدة عالميّة وهذا ما يفرح».

غير أنّ ملاك عبد يستدرك: «ما يحزن أنّ السينمائيّين العراقيين أو ما يسمّون أنفسهم بسينمائيّين من خلال تصريحاتهم التي هي أكثر من منجزهم وثقافتهم، لم يحضروا إلى المهرجان إلا نادراً، والسبب يعود إلى فشل افتتاح المهرجان تنظيمياً وما أدّى إليه من خيبة أمل كبيرة، وبرغم ذلك هذا لا يعني أن نقاطع المهرجان ففيه أفلام جيّدة لا نستطيع أن نشاهدها في مكان آخر من بغداد».

«مفيش حرب من غير الكبير» هذه الجملة تطن طويلاً في أذنك وأنت تتأمل دور مصر السياسي بين الدول العربية مؤخراً تتبعها جملة «ومفيش تسليم رقاب من غير رأي الصغير»، وهي المطالبة التي طالبت فيها الدول العربية المخلوع مبارك طويلاً بأن يقدر قيمة الدول العربية، وألا يتخذ قراراته في دول العالم، خاصة قضية فلسطين دونها. الفيلم بطولة: وفاء عامر، غادة عبد الرازق، خالد صالح، حسن الرداد، هيثم أحمد زكي.

وفاز فيلم «حاوي» بالجائزة الثانية وقيمتها 50 ألف جنيه إخراج إبراهيم البطوط حيث تدور أحداث الفيلم في مدينة الإسكندرية حول «يوسف» الذي أطلق سراحه بعد خمسة أعوام من السجن الانفرادي، ليبحث عن مجموعة من الوثائق الهامة.

أما في أفلام الديجتال فحصل فيلم «أنا والأجندة» لمخرجته نيفين شلبي على جائزة المسابقة، وحصل فيلم «جلد حي» لمخرجه فوزي صالح على جائزة لجنة التحكيم، وفاز بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه فيلم «ثورة شباب» لمخرجه عماد ماهر.

وحصل فيلم «برد يناير» لمخرجه روماني سعد على جائزة أفضل فيلم وقدرها خمسة آلاف جنيه، أما جائزة التحكيم الخاصة عن الفيلم التسجيلي فقد حصل عليها «حرق الأوبرا» لمخرجه كمال عبدالعزيز.

أما جائزة لجنة التحكيم وثلاثة آلاف جنيه، فقد حصل عليها فيلم «الحواس» لمخرجه محمد عمارة، أما جائزة أفضل فيلم روائي قصير فقد كانت من نصيب فيلم «صلصال» لمخرجه أحمد النجار، ومعها خمسة آلاف جنيه.

تستحق هذه الدورة أن يطلق عليها اسم دورة الفلول والثوار، فقد جاء شعار المهرجان وأفيشاته لتوحي بالثورة والثوار، بينما خلت أفلام المهرجان من أفلام عن الثورة، في نفس الوقت الذي كان فيه «فل عظيم» من فلول النظام البائد يسيطر على العديد من فعاليات المهرجان هو ممدوح الليثي.

أبوظبي:
ثورة السينمائيين.. حتى إشعار آخر

| **حنان شافعي**-أبوظبي

جاءت الدورة الخامسة من مهرجان أبوظبي السينمائي هذا العام في خضم الربيع العربي، فالثورات تشتعل في وطننا الكبير ومعها يتفاعل السينمائيون بالأساس وفي طليعة الأسرة الفنية لذلك حازت أفلام الثورة على النسبة الأكبر في المشاهدة والاحتفاء خلال المهرجان، كما تصدر الحديث عن تطورات موجات الربيع العربي في كل من مصر وتونس وسورية قائمة النقاشات التي دارت في أروقة المهرجان خصوصاً الندوة الموسعة التي أقيمت يوم الإثنين 17 أكتوبر/تشرين الأول تحت عنوان «أثر الربيع العربي على صناعة السينما» إذ شهدت القاعة نقاشاً فاعلاً بين المتحدثين وهم: الممثلان خالد أبوالنجا وعمرو واكد من مصر ومن سورية المخرجان نبيل المالح وهالة العبد الله، ومن تونس تحدث المخرج حبيب عطية.

في هذا اللقاء تبادل المتحدثون الميكروفون في حماس يحكي كل منهم عن تجربة بلاده في السير باتجاه تحررها من قيود نظام فاسد، وبينما بدا المصريان (واكد وأبو النجا) الأكثر تألقاً في سرد رؤيتهما لما جرى، كان المالح والعبد الله متأرجحين بين اليأس من نجاح الثورة السورية في إسقاط نظام الأسد والأمل في غد أفضل تنعكس فضائله على صناعة السينما في بلد لا يعرف غير مشروعات إنتاج الدولة، أما التونسي عطيه فقد غلب على مداخلته الخوف من المد الإسلامي وإرهاصات



| من فيلم «18 يوم»

حرية التعبير التي برزت الخلافات حولها هذه الأيام. ويمكننا إجمالاً الوقوف على استغراق اللقاء في الحديث عن السياسة والتنظير لحاضر البلاد ومستقبلها أكثر من الدخول إلى صناعة السينما على اختلاف أطرافها وما يمكن أن تشهده من تغيير في موازين القوى بعد تلك الثورات، خصوصاً ما يتعلق بمشكلات الإنتاج والعملية الصناعية في العالم العربي حيث يتساوى الجميع في تلك المعاناة بمستويات متفاوتة.

أما عن العروض العربية المشاركة في المهرجان فقد جاءت أبرزها من رحم الربيع العربي بل يمكننا أن نعتبر الحدث فرصة للإطلاع على وثائقيات الثورة وأظن أن هذا سيكون حال المهرجانات التي يتم تنظيمها في المنطقة خلال فترة قد تمتد لسنوات. أبرز هذه العروض كان الفيلمين المصريين «18 يوم» وهو مكون من 10 أفلام روائية قصيرة من توقيع

10 مــن المخرجين المصريين يمثلون كل الأجيال، وشارك في بطولته عدد كبير من نجوم السينما المصريين من بينهم أحمد حلمي، آسر ياسـين، منى زكي، يسرا، عمرو واكد، والفيلم الثاني هو «التحرير 2011: الطيب والشرس والسياسي»، من إخـراج تامر عزت وآيتيـن أمين وعمرو سـلامة تم عرضه ضمن أفلام مسـابقة الأفلام الوثائقية. وبينما حضرت الثورة المصريـة غابـت عـن صـالات العرض تماماً السينما السـورية المملوكة للدولة وهـي نتيجـة كانـت متوقعة مـن قبل معظم المشـاركين وكذلك لم تبرز أي من العروض التونسية.

الإمـارات وهـي الدولـة المضيفـة والمنظمـة للمهرجـان تمثلـت بالفيلـم الروائي «ظـل البحـر» للإماراتي نواف الجناحـي إضافـة إلى عدد مـن الأفلام الوثائقيـة والروائية القصيرة التي تمثل شباب المخرجين. كذلك حضرت المغرب بكثير من أفلام الإنتاج المشـترك كما هو معتـاد في السـينما المغربيـة في إطار موضوعات اجتماعيـة ودراما العلاقات الشخصية وإشكاليات الذات والاغتراب. من جانب آخر عرض المهرجان مجموعة كبيـرة مـن الأفـلام العالمية مـن بينها الفرنسي والإيطالي والصيني والأميركي والبريطانـي والمكسـيكي حيـث ضمت المجموعـة أفلاماً تعـرض للمرة الأولى عالمياً.

ولعـل أبـرز الفعاليات التي شـملها برنامج مهرجان أبوظبي السـينمائي في نسـخته الخامسـة الاحتفاليـة الخاصة بـكل من أديـب نوبـل المصـري نجيب محفـوظ وذلـك بعـرض باقة مـن أهم الأفلام المأخوذة عـن أعماله مثل «درب المهابيـل» و«الجوع» و«بدايـة ونهاية» وغيرها، كما عقدت ندوة لمناقشة سينما نجيب محفوظ وخصوصيتها التي تعتبر مدرسة سينمائية مسـتقلة بذاتها، كذلك كان هناك احتفاء بالتجربة السـينمائية الخاصـة بالمخـرج السـويدي إنجمـار برجمـان الــذي تـرك بصمـة أبدية في صناعة السينما العالمية.

بيروت:
أفلام الربيع بدون دعوة!

اختتمـت الـدورة 11 مـن مهرجـان بيروت السـينمائي الدولـي الذي امتد مـن 5 إلـى 13 أكتوبر/تشـرين الأول المنصرم، بمشاركة 67 فيلماً لمخرجين مـن 29 دولـة مختلفة، مـن بينها 24 فيلمـاً مـن العـراق والأردن وتونـس والمغرب ولبنان والبحرين، بالإضافة إلى سـتة أفلام من إيـران. وقد ترأس المخـرج الإيطالي لوكا جوادنينو لجنة التحكيم التي ضمت: الناقدة السينمائية كريسـتينا بيتشـينو، ومخرجـة فيلم «غناء العروسين» كارين البو المتوجة بجائـزة سـيزار، ومخرجـة الأفـلام الوثائقية العراقية ميسون باتشاتشي، والكاتبة السعودية رجاء الصانع مؤلفة رواية «بنات الرياض». المهرجان افتتح بعرض فيلم «شـجرة الحياة» للمخرج الأميركـي تيرانـس الفائـز بالسـعفة الذهبيـة لأفضل فيلم فـي مهرجان كان هـذا العام. كمـا كان للجمهـور فرصة لمشـاهدة أفلام تألقت في كان وبرلين والبندقية، منها: «الجسـد الذي أسكنه» للمخرج الإسـباني بيـدرو ألمودوفار، و«نحـن بحاجـة للحديث عـن كيفين» للبريطانية لين رامسي، والفيلم المثير للجدل «ميلانكوليا» (الاكتئاب) للمخرج الدنماركي لارس فون ترير.

تصريح كوليت نوفل مديرة مهرجان بيروت السينمائي الدولي بكون «دورة هذا العام هي الأكبر خلال أكثر من عشر سـنوات»، لم يكن كافيـاً لتبرير غياب الأعمال التـي صورت حـول الثورات العربية، هذا الغيـاب كان أبرز ما ركز عليـه المراقبون رغـم الحضور اللافت لأفلام تتناول الواقـع العراقي وقضايا «الشـرق الأوسـط»، فيما ردت رئيسة المهرجـان هـذا الغياب حسـب مصادر متطابقة، إلى «تزامن وتضارب مواعيد المهرجانـات العربيـة»، مصرحة أنها «دعـت مخرجيـن أنتجـوا أفلامـاً عن الثورات العربية إلا أنهم فضلوا عرضها في مهرجانات الخليج لدوافع مالية».

نتائج المسابقات أسفرت عن تتويج مصر بثـلا ث جوائز: ذهبية أفضل فيلم روائي «شرق أوسط»، وذهبية لأفضل سـيناريو، للمخرج المصـري إبراهيم البطـوط عـن فيلـم «حـاوي». ونال الكـردي العراقي حسـن علـي محمود جائـزة «ألف» الذهبيـة لأفضل مخرج، عن فيلمه «حي الفزاعات». بينما منحت جائزة لجنة التحكيـم الخاصة للأفلام الروائية (جائزة فرانـس 24) للمخرج الكردي العراقي المقيم في إيران إبراهيم السعيدي عن فيلم «ماندو». أما جائزة أفضل فيلم وثائقي «شرق أوسط» فنالها فيلـم «كـولا» للمخرج العراقـي يحيى العـلاق، وفـازت المخرجـة الإيرانية الأسترالية نورا نياساري بجائزة أفضل مخرجة في مسـابقة الأفـلام الوثائقية عن فيلمها «تحت الجسر»، وحصل فيلم «حياة كلـب» للمخرجـة الإيرانية هانا مخملبـاف على جائزة «ألـف» الذهبية لأفضـل فيلم «شـرق أوسـط قصير»، بينمـا منحـت جائـزة «ألـف» الفضية في مسـابقة الأفلام «الشـرق أوسطية القصيرة» للتركي غوتشـلو يامان عن فيلم «رحلة اللاعودة».

يذكر أن فيلم «أحمر، أبيض وأخضر» للمخرج الإيراني نـادر داوودي والذي كان مبرمجـاً ضمـن المهرجـان، قد تم سـحبه من المشـاركة، بعـد تعرضه للرقابة من قبل السلطات الإيرانية ومنع مخرجه من السفر إلى لبنان على خلفية موضوع الفيلم الذي يتناول الانتخابات الرئاسية في إيران 2009 والمظاهرات الرافضة لنتائجها.

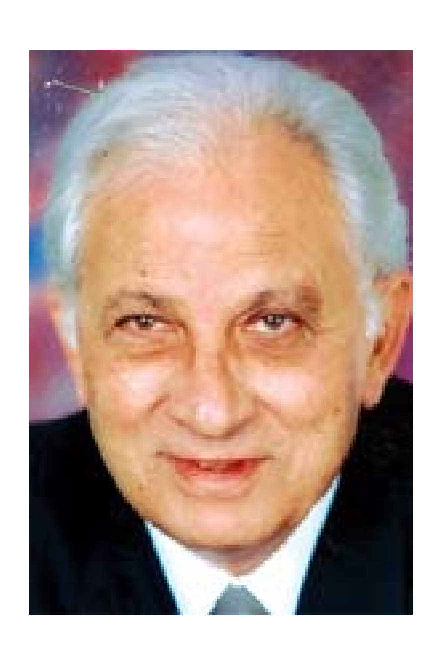
عمر الحريري
موعد مع الحياة

| سامي كمال الدين-القاهرة

في مشهد من أفلام الأبيض والأسود يمسك «السيجار» في يده كأحد أبناء باشوات الزمن القديم، وفي مشاهده في الحياة يمسك أيضاً بسيجاره لا يفارق يده أبداً.

هكذا عاش عمر الحريري ابن الطبقة الراقية غير ساع إلى مجد، ولا بريق، ولا أضواء، إن اختاره الدور كان بها، وإن لم يسعَ اليه لا يسعى هو إلى الدور، فقد كان دائم الإيمان بأن الدور يختار صاحبه، وليس العكس. لذا تجده متمكناً من الأداء، وهو يلعب دور شقيق فاتن حمامة في فيلم «سيدة القصر» في مواجهة زوجها الطاغية «زكي رستم»، وكذلك دوره في فيلم «موعد مع الحياة» أمام شادية وفاتن حمامة وكمال الشناوي.

جاء رحيله بعد ربيع الثورات العربية، الذي أشاد به، وقدَّرَ دور شباب ثورة 25 يناير، وذكر أن الحلم الذي طال انتظاره قد تحقق على يد هؤلاء الشباب، وعرف أن القذافي لن يستسلم من خبرته، حيث أقام الحريري لسنوات خمس في ليبيا بقرار سيادي عند تحررها في أواخر الستينيات، حيث طلبت منه القيادة المصرية الذهاب إلى ليبيا، فأسس مسرحاً هناك، ودرَّب العديد من الليبيين على التمثيل، وظل لخمس سنوات يعلم ويدرب، وحين تأكد من وقوف فن المسرح على قدميه عاد إلى مصر، لذا كان يعرف صلابة النظام الليبي وعناده.



ولد عمر الحريري في 12 فبراير/ شباط 1926 وتعلق بفن التمثيل وهو في السابعة من عمره، حيث كان والده يصطحبه معه لمشاهدة الأعمال المسرحية، فكوَّنَ فرقة تمثيل في المدرسة، ثم التحق بمعهد التمثيل، وتخرج فيه عام 1947، وكان قد بدأ حياته الفنية قبل الالتحاق بالمعهد في مشهد صامت من خلال فيلم «سلامة في خير» عام 1937 مع نجيب الريحاني.

بعد تخرجه في المعهد - دفعة واحدة مع شكري سرحان - انضم إلى فرقة المسرحي الكبير زكي طليمات، وشارك في عدة مسرحيات في المسرح القومي، حتى تعرف هو وشكري سرحان بيوسف وهبي، وعملا معه في مسرحية «راسبوتين» عام 1951، وقد أعجب يوسف وهبي بأدائهما فرشحهما للعمل في فيلم «الأفوكاتو مديحة»، تأليف وإخراج يوسف وهبي وبطولته مع مديحة يسري وثريا حسن وفردوس محمد وحسين رياض وفاخر فاخر وسامية فهمي. لينتقل إلى مرحلة الأضواء من خلال عدة أفلام: «وداعاً يا غرامي»، «ابن النيل»، «السبع أفندي». ليشارك في عشرات الأفلام بعد ذلك، ويقدم عدة مسلسلات تليفزيونية، لعل أشهرها دوره مع عادل إمام في مسلسل «أحلام الفتى الطائر»، وقدم منذ عامين دوراً هاماً في مسلسل «شيخ العرب همام»، حيث لعب دور «يوسف همام» الجد الأكبر لقبائل الهوارة في جنوب مصر، ووالد «همام» – يحيى الفخراني- وعلى الرغم من أن الدور من العلامات لأي فنان، وكأنه يقدم دروساً في فن التمثيل، إلا أن الدور سبب أزمات كبيرة لقبائل الهوارة، حيث ظهر جدهم غير مهتم بنظافته الشخصية..!

كما شارك في مسلسلات: «خالتي صفية والدير»، «ساكن قصادي»، «السيرة الهلالية». كما شارك في مسرحيات: «الواد سيد الشغال»، «شاهد ما شافش حاجة».

ما لا يعرفه الكثيرون أن الفنانة ميمي شكيب هي عمة الفنان عمر الحريري، وقد عرفت هذه المعلومة منه.

كانت آخر أدوار الفنان الراحل، الشهر الفائت، مسرحية للأطفال «حديقة الأذكياء»، وسعِد كثيراً بها، اذ تمنى تقديم عمل للأطفال، لينتقل بعدها إلى مستشفى الجلاء العسكري ويغادر الحياة مساء الأحد 17 أكتوبر/تشرين الأول 2011 حيث هجم السرطان على كل أجزاء جسده كذئب متوحش، ليغادر الحياة وهو في التاسعة والثمانين.

امرأة واحدة حرّكت الشّـارع في تونس. أثارت لغطاً وجدلاً واسعين. فالجرأة والحماسة اللتان ورثتهما عن والدها جعلتا منها محطّ اهتمام السّاسة والمثقفين.

حفيدات لينين

سعيد خطيبي

إنهـا المخرجـة نادية الفانـي التي تخطّت الطابوهات في الشريط الوثائقي «علمانيّة إن شـاء الله!» ودافعت بشـدّة عن مرجعياتها الفكرية والعقائدية وعن رغبتها في رؤية تونس جديدة، موحدّة، تتعايـش مع الآخر، تؤمـن بالاختلاف وبالأقليّات.

الشـريط المثير للجدل نزل، مؤخراً، إلى صالات العرض في فرنسا، وحظي بحضـور مهـم في عرضـه الأول ضمن فعاليـات أيام السـينما العربية. كما تمّ إدراجـه ضمـن برنامج عـروض قافلة الأشـرطة الوثائقية الأورو-متوسطية التـي تجـوب مـدن فرنسـية مختلفة. ويبـدو أن الفانـي، صاحبـة «أولاد لينيـن»(2008) قـد اجتـازت بسـلام الهجمـة العنيفة التـي تعرّضـت إليها شـهر يونيو الماضي بمناسـبة عرض الشـريط نفسـه بصالة «أفريك آر» في تونـس العاصمة. حيـث اتهمتها حينها بعض الجماعات الدّينية بالمساس بقيم الإسـلام قبل أن تـرد عليهـم: «غالبية منتقديَّ لم يشاهدوا الفيلم. هم يوجهون أحكامهـم لي شـخصياً وليـس للفيلم. يسـتمدون انتقاداتهم من سـوء تأويل لتصريحات أدليت بها على بلاطو إحدى القنوات التليفزيونيـة». وتصبّ غالبية الاتهامات الموجهة للمخرجة في حنينها إلـى الشـيوعية وفـي ميلها إلى نشـر أفـكار تغريبية في المجتمع التونسـي. مع العلم أن الشـريط نفسه يصوّر بلاد الطاهر حداد في مختلف تجلياته. دونما تعصب لفكرة معينـة أو تغليب منطق على آخـر. وتروّج فصوله إلى ضرورة الحوار والتواصل بين المسـلمين وغير المسـلمين. من خلال نقل شهادات أفراد ومواطنين عاديين، حيث يسرد كل واحد منهم نظرته لطبيعـة العلاقات التي من الواجب أن تجمع بين الأفراد فيما بينهم، سـواء تحت مظلّة الديـن أو تحت مظلة الوطن الواحد.

تزامـن تصوير شـريط «علمانية إن شاء الله!» مع الأشـهر الأخيرة من حكم زيـن العابدين بـن علي. حيـث انطلق سـراً (نظراً للرقابـة وللمضايقات التي كانـت مفروضـة علـى المخرجـة) في أغسـطس2010 وتواصل لغاية ما بعد 14 يناير 2011. أكثر من ستة أشهر نقلت خلالها المخرجة صورتيـن متناقضتين من تونس. وجهـان من بلد عاش الريبة والخـوف تحت سـلطة نظـام الرئيس المخلوع، ثم نشـوة الانتصار بعد رحيل المسـتبد ونجاح ثورة انطلقت من مدينة سيدي بوزيد المسالمة.

وتصرّح نادية الفاني التي سـبق لها العمل مع كثير من المخرجين الكبار أمثال رومـان بولنسـكي وألكسـندر أركادي: «الفيلم لا يمسّ أي أحد. ليس بروباغندا. يدافـع فقط عن حق الأفـراد في التعبير وفـي التفكير. أتمنى أن يثير النقاش من أجل فتح المجال واسعاً أمام الاختلاف لا أمام اللغط والمبارزات اللفظية».

عمل الفانـي الأخير هو شـهادة عن الجرأة. وثيقـة مهمة من أجل فهم بعض العوامل الداخلية والأسباب الفعلية التي سـاهمت في اندلاع الثورة في تونس ثم تحرر كثير من التجـارب ومن الأصوات التـي عانت التعتيـم سـنوات طويلة. ناديـة الفاني، التي مهدت اليوم الطريق أمـام كثير من مثيلاتها، ليسـت سـوى جزء من نضال متعدد ومسـتمر لنسـاء تونسـيات واجهن القمع بالفن وبالكلمة الحـرّة. جيل تمثله أسـماء شـابة، من بينها مثلاً لينا بن مهني(28 سـنة) التي ورد اسمها ضمن مرشحي نوبل للسلام، بعدما أحرجت نظام الطرابلسية بمدونتها «بنية تونسية» ونقلت وقائع الثورة من سيدي بوزيد إلى تونس العاصمة مروراً بصفاقس وبقابس بكاميرا هاتفها النقال واتساع رؤيتها وإيمانها بحقها في العيش الكريم، بعيداً عن بطش الديكتاتور.



الحرب في مرآة الجنيّات

| **سحر مندور** - بيروت

مجموعة من النســاء يسكنّ الشاشة، ويصنعن من تفاصيلها حفلة مســتمرة، يتنــاوب المتفرّج خلالهــا على الضحك والبــكاء، فــي قصةٍ أقــرب إلى قصص الجنيّات المسحورات، تروي عن كيفية «إطفاء» الحرب في نفوس الرجال.

حظي فيلم نادين لبكي الجديد «وهلأ لوين؟»، حتى السّــاعة، بنسبة مشاهدة عاليــة فــي دور العــرض اللبنانيــة، وبعرضٍ أول في «مهرجان كان» (2011) ثم مهرجان الدّوحة للسّــينما، وبجائزة جمهور مهرجــان «تورنتــو»، وبتداول اســمه للمنافسة على «أوســكار أفضل فيلم أجنبي» (2012).

سيناريو الفيلم يدور في قرية بدينين، سكّانها مســيحيون ومسلمون، ينشغل النســاء بينهم في حياكــة حياة يومية، بينما يتأرجح الرجال على حافة ما بين الألفة والغضب. اعتداءٌ على الكنيســة، فاعتــداءٌ على الجامع، فشــرارة حربٍ، فقتال فــردي، فخطط متبادلة للمواجهة بين سكان تلك القرية، يجتمع لصياغتها رجالٌ دفنوا الأسلحة في الأرض، وباتوا على أهبة الحفر لاستخراجها.

النســاء يتابعــن تلــك الأحــداث وتســارعها، بقلقٍ شديد. يســعين إلى صرف انتباه الرجــال عن حربٍ لا تزال نيرانها مشتعلة في القرى المحيطة، بينما هنّ لم يخلعن بعد عنهن اللون الأســود، حــداداً على آبــاء وأزواج وأبناء قضوا خلال حربٍ ســابقة. يستمتن ضد حرب تبدو لهن غبية جــداً، فيقررن مواجهتها بأكثر الأساليب ابتكاراً وفكاهة. فيضحى المتفرّج أمام «عصابتين»: واحدة مكوّنة من رجال من الدينين، شــديدي التوتر، يســتجدون الحياة لكي تمدّهم بمشاجرة تتطــور إلى حــرب، والثانيــة مكوّنة من النســاء، يراقبن الرجــال، وينصبن لهــم الفخ تلــو الآخر بهــدف منعهم عن الحرب.

النقد الأساســي للفيلم تمحور حول هذه النقطة: من قال إن النساء يناهضن الحــرب؟ من قال إن النســاء لا يمتن في الحرب ويستمتن لأجلها؟ التاريخ اللبناني يــروي الكثير عــن النســاء المقاتلات، والحاضــر اللبنانــي يفيــض بالنســاء المتعصّبات، كما أن الأم اللبنانية قادرة على رفــع التحدّي ضد «العــدو» لدرجة





تقديم أولادها وقوداً لحرقه. النساء اللبنانيات، كما النساء في كل مكان، يتمتعن بغرائز وبردود أفعال شبيهة بتلك المتوافرة لدى الرجال.. ما يجعل من قرار إلباس النساء رداء «العفّة» الحربية، ضرباً من ضروب التسطيح.

في المقابل، لم تعمد نادين لبكي في فيلمها، إلى تطهير النساء من كل ذنب، وإنما إلى تطهيرهن فقط من ذنب الحرب، كأنهن تعلّمن من تجارب سابقة، لم تعلّم الرجال شيئاً. فخرج الفيلم على الجمهور بمجموعة من النساء، يلتقطن أنفاس المتفرجين من لحظته الأولى إلى تلك الأخيرة.

تقول لبكي في مقابلاتها الصحافية إن فكرة الفيلم ولدت خلال حبلها بوحيدها وليد، عندما اشتعلت حرب شوارع سريعة في لبنان العام 2008، فوجدت نفسها مكبّلة اليدين أمام رعب هائل الحجم، قادر على ابتلاع طفلها وأطفال كثر. فكّرت بما في وسعها فعله لحمايتهم. هي، إذاً، منذ ولادة الفكرة، أطلقت على كل النساء اسم «الأم» وعلى كل الرجال اسم «الحرب». وهكذا كان فيلمها.

نقطة نقد محورية أخرى كان يمكن أن يواجه بها الفيلم، وهي أسباب الحروب ودوافعها، إذ عولجت بطريقة مستعجلة في الفيلم، على الرغم من تعقّد الواقع، والتركيب الذي يشوب أسباب أي حرب، بدءاً من مستوى الحياة الاقتصادي، مروراً بنوعية العصبية التي تتخذ شكلاً دينياً، وصولاً إلى دور الفرد ودور الآخر في صناعتها.. الفيلم لا يعالج ذلك، وإنما يختصر «أسباب الحرب» بنوع من أنواع الغباء الشرس، يصيب الرجال، كفيروس معدٍ. وقد تمكّن الفيلم من تفادي ذلك المطبّ من خلال مقدّمة تضعه في سياق خيالي، ومشاهد موسيقية تجعله أقرب إلى الفانتازيا الراقصة، وتطوّر أحداث ينأى به عن الواقع، ليكون حلم امرأة تسعى لإبعاد شبح الحرب عن عائلتها. فكانت امرأة حمت فيلمها من نقدٍ يمكن أن يصيبه في صلبه.

نسوة الشاشة

استطاع الفيلم الألماني الطويل «عندما نرحل» للمخرجة فيو ألاداك الفوز بالجائزة الكبرى في اختتام المهرجان الدولي الخامس لفيلم المرأة والذي تحتضنه مدينة سلا، وهو الفيلم الذي يعالج إشكالية «الهوية والهجرة» وقد حظي اختيار لجنة التحكيم على هذا الفيلم كي يُتَوَّج أيضاً بجائزة أحسن دور نسائي والتي كانت من نصيب الممثلة سيبيل كيكيلي، وأحسن سيناريو والذي كتبته مخرجة الفيلم الذي أنتج سنة 2008. ويحكي الفيلم نفسه «قصة أوماي امرأة شابة من أصل ألماني، تضطر لمغادرة اسطنبول برفقة ابنها من أجل حمايته من بطش زوجها العنيف، وتقرر العودة للعيش وسط عائلتها في برلين، لكن أفراد أسرتها لم يلقوها بالترحاب الذي كانت تنتظره منهم، فالأعراف أقوى من أن يتجاوزوا الاتفاقات مما يجعلهم ممزقين بين الحب الذي يكنّونه لها وقِيَم مجتمعهم. أمام هذا الوضع، تجد أوماي نفسها مجبرة مرة أخرى على مغادرة من تحبهم تجنباً للانتقام، وألا تكون مصدر العار والخزي لهم..».

أما جائزة لجنة التحكيم الخاصة فقد عادت مناصفة إلى الفيلم الأميركي «شتاء العظام»، للمخرجة ديبرا كرانيك، والفيلم الإيطالي «كوربو سيليست»، للمخرجة أليس روهراوش، في حين عادت جائزة أحسن دور رجالي إلى الممثل الأسترالي جون هيرت عن دوره في «لو» للمخرجة بليندا شايكو. وقررت لجنة التحكيم -التي ضمت في عضويتها كلاً من مورين مازوريك من إنكلترا، والصحافية والناقدة السينمائية أومي ندور من السينغال، والممثلة هالة صدقي من مصر، والمخرجة مريم خاكيبور من إيران، والمخرجة والمنتجة السينمائية لوسيل هادزيها ليلوفيتش من فرنسا، والمخرجة ليلى التريكي من المغرب- منح «تنويه خاص» للفيلم المصري «6-7-8» للمخرج محمد دياب لـ «شجاعة هذا الأخير في التطرق لموضوع التحرش ولدفاعه عن كرامة المرأة».

ومن جانب آخر، عرف الحفل الذي احتضنه المركب السينمائي «هوليوود» في سلا تكريم فاطمة العلوي بلحسن (المغرب)، مصممة الديكور والفنانة التشكيلية، وناكي سي سافاني من كوت ديفوار، وهي ممثلة وناشطة في مجال حقوق النساء والطفولة في إفريقيا ورئيسة مهرجان المرايا والسينمات الإفريقية في مارسيليا.

عبد النبي الجيراري
جرح الأغنية المغربية

مهما مكثوا في الظل فظلّهم يبقى شامخاً، عبد النبي الجيراري الذي ودعنا أخيراً ينتمي إلى سلالة هؤلاء. كان أول رائد ينتزع الموسيقى من نعمة التراث الأندلسي والملحون والأهازيج الشعبية، وينوّب كل هذا في حداثة غنائية غير معهودة تركت أجود ما مني به الإنصات في زمانه، الجيراري هو الأغنية المغربية حين يقترن الحديث بالريادة والعصرنة.

قاده افتتانه المبكر بالمقامات العربية من حصير معهد متواضع يلقن الصولفيج، إلى بارع متعدد، نقّاء شعر وصوت، ذي إحاطة موسوعية بالآلات، يتقمّص بإتقان: العود والكمنجة، إلى الأكورديون، وبينه وبين البيانو تجاذب أقحمه في الموسيقى المغربية لأول مرة. وهكذا وضع اللبنات الأولى لأرشيف الإذاعة بأغانيه ومعزوفاته وكان ينتقي أشعاره بذوق رفيع، فمن جملة ما غناه قصائد لابن زيدون وجميل بثينة وأبي القاسم الشابي.



قامة في العطاء استؤنفت بتأسيسه جوق الاتحاد الفني الرباطي، النواة الأولى للفرق الموسيقية العصرية في المغرب سنة 1945، واستمر الراحل يكرس وقته في بحث لا ينقطع عن الخامات الصوتية، هو الأب الروحي والمستكشف الأول لنجوم الأغنية المغربية: عبد الهادي بلخياط، نعيمة سميح، سميرة بن سعيد، عزيزة جلال، الراحلة رجاء بلمليح، والملحنين عبد القادر وهبي وعبد اللطيف السحنوني وعز الدين المنتصر، وغيرهم يطول حصر أسمائهم، مازال الناس يتذكرون دهشتهم الأولى وهم خلف مكرفون برنامج «مواهب» مدرسة عبدالنبي الجيراري التي علم فيها أصول النغم واستحقاق التطريب عبر شاشة التليفزيون المغربي في ستينيات القرن الماضي. جهده سيّال ولا شغل له إلا الموسيقى، أنفق في سبيلها وفي سبيل الموسيقيين ما يملكه، ولم تخيبه التضحية في مشروع متكامل جماعي على أسسه تألقت الأغنية وذاع صيتها في العالم العربي.

ودعنا الجيراري بعدما بسط أنغامه خارج الحدود، وغير محبذ أن تظل أعماله محبوسة في ريبرتوار الإذاعة الوطنية، وهي تنيع منها ما شاءت وغيرها من الخالدات الكثير، لكن الحاجة إلى تعميمها والحديث عنها إنصاف مستحق، ومن الاستخفاف والحرقة التنكير برموز كبار وقت رحيلهم أو في تكريم يتيم لا يرقى إلى المنجزات.

منذ أن تسللت قبضة وزير الداخلية والإعلام الأسبق إدريس البصري على تجربة «مواهب» أواسط الثمانينيات، والعقم ينخر الأغاني، وضع أحزن الجيراري ولم يفارقه الحنين لاستوديو «مواهب»، وقد غاب الراحل طويلاً عن الوسط الفني في السنين الأخيرة إلى أن انعزل طريح الفراش وحيداً في نسيان مرير. رحل عنا الجيراري في غفلة من حناجر كانت ولا تزال مكرسة بفضله، لا شيء يشفع لهم غير موسيقاه وستبقى أغانيه مرثيات سعيدة.

فن الصوت.. الأرشيف الضائع

| إبراهيم راشد الدوسري

بعد رحيل المطرب البحريني الكبير محمد بن فارس، أشهر من غنّى الصوت في الخليج العربي عام 1947م، لم يتوقف تأثر عدد من المطربين البحرينيين بفن الصوت من الذين عاصروا محمد بن فارس أو من الذين برزوا في الأربعينيات والخمسينيات والستينيات من أمثال المطرب عبدالعزيز بورقبة ومحمد عيسى علاية وعبدالله أحمد وفرحان بشير وعلي خالد وأحمد خالد ويوسف فوني وعبدالله بوشيخة وسبت صالح ومحمد عيسى بوشقر وأحمد الجميري وإبراهيم حبيب، فضلاً عن الراحلين ضاحي بن وليد ومحمد زويد أحد أبرز تلامذة محمد بن فارس وغيرهم، سواء من داخل البحرين أو الخليج عموماً.

وبرغم الظروف التي أدت إلى انحسار وانكماش فن الصوت في السنوات الأخيرة إلا أنني لابد وأن أشيد بأهم الإنجازات الفردية التي ساهم بها أصحابها من فنانين وكتاب لإبراز فن الصوت وتوثيقه ليكون معيناً ونخراً للأجيال القادمة.

ومن هؤلاء الفنانين المطرب والملحن أحمد الجميري الذي قام بتسجيل حديث لعدد من أصوات محمد بن فارس بمصاحبة الفرقة الموسيقية.

وكذلك المطرب الكويتي الراحل عوض الدوخي الذي قام بتسجيل مجموعة من أصوات المطرب محمد بن فارس بصوته الرخيم في أواخر السبعينيات.

وكذلك تجربة الملحن والمطرب البحريني خالد الشيخ وقيامه بتلحين أغان مستوحاة من فن الصوت



وإيقاعاته، وتلك الأغاني هي «جروح قلبي وتر» للشاعر علي الشرقاوي وأغنية «أحبابنا» وهي موال للشاعر علي عبدالله خليفة.

وفي مجال الكتابة والبحث يبرز إنجاز الباحث البحريني مبارك العماري الذي أصدر كتاباً من جزءين.. الأول بعنوان المطرب محمد بن فارس أشهر من غنّى الصوت في الخليج العربي وهو يتضمن سيرة حياة المطرب محمد بن فارس ومشواره الفني. أما الجزء الثاني فيتضمن القصائد التي غناها محمد بن فارس والتي سجل عدداً منها.

في ظل عصر الفضائيات ونظام العولمة وانفتاح نوافذ الحضارات على بعضها البعض من خلال وسائل الاتصال الحديثة المختلفة أصبح لزاماً علينا بل وواجباً تحتمه المتغيرات الديموغرافية والاجتماعية والسياسية أن نحافظ على المنجزات التي أنجزها أجدادنا في المجالات المختلفة وأصبحت تراثاً عزيزاً وقواعد تأسست عليها التطورات اللاحقة، ومثال ذلك فن الصوت وهو الغناء الفردي الذي تعزز في البحرين بفضل جهود المطرب الكبير الراحل محمد بن فارس والمطربين الذين ساروا على نهجه من بعده، لذلك تبقى صيانة هذا الإرث وتوثيقه بما يجنبه التلف والنسيان مسألة في غاية الأهمية.

إن ما هو موجود في متحف البحرين في قسم الطرب وفنون الغناء الشعبي لا يعبر حقيقة عن تاريخ هذه الفنون في البحرين، فالمادة المعروضة فقيرة مقارنة بالفترة الزمنية التي قطعتها هذه الفنون، وصولاً إلى فن الصوت الذي برز في البحرين بفضل جهود محمد بن فارس والمطربين الذين ساروا على نهجه من بعده. فلو تم جمع المادة المتعلقة بفن الصوت فقط من صور للمطربين - الآلات الموسيقية والإيقاعات المستخدمة في الصوت - ونصوص الأغاني - والأسطوانات- والوثائق والمراسلات والرسائل والاتفاقيات وعقود التسجيل - وأجهزة التسجيل الصوتية القديمة - والكتب والأبحاث. وصور الدور والطرب الشعبي وصور العازفين المصاحبين على الآلات الوترية والإيقاعية وأسمائهم والروايات - وصور وأسماء أصحاب شركات التسجيل والأسطوانات.

نقول لو تم جمع تلك المادة الثرية وفرزها وتصنيفها وعرض ما هو مناسب والاحتفاظ بالباقي كأرشيف، شريطة أن تعرض المادة بشكل جذاب ومشوق، حينها سوف يجتذب هذا القسم، أي قسم فن الصوت في المتحف، انتباه الشباب خصوصاً، والزوار عموماً، ليتعرفوا على جزء عزيز من تاريخ فنون الوطن وتراثه الأصيل وهو فن الصوت.

ألبوم الكسل



محمد هشام عبيه

الحكم على أي ألبوم جديد لعمرو دياب لا يتم بسماعه من أول مرة، والحالة التي تصنعها الأغنيات الجديدة، تتسلل تدريجياً إلى الأذن ومنها إلى الروح بتكرار الاستماع إليها، هذا ما تقوله «النظرية العمراوية». ولابد أن مريدي «عمرو» طبقوا هذه النظرية مع ألبوم «بناديك تعالى» الذي صدر في أوائل شهر أكتوبر/تشرين الأول، فماذا كانت النتيجة؟

حتى مع سماع أغنيات «بناديك تعالى» مرات متكررة، يبدو الاستمتاع بالألبوم عصياً، فالحالة العامة التي تغلف معظم الأغنيات هي «الكسل الفني» الذي يتجلى في أن 9 أغنيات على الأقل من أصل 12 يضمها الألبوم، لا تدهش المستمع بكلمات مغايرة أو جمل لحنية مختلفة عن تلك التي يقدمها «عمرو دياب» منذ سنوات عدة، وهو أمر منطقي لأن «الهضبة» - كما يطلق عليه مريدوه - لايزال مخلصاً لعدد محدد من المؤلفين، دون المغامرة بـ «نفس» جديد باستثناءات قليلة.

لكن عمرو دياب استنفد جزءاً كبيراً من طاقته في تلحين أو المشاركة في تلحين 10 أغنيات كاملة بالألبوم من أصل 12، ولم يظهر في أي من الألحان باستثناء «تجربة وعدت»، و«يوم ما اتقابلنا»، و«ألومك ليه»، ما يمكن تسميته بـ «طاقة عمرو دياب». واللافت أن الأغنيتين الأخيرتين من تأليف أيمن بهجت قمر الذي لا يرتكن إلى كلام متكرر في أغنياته قط، في حين استولى «الكسل الفني» على باقي الألحان، بل إن الكسل ذاته يتجلى في أن أغنية «بناديك تعالى» تم تكرارها في نهاية الوجه الأول من الألبوم حرفياً دون أي محاولة لإعادة توزيعها مثلما فعل عمرو من قبل في أكثر من ألبوم.

تبقى أغنية «مقرش أنا» هي الأكثر تماساً مع روح وطاقة عمرو دياب، فيما تبدو «يا ريت سنك» من تأليف بهاء الدين محمد هي الأغرب ربما في تاريخ عمرو دياب كله، إذ وهي الموجهة لمراهقات إعدادي وثانوي وتتحدث عن أنه «لو بس مش طيب» دون أن يكمل الشطر متركاً العنان لخيالك، في حاجة لمراجعة كلماتها بدقة باعتبار أنها تستهدف من هن دون 18 سنة!

اختلف مزاج «السمّيعة» في مصر - وربما في العالم العربي - بعد ثورة 25 يناير بكل تأكيد، وما كان يمررونه من قبل لمحبيهم لن يفعلوه ثانية، ربما رصيد عمرو دياب يسمح هذه المرة، فقط إذ اعتبر أن «بناديك تعالى» مجرد «تجربة وعدت»، وأن يدرك على عكس ما يردده في نفس الأغنية قائلاً: «بالعربي ما حدش يستاهل» بأنه «بالعربي» هناك من يستاهل.. جمهوره.

وردة تسترد ما ضاع منها



وردة الجزائرية تعود مجداً لملاقاة الجمهور، محمّلة بالشّوق وبلهفة محو سنوات الغياب الطّويلة. تعيدنا إلى زمن الطّرب الجميل وتكشف عن ثقل السنين التي ترك أثراً على صوتها في ألبوم «اللي ضاع من عمري» في حلّة مفرطة شبابية.

الألبوم الجديد إنتاج «روتانا» تضمن سبعة أغان تنوعت موضوعاتها بين الحب والعتاب. أما الأغنية الأهم في الألبوم والتي حملت عنوان «اللي ضاع من عمري» فتقول فيها: «اللي ضاع من عمري ليك لازم ارجع أعيشه بعدك.. روحي كانت بين إيديك وبايديك رجعت في بعدك» وتواصل: «مبقاش في شي يستاهل أبكي على أي حاجة أبداً.. حتى اللي خان قلبي وجرحني الله يسامحو شكرا». كما تمنحنا وردة فرصة للسؤال عن مصائر المحبين في «حب مين يشتري؟»وتحكي بعضاً من حياتها في «عدت سنة» قائلة: «عدت سنة حاجات كثيرة تغيرت إلا أنا». ومن المقرر أن تصدر وردة، خلال الأيام المقبلة، فيديو كليب أغنية «أمل» التي كتبها ولحنها مروان خوري. في انتظار دائماً الدويتو الذي سيجمعها مع المطرب التونسي صابر الرباعي المعنون «الغنا حالي» والذي تم الإعلان عنه قبل أكثر من سنة ونصف. حيث سنسمع في مطلع الأغنية التي يفتتحها الرباعي: « طول عمرى وأنا بحلم يبقى الغنا حالي.. أفرح أغني أحزن أغني.. راحتي في موالي قد ما اتمنيت وحلمت بيه ولقيت.. إيه أجمل من النهارده جنبك بغنى يا وردة».

تبلغنا العيون بما أردنا

| نزار عابدين

يحفل التاريخ الشعري العربي بقصص العشق والعشاق، ونحدد «التاريخ الشعري» لأن المؤرخين لم يهتمّوا إلا بالشعراء من العشاق وأهملوا غيرهم، فلا نجد أخبارهم إلا في بعض المصادر التي اهتمت بطرائف القصص والأخبار، أو التي عنيت بأخبار العشق وقصصه مثل «مَصارع العشاق» للسِّراج القاري (1027 - 1106م) و«تزيين الأسواق في أخبار العشاق» لداوود الأنطاكي (؟ - 1600م). حتى هؤلاء العشاق الشعراء لم يلقوا القدر نفسه من الاهتمام، فقد أصبح بعضهم نجوماً يردد الناس أسماءهم حتى دون أن يحفظوا بيتاً واحداً من أشعارهم مثل «جميل بثينة» و«كُثيِّر عزّة» و«ذي الرُمّة» (اسم صاحبته ميّ)، بينما لا يعرف معظم عشاق الشعر شيئاً عمن كانوا أئمة العشق مثل «عُروة بن حزام» وصاحبته عفراء، و«عبد الله بن العجلان النهدي» وصاحبته هند، و«المرقِّش الأكبر» وصاحبته أسماء.

ثمة ظلم آخر في قصص العشق والعشاق، وفي تاريخ الشعر العربي بعامّة. فإذا استثنينا «الخنساء» و«ليلى الأخيلية» فإننا لانجد للنساء الشاعرات إلا أبياتاً متفرقة، وقد لا نجد للشاعرة إلا بيتين أو ثلاثة قالتها في مناسبة ما، ترتبط في أغلب الأحيان بالشاعر العاشق، مع أن القراءة المتأنية المتفحصة لهذه الأبيات تنم عن شاعرية حقة، ولذا يصعب تصديق أن هذه المرأة لم تقل شعراً لا قبل المناسبة ولا بعدها. لنقرأ هذا المثال.

حين حضرت جميل بن مَعمَر الوفاة في مصر، عزّ عليه ألا تعلم بثينة بالأمر، فأعطى رجلاً راحلته وما عليها، وأوصاه أن يرتدي حلته، وينشد عند حيّ بثينة:

صَدَع النّعِيّ وَما كَنى بجَميلِ
وَثوى بمِصرَ ثَواءَ غَيرِ قفولِ

وَلَقَد أَجُرّ الذَيلَ في وادي القُرى
نَشوانَ بَين مَزارِعٍ وَنَخيلِ

بَكرَ النَعِيّ بِفارِسٍ ذي هِمّةٍ
بَطَلٍ إِذا حُمّ اللِقاءُ مُذيلِ

قومي بُثينةُ فَانْدُبي بعَويلِ
وَابْكي خَليلَكِ دون كُلِّ خَليلِ

فخرجت إليه بثينة في نساءٍ وقد فرعتهن (فاقتهن) طولاً، فلما تيقنت من صدقه صكّت وجهها وأغمي عليها ساعة، فلما أفاقت قالت:

وَإنّ سُلُوِّي عَنْ جَميلٍ لَساعَةٌ
مِنَ الدّهرِ لا حانَت وَلا حان حينُها

فكيف نصدق أن من قالت هذين البيتين لم تقل شعراً قبلهما ولا بعدهما؟ ولو أننا قرأنا البيتين وقد نسبا إلى أحد الشعراء لأعجبنا بهما أيما إعجاب.

ونضرب مثلاً آخر، إذ تتكرر حكاية رجل يدعى «جَعْد بن مِهجَع» في كتب كثيرة منها الأغاني والفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي وأخبار النساء لابن الجوزي والتذكرة الحمدونية لابن حمدون وغيرها، وفي نهاية الحكاية تنشد «أسماء» صاحبة جعد ثم زوجته ثلاثة أبيات، يمكن أن نعدها من عيون شعر الغزل:

كتمتُ الهَوَى إني رأيتُكَ جازعاً
فقلتُ فتىً بعضَ الصّديقِ يُرِيدُ

وَإنْ تَطّرِحْني أوْ تقولُ: فتيّة
يُضرُّ بها بَرْحُ الهَوَى فتعُودُ

ومع ذلك لا نجد في كتب التراث بيتاً واحداً لهذه الشاعرة غير هذه الأبيات. حتى في قصة مجنون ليلى لا نجد له بيتاً واحداً قبل عشقه ليلى، ويلفت الانتباه أنها كانت المبادرة إلى البوح، وقالت الشعر قبله، فقد أحبت أن تعرف ما لها عنده، فاهتمت بغيره فلما امْتُقِع لونه قالت:

كِلانا مُظْهِرٌ للناسِ بُغضاً
وكلٌّ عندَ صاحبِهِ مَكينُ

تُبلّغُنا العُيونُ بما أَردنا
وَفي القلبين ثَمّ هَوىً دفينُ

لسنا نؤرخ للعشق والعشاق فالمجال لا يتسع لهذا، إنما هي طرائف ومفارقات من هذا العالم الجميل، عالم الحب والمحبين.



نصيحة في كبسولة

ألم الأسنان

ظهور ألم عند محاولة القضم أو شرب سوائل باردة أو ساخنة يُعد علامة على تصدع إحدى الأسنان أو وجود كسر فيها، وتشير الجمعية الأميركية لطب الأسنان إلى الأسباب المحتملة لتصدع الأسنان في القائمة الآتية:

• مضغ أو محاولة كسر أطعمة صلبة كالجوز أو الحلوى أو مكعبات الثلج باستخدام الأسنان.

• المضغ بشكل غير منتظم.

• فقدان جزء من الأسنان كالحشو.

• عمليات حشو الأعصاب والتي تجعل الأسنان أكثر قابلية للكسر.

• تعرض الأسنان لدرجات حرارة مفرطة كتناول شراب ساخن جداً أو مثلج.

الحروق الطفيفة

معظم الحروق الطفيفة تكون حمراء ومؤلمة، وقد تحدث انتفاخا تحت الجلد، وقد يتقشر الجلد المحروق بعد قليل ليتعافى خلال ستة أيام، ويعتبر علاج الجروح الطفيفة ممكناً في المنزل مادامت لا تغطي مساحة كبيرة من الجلد.

وتنصح الأكاديمية الأميركية لطب الأسرة بعدم وضع الزيت أو الثلج على منطقة الحرق، كما هو متعارف عليه، وبدلاً من ذلك تغمس منطقة الحرق في ماء بارد ثم تطلى بمرهم مضاد حيوي، وتغطى منطقة الإصابة بشاش أو قماش نظيف وجاف، ويتم تغيير الضمادة كل صباح وطلاء المنطقة بالمرهم باستمرار منعاً للالتهاب. ويمكن استخدام مسكن ألم موضعي لتقليل الشعور بالحرق، وتشير الأكاديمية إلى ضرورة الذهاب إلى الطبيب في حالة عدم التئام المنطقة بعد عدة أيام أو في حالة ظهور التهاب أو وجود ألم غير محتمل.

الجروح البسيطة

تعد معظم أنواع الجروح قابلة للعلاج في المنزل دون الحاجة إلى زيارة الطبيب، إلا أن الجروح العميقة قد تتطلب عناية سريعة منعاً للالتهاب. وتقول مؤسسة نيمروس الأميركية للصحة إنه في حالة الإصابة وعدم إمكانية التوجه إلى المستشفى بالسرعة المطلوبة، فهناك إجراءات يمكن عملها للتعامل المؤقت مع الموقف ومنها ما يلي:

• غسل الجرح والضغط عليه بقماش أو شاش نظيف للسيطرة على النزيف.

• في حالة تشرب القماش يتم تغييره بقطعة أخرى جافة ونظيفة والاستمرار في الضغط.

• يتم رفع مستوى الجزء المصاب لتخفيف النزيف.

• مراعاة عدم الضغط بشدة على المنطقة المصابة منعاً لتهتك الجرح.

نزع الشظايا

معظم الشظايا كالشوك وأجزاء الزجاج تعتبر قابلة للإزالة في المنزل دون حاجة إلى زيارة الطبيب، مادامت الإصابة سطحية وتقع في منطقة غير حساسة من الجلد، أما في حالة كون الشظية في منطقة حساسة قرب العين أو غير ذلك، وفي حالة ما إذا كانت غائرة في الجسم، فمن المهم سرعة التوجه إلى الطبيب لإزالتها جراحياً ومنع الالتهاب.

وتنصح الجمعية الأميركية لطب الأسرة من يحاول إزالة شظية في المنزل باتباع الخطوات التالية:

• بالنسبة للشظايا الكبيرة تستخدم إبرة أو ملقاط بعد تعقيمها بالكحول أو اللهب.

• تغسل منطقة الإصابة بالماء والصابون مع مراعاة عدم غمرها بالماء حال كون الشظية خشبية.

• الاستعانة بإضاءة جيدة وعدسة مكبرة إن إمكن.

• باستخدام الملقاط يتم القبض على طرف الشظية بإحكام والجنب بنفس الزاوية التي اخترقت بها الشظية الجلد.

• يتم تعقيم المنطقة بعد إخراج الشظية بالصابون والماء ويراعى تغطيتها بلاصق طبي، خاصة إذا ما خلفت العملية جرحاً.

«8.7» مليون نوع من الكائنات تعيش على الأرض

| **حسن فتحي** - القاهرة

في أحدث تقرير لإجمالي أنواع الكائنات الموجودة على الأرض، أعلن علماء الحياة البحرية بكندا أن هناك 6.5 مليون نوع موجودة على الأرض، بجانب 2.2 مليون نوع تعيش في أعماق البحار والمحيطات.

وذكر العلماء أن هذا التقدير قد بني على تقنية تحليلية مبتكرة ضيقت بدرجة هائلة من مدى التقديرات السابقة، حيث ذكر أن عدد أنواع الكائنات طبقاً للتقديرات السابقة التي أعدت حتى الآن كان يتراوح بين 3 ملايين و 100 مليون نوع. وتذكر الدراسة أن 86 % من مجموع أنواع الكائنات على الأرض، و91 % من أنواع الكائنات البحرية لم تكتشف بعد، ويحاول العلماء اكتشافها وتوصيفها ووضع تقديرات لها.

وكانت قضية عدد أنواع الكائنات الموجودة على الأرض، أثارت شغف العلماء والباحثين لعدة قرون، وتركزت الإجابة مع البحوث الأخرى على توزيع الأنواع ومدى توافرها، وهي قضية بالغة الأهمية اليوم، لأن تأثير الأنشطة البشرية السائدة الآن يسرِّع من معدل انقراض العديد من أنواع الكائنات، حتى أن أنواعاً عديدة من الكائنات قد تختفي قبل أن نتمكن من إدراك تلك الحقيقة.

ووفقاً للدكتور بوريس وورم من جامعة دالهوس، الإنسانية رغم أنها ألزمت نفسها بإنقاذ أنواع الكائنات المهددة بالإنقراض، إلا أنها لا تمتلك حتى الآن سوى فكرة حقيقية محدودة عن أعداد تلك الأنواع. ولاحظ وورم أن القائمة الحمراء التحذيرية المعدلة التي أصدرها أخيراً الاتحاد الدولي للحفاظ على الطبيعة، أكدت على وجود 59508 أنواع من بينها 19625 نوعاً تم تصنيفها على أنها مهددة بالانقراض، ويعني ذلك أن القائمة الحمراء التي أصدرها الاتحاد الدولي للحفاظ على الطبيعة، والتي تمثل أكثر الدراسات الجارية تعقيداً قد تتبعت أقل من 1 % فقط من مجموع أنواع الكائنات الموجودة في العالم.

وقد نشر هذا البحث بجانب تعليق للورد روبرت ماي من جامعة أكسفورد الرئيس السابق للجمعية الملكية البريطانية امتدح فيه الباحثين، معلقاً بأن البحث يمثل مدخلاً جديداً، وعهداً مرموقاً لزهو وفخار الإنسانية أن نعرف أن أعداد الكتب في مكتبة الكونغرس الأميركية في أول فبراير/شباط هذا العام كان قد بلغ نحو 22 مليوناً و195 ألف كتاب، ولكنها لا تستطيع أن تخبرك بحالة وأعداد أنواع النباتات والحيوانات المنقرضة أو المهددة بالانقراض.

ومن المعروف أن العالم السويدي كارل لينايوس قد وضع ونشر في عام 1758 النظام الذي مازال يستخدم لتسمية ووصف أنواع الكائنات. وعلى مدى 253 سنة منذ هذا التاريخ تم وصف نحو 1.25 مليون نوع، منها مليون على سطح الأرض والباقي في المحيطات، وأدخلت قاعدة البيانات المركزية، ويعتقد أن هناك 700 ألف نوع أخرى تم وصفها، ولكن لم يتم إدخالها بعد إلى قاعدة البيانات المركزية. وقد بني أفضل تقدير لمجمل الكائنات على الأرض على تخمينات ووجهات نظر وآراء الخبراء الذين اندفعوا في تقديراتهم بشكل متباين من 3 إلى 100 مليون لعدم وجود طريقة لتحقيق تلك الأرقام. ولذلك قام العالمان مورا وورم بالاشتراك مع زملائهما من جامعة دالهوسي بتنقية التقديرات الموضوعة لإجمالي أنواع الكائنات وتوصلوا إلى النتيجة السابقة بأنها تبلغ 8.7 مليون نوع، وذلك باستخدام النماذج الرقمية الموضوعة في إطار النظام المتبع في علم التصنيف. كشف علماء أ09 ويحمل اسم عالم الفلك الألماني فريدريش فيلهلم هيرشل الذي ولد عام 1738 وتوفي عام 1822.





نامـــوا تبـدعوا

في كل يوم يكشـف العلمــاء حقائق جديدة عن أســرار النــوم، وربما يكون أهم اكتشــاف في هذا المجال أن العلماء وجدوا نشاطاً كبيراً للدماغ أثناء النوم، وأنه يمكن للإنسان الاستفادة من وقته وهو نائم في تعلم أشـياء جديدة، وهذا الأمر ربما يكون مهماً بالنسـبة للطلاب والباحثين والمبدعين.

إذ يعكـف العلمــاء اليوم فــي معهد ماكـس بلانـك بألمانيــا علــى تحري الذكريــات وطرق تخزينهــا وآلية عمل الذاكــرة، وقد فوجئــوا عندما وجدوا أن النوم يمثـل معجزة عظيمــة في التذكر والتعلم! والنتائج التي نشرت في مجلة (Nature Neuroscience)تمثل قفزة فــي معرفة كيفيــة التعلــم والتذكر لدى الإنســان، حيث وجدوا أن قشرة الدماغ تنشط أثناء النوم!!!

وقد تبين بنتيجة هذه الدراســات أن المعلومات تخــزن في منطقة عميقة من الدمــاغ تدعــى hippocampus لفترة قصيــرة، ثم تتحــرك خلال عــدة أيام وبخاصة أثناء النوم العميق إلى قشرة الدماغ فــي منطقة تدعــى neocortex لتصبح في مجال الذاكرة الطويلة الأمد.

فقـد أكد العلماء تومــاس هان وبرت ســاكمان وماينك ميثا على أهمية النوم في عملية التعلم والتذكر، حيث لاحظوا نشــاطاً كبيــراً للخلايا العصبيــة أثناء النوم.

وبينــت دراســة أميركيــة أن النوم العميق يقلل من مشــكلة زيــادة الوزن وخاصة عند الأطفال. وتقول الدراســة التــي أجريت فــي جامعة إيفانســتون في ولايــة إلينــوي إن كل ســاعة نوم إضافيــة تقلل من مشــكلة زيادة الوزن والسمنة. وأكدت إيميلي سنيل، الخبيرة المسؤولة عن الدراسة أن قلة النوم تؤثر على الهرمونات المســؤولة عن الشعور بالجوع وخاصة عند الأطفال.

النوم ينمي المواهب

يقــول الباحثون: إن النــوم المريح والمترافــق بمواصلــة الممارســة واســتمرارها، يمكن أن ينمــي ويطور المهــارات الفردية الخاصــة والمواهب الشخصية، وخصوصاً ما يتعلق بتنشيط الذاكرة وتنشــيط اســتذكار ما حدث في الماضي، واستذكار التصورات.

يقول الدكتور ســتيفان فيشــر الذي تــرأس هذه الدراســة: إن النوم مفيد بل ضــروري لتحقيــق مســتوى أفضل من المهارات، ويقول رئيــس جمعية النوم البريطانية نيل ســتانلي: إن الدراســة الجديدة تؤكد من جديد على أهمية النوم في حياة الإنســان، وأنــه من الخطأ أن يتصــور البعض أن النوم مجرد مضيعة للوقت وبلا فائدة.

وقــد أثبتت سلســلة من الدراســات الألمانيــة وجــود علاقــة بيــن النــوم والقدرة على الإبداع، وأن الدماغ يمارس نشــاطات إبداعية أثناء النــوم. ويقول الدكتــور كارل هانــت، رئيــس المركز القومي لأبحاث اضطرابات النوم التابع للمعاهــد القومية للصحة في ألمانيا: إن نتائج وانعكاســات مثل هذه الدراسات ســتكون بالغة الأهمية على أداء الأفراد على الصعيدين الدراسي والعملي.

وهناك دراســة قام بها علماء جامعة لوبيــك أثبتــوا فيها نظريــات الكيمياء الحيوية التي تشــير إلــى أن المخ يعيد ترتيب الذاكــرة قبيل التخزيــن، وترى النظريــة أن تطويــر القــدرات والإبداع يحدث أثناء هذه المراحل، ويقول الدكتور بورن: قد تقع عملية إعادة الترتيب هذه بطريقة ما تسهل من عملية حل المشاكل والمصاعــب. ولكن التفاعــلات الدقيقة التي تؤدي لشـحذ المخ بتلك المقدرات أثناء النوم مازالت غير واضحة.

ويهتــم العلمــاء الألمــان بظاهــرة النوم ويحاولون الاســتفادة من نتائج تجاربهم، ويقولون: تبدأ التغييرات في المخ التــي تؤدي إلى الإبــداع وتطوير القــدرات في الحــدوث أثناء ما يســمى بالموجــات البطيئــة slow waves أو النوم العميق التي تحدث أثناء الساعات الأربــع الأولى مــن دورة النــوم، وقد

تفسر الدراسة الألمانية أيضاً فقدان الذاكرة مع التقدم في العمر الذي يرتبط باضطرابات وقلة النوم، خاصة العميق منه والضروري لعملية شحذ الذاكرة.

وكان الباحثون قد ربطوا منذ وقت طويل بين النوم وقدرته على شحذ الذاكرة وتقوية وترتيب الأفكار، بيد أنهم واجهوا صعوبة في تصميم تجربة تؤكد النظرية الشائعة، وتساهم اضطرابات النوم في التأثير بصورة سلبية على شريحة واسعة من المجتمع الأميركي تبلغ 70 مليون نسمة، وذلك بتراجع حدة الذكاء وارتكاب الحوادث والإصابة بأنواع مختلفة من الأمراض.

الدماغ يسترجع الذكريات

ويؤكد الباحثون من جامعة شيكاغو أن الحقائق التي ينساها الناس خلال يوم حافل بالعمل ربما يمكن استرجاعها، إذا أعقب ذلك النوم بشكل جيد. وطلب الباحثون من متطوعين تذكر كلمات بسيطة، ووجد كثيرون أن ذاكرتهم تخذلهم في نهاية اليوم، لكن في صباح اليوم التالي استطاع أولئك الذين ناموا نوماً مريحاً استرجاع المعلومات بشكل أفضل بكثير.

وهذا يعني أن المخ يمكن أن يسترجع خلال الليل الذكريات التي كادت أن تنسى. وعندما يطلب من المخ تذكر شيء لأول مرة تكون هذه المعلومة في حالة غير مستقرة، وهو ما يعني أنها ربما تكون قد نسيت. وفي مرحلة ما يضع المخ المعلومات المهمة في حالة أكثر استقراراً وثباتاً، لكن الباحثين يرون أنه من الممكن أن تعود الذاكرة المستقرة إلى حالة عدم الاستقرار مرة أخرى عندما يتم استرجاعها، ويعني ذلك أن الذكريات يمكن تعديلها وحفظها مرة أخرى عند مواجهة تجارب جديدة.

إن هذه القضية بالفعل تحير العقول، فهل الطبيعة هي التي صممت هذا النظام الدقيق للنوم؟ وهل المصادفة العمياء هي التي جعلت الكائنات الحية تنام، وهي تعلم أن النوم مفيد لها؟

أطعمة من أجل المزاج الرائق

في المرة القادمة التي تذهب فيها للتسوق لا تنس اختيار هذه الأطعمة التسعة التي ستمنحك الفيتامينات الأساسية وتحسن من مزاجك العام.. هذه الأطعمة تحتوي على مواد طبيعية تخفف من مستويات التوتر والإجهاد في الجسم بشكل طبيعي.

البرتقال: فقد وجدت دراسة ألمانية في Psychopharmacology أن فيتامين «ج» يساعد على تخفيض الإجهاد وإعادة ضغط الدمّ و«هرمون الكورتيزول» إلى المستويات الطبيعية بعد حالة الارهاق، وفيتامين ج مشهور أيضاً بقدرته على تحسين جهاز المناعة.

البطاطا الحلوّة: تعتبر البطاطا الحلوة من مخففات التوتر، لأنها تشبع رغبتنا بالنشويات والسكريات معاً بطريقة طبيعية، وتحتوي البطاطا على البيتا كاروتين وفيتامينات أخرى، وتساعد الألياف على معالجة الكربوهيدرات بأسلوب بطيء وثابت وبالتالي تقلل من المزاجية.

المشمش المجفّف: المشمش غني بالمغنيسيوم، الذي يقلل من مستويات الإجهاد ويرخي العضلات بشكل طبيعي أيضاً.

اللوز والفستق والجوز: اللوز غني بفيتامين B,E، الذي يساعد على رفع نظام المناعة، بينما يساعد الجوز والفستق على خفض ضغط الدم.

لحم الديك الرومي: يحتوي لحم الديك الرومي على أحماض أمينية تعرف باسم tryptophan تسبب إطلاق هرمون serotonin، وهي مادة كيماوية يفرزها الدماغ وتبعث على الارتياح.

السبانخ: أي نقص في المغنيسيوم يمكن أن يسبب الصداع الذي قد يؤدي الى داء الشقيقة «الصداع» والشعور بالإعياء. يجب تناول كوب من السبانخ للحصول على40 % من حاجاتك اليومية من المغنيسيوم.

السلمون: الحميات أو «الأنظمة الغذائية» الغنية بالأوميجا - 3 تحميكم من مرض القلب، ووجدت دراسة حديثة أن الأوميجا - 3 يحافظ على مستويات هورمونات الإجهاد والأدرينالين من بلوغ الذروة.

الأفوكادو: تساعد الدهون غير المشبعة والبوتاسيوم الموجودة في الأفوكادو على خفض ضغط الدم. وتعد أحد أفضل الطرق لخفض ضغط الدم. (الأفوكادو يحتوي على بوتاسيوم أكثر من الموز).

الخضراوات الخضراء: القرنبيط أو (الزهرة)، اللفت، والخضراوات الورقية مصادر قوة من الفيتامينات التي تساعد على إعادة الطاقة والقوة لأجسامنا في أوقات الإجهاد.



بصيص من نور

عرفته إذ كان أبوه يقسو عليه قسوة شديدة، وعلمت بأمره وقت اعتزامه الرحيل هرباً من تلك القسوة؛ إلا أن القدر يشاء أن يرتمي ذلك الأب في حضن ابنه مطعوناً؛ فلم أر منه إلا نحيباً ونشيجاً تتفطر له أكباد الجبال لو كان لها أن تتفطر.. أتُراه لو كان سيبكي شعراً، هل كان سيترنم ويقول:

وتقطَّعتْ أنفاسُهُ

نَفَسٌ تَبَاعَدَ عن نَفَسْ

والنبضُ يَخْفُتُ

أحسُبُ النبضات في لَهَف

أبغي بصيصاً من شعاعِ النور يَبْزُغُ في غَلَسْ

وتهدّجت كلماتُهُ في حَلْقِه

فكأنه يشكو إليَّ وما نَبَسْ

والنَّزْفُ دفّاقٌ

كأنَّ دماءَهَ نبعٌ تَغَازَرَ وانْبَجَسْ

ألقى بجسمٍ فوق صدري لم يذق غيرَ الهمومْ

ألقى به

فجعلتُهُ في حِضْنِ صدري

وضممتُه، وشممتُهُ

وكتمتُ هذا النَّزْفَ كيما يحتبسْ

لكنه لم يحتبس

وأظلَّ يرنو وهو في حِضْني إلى عيني أنا

وحدي أنا

وكأنما يسترجعُ الأيامَ والأحلامَ في عيني أنا

حتى انتهى ذاك النَّفَسْ

والنبضُ أيضاً في حشاهُ قد احتبس

محمد عبد الرحيم الخطيب
كلية دار العلوم - القاهرة

غزالة المطر

1

وتشردين..

مدى القلب ملعبُك..

أيا ظبية الوريد الأرجواني الشريد..

تطهّرك السواقي..

يعيد ك ماؤها أميرة الطهر.. أميرة الغدير..

فيه تغتسلين..

وتستحيلين من فضته..

عقداً من عقيق... وسحراً من حنين.

2

وتشردين..

بهاء التلّ روضك..

ودفترك بياض القلب...

بيتاً فبيتاً من سبحات الشّعر...

وحلو القصيد.. مليكة الربيع والحياة...

خالد عارف عثمان /سورية - جبلة

السعادة.. المفهوم شبه الضائع

مُنذُ الأزل والإنسانُ في رحلةٍ بحث عن كنز مجهول الخارطة، لم يدرك يوماً أن ما يبحث عنه كامنٌ ومستقرٌ في أعماق قلبه، -بالتحديد- قريباً جداً من محل تنفسه، مقيداً بقفص ضيق، ومنتظراً إشارةً من عقله الباطني ليبعث رسائل إطلاق سراح معتقل طال مدة سجنه. أيها الإنسان السعادة ليست ضرباً من المستحيلات، ولا من نسج الخيال كقصص ألف ليلة وليلة، بل هي حقيقة ترغب في البزوغ بعد ليلٍ طويلٍ حالكْ. مفتاحُ الزنزانة سجدة ودعاء وعزيمة وإصرار.

لكم هو جميلٌ أن تستشعر معنى السعادة فتراها تشع في وجهك كالشمس وقت الشروق، وترسم على وجهك ابتسامةً مضيئة تزيدُك بهاء. أيا إنسان اسعد لتعمل وتعطي، اسعد لتكون أنت أنت. ابدأ الآن واطلق سراحه، اخرج من دائرة الحزن، فأمثالك يستحقون أن يجربوا طعم السعادة، اجعلها تنساب من شرايين قلبك لتغذي روحك وجسدك. نقِ قلبك، افتح عقلك، دع الماضي يصبح ماضياً وامض نحوَ مستقبل مشرق ولا تنس أن تعيش الحاضر بلحظَاته.. فأنت ابن اليوم، تذكر ذلك.

منى محمد - الدوحة - قطر



معذرة.. أيتها الشعوب العربية!

من بين أعتى الأشياء، التي أسفرت عنها الثورات العربية، حتى حدود اللحظة، على الأقل. تبرز، في رأيي مسألتان رئيسيتان، أكثر تجلياً مقارنة مع غيرهما. أقصد، بذلك: تبين بالملموس وبدليل قاطع لا رجعة فيه، أن الطغاة الذين يحكموننا، أكثر ضحالة فكرية ومنهبية وأخلاقية مما كنا نعتقد سابقاً، بالتالي قد يصلح أفضلهم لإدارة شؤون مصرف صغير، أما جهاز دولة بالمفهوم الحديث للكلمة، فلا أظن. إذن، اكتشفنا اليوم بالملموس، سبب تخلفنا المريع عن الأمم المتقدمة، بقرون وقرون، مادام مصير العرب انتهى في هذا الزمان اللعين إلى بلهاء ومخادعين ومخاتلين وضعاف النفوس.

في المقابل، وكحقيقة ثانية سطعت مثل الشمس على كهف لم ير النور منذ ملايين السنين، أن الشعوب العربية ودحضاً لكل النماذج المرسومة قبلاً، فاجأت العالم بشدة، وأثبتت لمن يحتاج إلى إثبات أن فطرتها وذكاءها وخيالها ومبتغاها.. لا تختلف قيد أنملة عن ما يميز باقي البشر، وبأن الليبي أو المصري أو السعودي.. يسكنه نفس التطلع إلى الحرية والكرامة.. فقط ما كان ينقص العربي عن غيره، تلك القيادة التاريخية المؤهلة فعلا لأن تستثمر إيجابياته وتهذب سلبياته

سعيد بوخليط
مراكش - المغرب



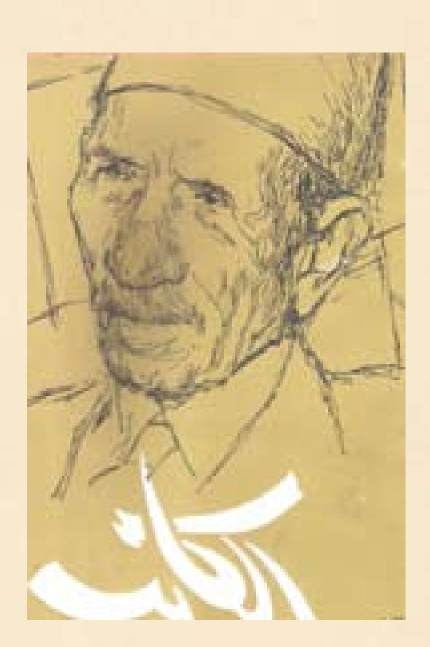
الأعمال الفنية: tejosh halder - بنغلادش

العجوز والبحر

ليس عجوز همنجواي بل آخر سكندري توطدت علاقته بالحياة حتى غمرت وجنتيه بتجاعيدها الحنون، ترهل جسده وهجرت الأسنان فمه تاركة خلفها خواء صنع مساحة زائدة في شفتيه تبرز إلى الأمام عند انطباقهما فيبدو دائم الامتعاض، أهو فعل الخواء بفمه حقا؟ أم فعل السنون بقلبه؟ رأيته في نهار رمضاني من نهارات أغسطس/آب الحارة على كورنيش الإسكندرية الذي لم ينجح نسيمه في تخفيف حدة الحر ولا اجتذاب العشاق يومذاك مستقبلاً البحر بصدره، مولياً ظهره للعالم، بدأ مناجاته للبحر، ابتدأها بوجه هاجئ الانفعالات، يداه لم تكفان عن الحركة هنا وهناك بإشارات الحديث المألوفة لشرح ما تنطق به شفتاه، المارة المتعجلون للهرب من الحر والصيام أخذوا يرمقونه بنظرات الدهشة والسخرية، لم يلمحهم هو، كان مستغرقاً في مناجاته للبحر، كان يسبح في عالم غير عالمهم (حقيقة) بدا كما لو كان ذلك لوماً لا مجرد بوح أو ثرثرة فارغة، فحديثه للبحر احتد أكثر، وجهه حمل غضباً رقيقاً، وانفعالات يديه أصبحت أكثر عصبية.

فيم كان يلوم البحر؟ هل أجهض له البحر حلماً قديماً؟ أينتظر عزيزاً طال غيابه؟ هل أغرق البحر يوماً ولده الشاب المهاجر للحياة على الشاطئ الآخر؟ هل دفن البحر يوماً بين أعماقه محبوبة قديمة له؟ أينتظر حورية من حوريات البحر؟ كم عمر هذه العلاقة بينه وبين البحر؟ توقفت عن محاولة التأويل حينما لمحت توقفه عن الحديث، وضع يديه على خاصرته وظهر عليه التركيز، بدا كما لو كان ينصت باهتمام لمحدث ما، أكان البحر يبادله المناجاة؟ لا أعرف، لا يهم أن أعرف، لا يهم إن كان البحر يناجيه حقاً أم لا، المهم أن يصدق هو ذلك، أن البحر يناجيه فجأة وفي ذلك اليوم الصيفي الملتهب عديم الرياح زام البحر وهاجت أمواجه قبل أن يهوي بها على الصخور لتتكسر. المارة المتعجلون للهرب من الحر والصيام طفقوا يهربون من رذاذ البحر المتناثر ويتقونه بما ملكت أيديهم، وحده الرجل العجوز، استقبل الرذاذ بابتسامة عريضة وصدر مفرود، قبل أن يستدير ليغادر البحر منشرح الصدر والقسمات.

أحمد نور الدين - مصر





خمسون عاماً على مجلة «الكاتب» الطليعية

شعبان يوسف

مجلة «الكاتب» التي صدر عددها الأول في إبريل/نيسان عام 1961 أي منذ خمسين عاماً، وترأس تحريرها أحد الضباط الأحرار المثقفين وهو أحمد حمروش، وكان رئيس مجلس الإدارة صلاح سالم - عضو مجلس قيادة الثورة -، وتصدرت العدد الأول كلمة لجمال عبد الناصر تقول: (عقيدتي الثابتة هي أن العلم على اختلاف نواحيه هو الوسيلة الحقيقية لتطوير مجتمعنا.. والواقع أنه بدون العلم تصبح كل الأحلام التي تجيش في صدورنا كسراب الصحراء وهماً لا وجود له..)، ثم صورة في الصفحات الأولى للرئيس، وكتب تحتها: «حامي الثقافة»، ورغم أن الرئيس بصورته وبكلماته وبوصفه حامياً للثقافة، إلا أن المقدمة التي وقعت باسم «أسرة الكاتب» تعترف بأن أزمة المثقفين العرب - وعلينا أن نتذكر أن هذا الوقت كتب محمد حسنين هيكل كتابه الشهير «أزمة المثقفين»، وتم تقسيمه وترويجه وتسويقه - بصفتها الكلمة الفصل في موضوع الثقافة، ولكن المقدمة تعترف بـ: «لسنا ندعي أننا نسجل بهذه المجلة أزمتنا الثقافية، ولكننا ننشئ منبراً جديداً متواضعاً لعله يعين المثقفين على رد اعتبار الثقافة». وكتب في العدد الأول نجوم الثقافة الفتية في ذلك الوقت مثل الكتاب والمبدعين أحمد بهاء الدين وصلاح عبد الصبور ونعمان عاشور وأحمد عبدالمعطي حجازي وعبدالرحمن الخميسي ومحمد منور وسعد مكاوي ويحيى حقي ولويس عوض وسهير القلماوي وفؤاد دوارة ومفيد الشوباشي وشكري عياد، وغيرهم، أي كل المشهد الثقافي الساطع، وفي العدد الثاني بدأت تتعزز أقدام المجلة في الحياة الثقافية، وراحت تجذب أسماء جديدة مثل أنور المعداوي وسعد كامل ورشدي صالح وسعد الدين وهبة، وكتب صلاح سالم مقدمة طويلة تحت عنوان «المشكلة الجزائرية» لتعزيز البعد العربي الذي كانت تتبناه وترعاه الدولة ذاتها، وفي العدد الثالث نشر يوسف ادريس روايته الشهيرة والرائعة: (العسكري الأسود)، ومن هنا بدأت المتاعب التي أحاطت بالمجلة، وراحت تمثل الصوت الطليعي في الحياة الثقافية – آنذاك -، هذا الصوت الذي اتخذ شعار: (مجلة الثقافة الإنسانية) هدفاً له، ثم تغير هذا الشعار إلى: (مجلة المثقفين العرب)، وبدأت السلطة تمارس نوعاً من التضييق، فبعد تغيير رئيس التحرير، وتنصيب الكاتب أحمد عباس صالح في أول يناير/كانون أول 1964 رئيساً للتحرير، قدمت المجلة نوعاً مختلفاً شكل تغييرا، وأحدث تطويراً في المادة الثقافية، وهذا يعني أنها أفلتت بشكل نسبي – أيضاً – من المتابعة والمراقبة السلطوية، إلا أن السلطة لم تحتمل هذا المنحى، فعينت الصحفي حلمي سلام رئيساً لمجلس الإدارة، الذي قام بنقل الكتاب اليساريين العاملين بدار التحرير إلى شركات القطاع العام المختلفة، ونقل رئيس التحرير إلى شركة لتجارة الأخشاب ! وأغلقت المجلة بقرار من الصحفي حلمي سلام، وهذا كان يتم في إطار صراع صقور السلطة وهذا ما لم يرض جمال عبد الناصر، فأصدر قراراً باستعادة المجلة، ولكن خارج رعاية المؤسسة – دار التحرير – وعلى نفقة وبجهد مصدريها – كما كتب إبراهيم منصور - وحاولت الدولة عبر رئيس وزرائها الدكتور عبدالقادر حاتم استمالة المجلة نحو سياستها، فطلب من المجلة أن تنضم لوزارة الثقافة، وقبلت هيئة تحرير المجلة في ذلك الوقت – 1966 – برغم أن توزيعها وصل إلى اثني عشر ألفاً، ولكن الصدام زادت حدته، لأن المجلة كانت تزداد وتتطور في تقديم المادة الثقافية والفكرية والسياسية المختلفة عن سياسة الدولة، أي الصدام بين ثقافة مستقلة ومتمردة وناقدة للوضع العام، وبين سلطة تريد تثبيت

وتدعيم قوائمها بثقافة تقليدية ومؤيدة لكل ما تفعله، وظل هذا الصدام الناعم حتى سبتمبر/أيلول 1971 حيث أصدر الدكتور عبد القادر حاتم وكان نائباً لرئيس الوزراء قرار غاشماً يقضي بإغلاق جميع المجلات الصادرة عن وزارة الثقافة.ظل هذا الصراع حتى بلغ ذروته في عام 1974، ودخل وزير الثقافة (الراحل يوسف السباعي)، طرفاً شخصياً في هذا الصراع، ودارت معركة على صفحات المجلات والجرائد، وكانت الحجة مقالين لأحمد عباس صالح، وصلاح عيسى، وكانت هذه الفترة – تحديداً – يتم فيها تصفية كل الملامح الباقية من العهد الناصري، وكانت مجلة الكاتب إحدى العلامات البارزة لهذا العهد، فتكاثرت سيوف اليمين الثقافي على المجلة، فكتب ابراهيم الورداني سلسلة مقالات، واستخدم كل أسلحة التسخيف والتزييف ليسحق بدبابته الرجعية هذه الطيور المغردة في سماء الثقافة، وكانت مقالاته بمثابة بلاغات موجهة ومقدمة إلى السلطة، وكان السادات قد أصدر في فبراير/كانون ثاني 1974 قراراً برفع الرقابة عن الصحف، فكتب الورداني في 1974/4/4 مقالاً تحت عنوان: (الأقلام.. وما يكتبون) يندد فيه بمجلة الكاتب وبأقلامها، ويتهمهم بأنهم استغلوا مناخ الحرية، لكي ينفثوا سمومهم في جسد الأمة، وكتب يوسف السباعي - وزير الثقافة - بنفسه، فرأى أن يكون معوله هو الحاسم في هذه المعركة، وحكى حكايات مطولة، ثبت بعد ذلك أنها حكايات ليست دقيقة، وبعدها قدمت أسرة التحرير استقالة جماعية لوزير الثقافة، وتم استضافة المجلة لمدة عددين في مجلة الطليعة اليسارية.أما مجلة الكاتب الأميرية - كما أطلق عليها المثقفون بعد ذلك، أي الحكومية، فتم إسناد رئاسة تحريرها إلى الشاعر صلاح عبد الصبور، وانقسمت الحياة الثقافية حول هذا التنصيب، وتعاون مع صلاح عدد من المثقفين، وأدانه آخرون.

ضعف الإسناد

اجتمع محدّث مسلم ونصراني في سفينة، فصبّ النصراني من زقٍ كان معه في كأس وشرب، ثم راح يصب ويشرب. وبعد حين عرض على المحدث كأساً، فتناولها المحدث من غير تفكير وشرب. فقال له النصراني: ويحك هذا خمر. فقال له المحدث: من أين علمت أنها خمر؟ فأجابه: اشتراها غلامي من خمّار يهودي، وحلف أنها خمر معتقة: فقال المحدث: أنت أحمق، فنحن أصحاب الحديث نروي عن الصحابة والتابعين، فكيف تريدني أن أصدق نصرانياً عن غلام يهودي؟ والله ما شربتها إلا لضعف الإسناد.

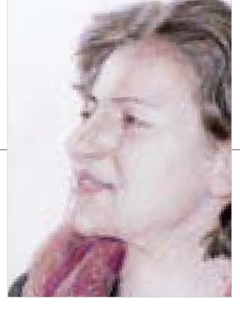
* ابن حجة الحموي، «ثمرات الأوراق»، وهو هامش كتاب: «المستطرف في كل فن مستظرف» للأبشيهي.

والدٌ يحتضر وولد يتقعر

كان لبعضهم ولدٌ نحوي يتقعر في كلامه، فاعتل أبوه علة شديدة أشرف فيها على الموت. فاجتمع أولاده وقالوا له: ندعو له فلاناً أخانا. قال: لا، إنْ جاءني قتلني. فقالوا: نحن نوصيه ألا يتكلم. فدعوه فلما دخل قال له: يا أبتِ قل لا إله إلا الله تدخل الجنة وتفوز من النار. يا أبتِ والله ما شغلني عنك إلا فلان، فإنه دعاني بالأمس فأهرس وأعدس واستبنج وسكبج وطهج وأفرج ودجج وأبصل وأمضر ولوزج وافلونج. فصاح به أبوه: غمضوني، فقد سبق ابني ملك الموت إلى قبض روحي.

* القيرواني، «جميع الجواهر في الملح والنوادر»، بيروت: دار الجيل، 1987.





منهل السراج

تربة الكاتبة

تسارع الكاتبة من اللهفة:

- أنا أحرق نفسي..! لعلنا ننقذ، المندفع والمتحمس والحالم والمفعم أملاً، وصاحب النخوة، ونقي السريرة.

لا شيء متاحاً لك يا كاتبة، فأنت لا تستطيعين حتى أن تحلمي، تكلمي وأنت ساكتة!

- أؤمن أن العالم القادم، هو عالم البطات والدجاجات والخرفان والأرانب والقواقع، وكل مخلوق كان اليوم نافعاً.

أؤمن أن العالم القادم سوف يقصقص أفق الصقور، وكل من هم ضارية.

أن، لن يكون في العالم القادم من يخسرون في بعضهم.

سيكون، ليس انتصاباً ولا اقتحاماً.

سيكون عالم المخلوقات التي سعت على الدهر وتسعى.

العالم القادم! عالم المخلوقات ذات الرؤوس الصغيرة والأمخاخ الزكية.

ولن يكون عالم الفحول، بعد الآن.

وأمد اليدين للحزينات في البلاد منادية: امضين إلى تربة الأبناء والبنات، هاجر ومحمد وملاك وكل من قضى ناقصاً عمراً، احملن جرة ماء في ذراع، وفي الثانية عرقاً أخضر، اغرزن وازرعن واسقين، زينّ المكان بالهلال، واصرخن بالبكاء، حتى الشبع، تحصدن الكثير من العزاء.

وامضي هنا عصر كل يوم، حين تكاد الغصة أن تنبق من العنق، امضي إلى مقابر الغرباء، فلا أسمع إلا حفيف قدميّ، ولا أرى إلا شواهد بأسماء غريبة، آن ماري، بريت لويس، ستيفان، أنديش..

لكنني، الآن، أرتجف غضباً.

آمني بالجنة!

هناك في الوديان، عند منابع الأنهار سوف يعيشون، يرتوون ماء زلالاً، وعلى الأرائك.. إلخ

- مطمورون تحت التراب، الضحايا، ناسي، الناس..! أريد أن أرجّ العالم من كتفيه، كي ينظر في عينيّ، أحتاج أن أنزل عن كاهلي حمل الضحايا.

وأنت! ربما، تتاح لك بعض الخطايا وبعض الهموم، لكنك أيضاً لن تتقني ارتكابها.

كتبتِ لاهية: نحن من نعشق الوادي والنهر، في الظل، نلتذ ونثمر. يؤنسنا الحب المسروق. وللمليحات منا، شأن وقيمة، فاتنات حين يعشقن، وعند الحلو والمر ماجدات، هن السيدات على الأبناء من الرجال، ولكلمة الأم، قسية الأرباب.

حين الضيف ننتظر نحن عند العتبة، لا نفتش عن الأصل والفصل، ولا عن الحسب والنسب، لأن الولد عندنا يسبق أباه، والأب يبتسم. لا نقاوم، ولا نمارس رد الفعل. نحن نبادر بفعل آخر، يخصنا والظرف، وحين يثوب التائه إلى الرشد، بحكمتنا نبدأ تماماً عند رشده وبفعلنا نبدأ.

ومضيت في غيك: لماذا نحن هكذا؟ تقولين، لأن النزاع كان مع القدر، ومن يقدر أن يتعالج مع قدره، يقدر أن يتدبر صعوبات البشر، ولا نعتب على من لا يقدرنا حق القدر. فهذا أيضاً نحسبه على صعوبات البشر، وفي القلب، الرب الحق، الذي يرجى به، ولا يرجى له.

ثم تماديت، ونبشت، تكتبين عن يوم البلوغ: ضربوا بالمعول حول الشجرة، وربطوها بالبلدوزر، واقتلعوها. نصب العينين تركوا لي موطئ اقتلاع الشجر. فورثت عبق الجذور.

حين أنهيت كلماتك وفخرك، وانتشيت، سُرق همك!

وتساقط الشهداء..

سكوت من الكاتبة.

حين ترتجفين غضباً وتشعرين أن الحق مغتصب والكفين فارغان إلا من المسالك المقطوعة، بالمختصر، خالية الوفاض من الهم والغم وكل أسباب الحياة، اشتري سير الركض!

اركضي في مكانك! افعلي كل يوم، لا بأس عليك بأن تلهثي، أما الدمع الهاطل، فاحرصي أن تدعسي على دمعك الهاطل، ادعسي على السير الناقل للدمع، وأعيدي الدعس في كل مرة يرجع إليك مداس الدمع.

- يقولون، ليسوا هم من يرتكبون الجريمة، يقولون، كانوا شهوداً.

فإن لم يُجدِ كل ما سبق من الوصفات والتمرينات والمعززات، أعدك يا كاتبة، سيتلاشى القهر، سوف تركنين، يوماً، حين تشبعين من التراب، طبعاً، كمثل من يسمونه الشهيد، ولك بعض أمل بأنه ربما تشبع بك تربتك، موطئ نحولك.

إيليا أبو ماضي

المجدد

كان إيليا أبو ماضي ثالث ثلاثة - جبران وميخائيل نعيمة.. أحدثوا تجديداً في الكلمة الشعرية، وجعلوها تتسع لمضامين الحياة الاجتماعية والفكرية والنفسية.. دون أن تفارقها إمارات البساطة والوضوح، بل حملوا القصيدة العربية من غيابات العصور الوسطى وعبروا بها المحيط، وعلى الشاطئ الآخر في المهجر أسس إيليا أبو ماضي فلسفته الخاصة في الموت والوجود والحياة والحب.

ولد إيليا ضاهر أبي ماضي في 1889 في قرية المحيدثة في شمال لبنان من عائلة أرثوذكسية فقيرة.. ولكن إصراره وجلده جعلا منه واحداً من رواد الشعر، وأحد أعلام النهضة الأدبية العربية في بدايات القرن العشرين.

منذ طفولته والأسئلة الحائرة تشغله، وهو لا يعلم من أين جاء، ولا إلى أين سيؤول مصيره، وفي أي طريق سيسير، وبقيت الحيرة تطارده حتى كتب قصيدته الشهيرة (الطلاسم):

حيئت لا أعلم من أين، ولكني أتيت
ولقد أبصرت أمامي طريقاً فمشيت
وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي.. لست أدري!!

وإن أجبره الفقر على أن يترك دراسته، إلا أنه لم ينل من موهبته التي تغنت بالأمل الذي بقي معه ولم يفارقه لحظة في حياته أو شعره:

«وقال السماء كئيبة وتجهم - قلت ابتسم يكفي التجهم في السماء

قال الصبا ولى، فقلت له ابتسم، لن يرجع الأسف الصبا المتصرما»

تقول الشاعرة فدوى طوقان: «إنني أرفع أبوماضي إلى القمة ولا أفضل عليه شاعراً عربياً آخر، لا في القديم ولا في الحديث، فالشعر العربي لم يعرف له من نظير».

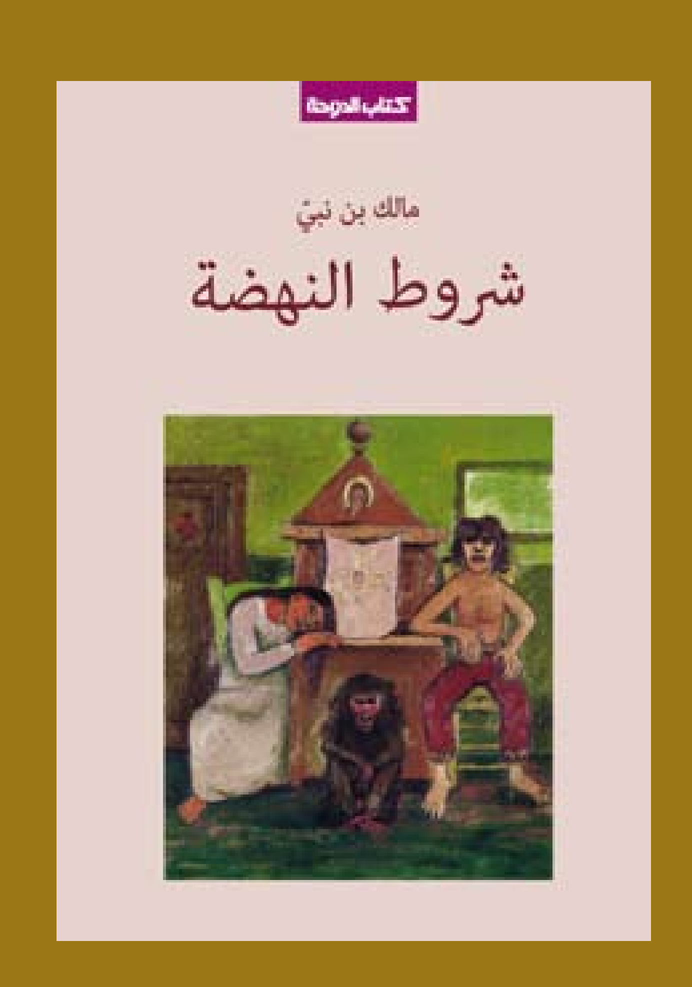
سافر إلى مصر هرباً من الفقر والعوز ليعمل في تجارة التبغ، وهناك تعرف على الأديب أمين تقي الدين الذي تبناه ونشر أولى قصائده في مجلة «الزهور» وفي مصر أصدر ديوانه الأول «تذكار الماضي» عام 1911 من مكتبة مصر وكان يبلغ من العمر 22 عاماً، ساند الوطنيين بشعره فألب عليه غضب السلطة والاحتلال، مع أن معظم شعره كان للتنديد بالظلم الذي يمارسه الطغيان العثماني ضد بلاده.

هاجر عام 1912 إلى أميركا. وفي المهجر أسس مع جبران ونعيمة «الرابطة القلمية»، التي تعد من أبرز معالم الأدب العربي الحديث، وكانت الرابطة هي أداة أبوماضي لنشر فلسفته الشعرية.

وكتب إيليا أبو ماضي أفضل شعره في المهجر، حتى فاجأته نوبة أوقفت قلبه عن الحب والشعر والكلام المباح في 23 نوفمبر 1957م.







اطلب نسختك المجانية
من الكتاب مع العدد